

محمود عوض

اليوم السابع

** معرفتي **

www.ibtesama.com

الحرب المستحيلة .. حرب الاستنزاف

** معرفتي **

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإيتساما



دار المعارف

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

محمود عوض

اليوم السابع

www.ibtesama.com

** معرفى **

الحرب المستحيلة.. حرب الاستنزاف

الطبعة الثانية



دار المعارف

<p>بطاقة فهرسة إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية</p>
<p>عروض ، محمود اليوم السابع للحرب المستعجلة - حرب الاستنزاف / محمود عوض ط ٢ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠١٠ ٢٨٤ ص ٢٤١ سم تكم : ٩٧٨-٩٧٧-٠٢-٧٤٣٤-٤ ١- مصر تاريخ - العصر الحديث - جمال عبد الناصر (١٩٥٤ - ١٩٧٠) . ٢- حرب يونيو ١٩٦٧ . ١- العنوان</p>
<p>نوى ٩٦٢،٠٦٣</p>

رقم الإيداع ١١٧٢٨ / ٢٠١٠ ١ / ٢٠١٠ / ١٩

تصميم الغلاف: الفنان شريف رضا

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع
 هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مقدمة لا بد منها

إنها ليست قضية تاريخ مضي..
فالقضية ما تزال معنا حتى الآن.

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

فيما بين يوليو ١٩٦٧ وأغسطس ١٩٧٠ وقعت في الشرق الأوسط حرب كبرى قال عنها الأصدقاء والأعداء من البداية إنها (الحرب المستحيلة). لقد أصبحت إسرائيل تحتل سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان، وجيوش مصر والأردن وسوريا في حالة انهيار كامل، ووزير الدفاع الاسرائيلي يقول علنا: لم يعد أماننا سوى الجلوس بجوار التليفون، لكي يستمع العرب إلى شروطنا، والملك حسين يعرف رقمنا؛

وفي موسكو، كانت القيادات السوفيتية تستقبل اثنين من الرؤساء العرب، هما هوارى بومدين رئيس الجزائر، وعبد الرحمن عارف رئيس العراق، لكي يديروا معهما مناقشات غاضبة ومتفجرة خلاصتها: لقد استولت إسرائيل منكم على أحدث أسلحتنا، وقامت بتسليمها إلى الولايات المتحدة، وهي الآن يتم فحصها والتعرف إلى أسرارها في معامل البحوث بالولايات المتحدة وألمانيا الغربية، والعرب لا يملكون الآن أية قدرة على القتال، والحل أمامكم هو أن تتفاهموا مع الولايات المتحدة وتعلنوا إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل.

وفي واشنطن، تلقى الرئيس الأمريكي ليندن جونسون تقريراً سرياً من مستشاره للأمن القومي عن عملية «قتل الديك الرومي».. أصبحت السياسة الأمريكية ترى بمقتضاه أن الفرصة الذهبية حانت أخيراً لكي تبطل كل دولة عربية شعاراتها عن القومية العربية، وتنكفي على نفسها منعزلة عن الدول العربية الأخرى. وتقبل الحياة في ظل تفوق عسكري اسرائيلي تحت إشراف أمريكي، وتنفذ ما تمليه إسرائيل عليها من مشروعات تستهدف «التعاون الاقليمي».

أما «الديك الرومي» - جمال عبد الناصر - نفسه المفترض أنه تم قتله. فقد جلس وحيداً في بيته بالقاهرة واضعاً رأسه بين كفيه، وفي إحدى اللحظات تمتع جمال عبد الناصر بكلمات لم يعد بعد ذلك إلى تكرارها، حينما قال: لقد عرفوا.. كيف يصطادوني.

بعدها وضع جمال عبد الناصر مسدساً إلى جواره، مقررًا ترحيل أسرته فوراً خارج القاهرة، فلم يعد يمنع إسرائيل من دخول القاهرة سوى.. سبع دبابات.

وفي العاصمة اليوغسلافية بلغراد، تلقى الرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو رسالة سرية من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ليندون جونسون يطلب إليه فيها إبلاغ جمال عبد الناصر في القاهرة بأنه لن يمضي إلى أبعد من ذلك في إذلال مصر. ولذلك فليس مطلوباً من مصر أي تفاوض مباشر مع إسرائيل أو اعترافاً بها، لكن هذا يعني - أيضاً - أن هناك ثمنًا مطلوباً من الدول العربية. ويجب على مصر ألا تعترض عليه.

وفى العاصمة السعودية الرياض، قام الملك فيصل باستدعاء السفير الأمريكى لكى يبلغه بأن السعودية تصر على الانسحاب الاسرائيلى الكامل وفورا من الأراضى العربية، وتطلب الحصول على موقف أمريكى رسمى ومحدد، فى هذا الاتجاه، لكن السفير الأمريكى جاء بالرد فى مذكرة رسمية مكتوبة تقرر فيها الولايات المتحدة أنه لا بد من تعديل الحدود على الأقل- بين الأردن وإسرائيل- وهو ما قامت السعودية فورا بإبلاغ الدول العربية المعنية بأنها ترفضه بالكامل.

فى هذا المناخ بدأت «حرب مستحيلة» على جبهة قناة السويس فى مصر بين جيش مصرى وليد، وفى ظل حالة معنوية يختلط فيها اليأس والغضب، وبين احتلال إسرائيلى يملك بالفعل كل وسائل التفوق العسكرى، وينذر بالمزيد.

لقد كان طبيعيا أن تتلقى مصر فى تلك «الحرب المستحيلة»- حرب الاستنزاف- ضربات موجعة من اللحظة الأولى.. إن مصر اضطرت إلى قرار صعب هى التى اختارته لنفسها.. وهو تهجير أربعمئة ألف مواطن خارج بيوتهم، يكفى أيضا أن كل المعونات العربية التى تلقتها مصر فى تلك الفترة كان يتم إنفاقها خلال ثلاثين يوما من السنة. إذا اختصرنا كلمة «التكاليف» إلى حدها الأدنى المتواضع تماما.

لقد تساقط فوق رؤوس المصريين ذات صباح، ولدة ٢٦ ساعة، عشرون ألف طن من القنابل الإسرائيلية- وهو ما يعادل القنبلة النووية الأمريكية الأولى التى تم إسقاطها على هيروشيما وناغازكى فى الحرب العالمية الثانية- وبعدها أعلنت اليابان استسلامها بالكامل. بلا قيد ولا شرط.

مع ذلك، استمرت تلك «الحرب المستحيلة». لقد سقط الرجل الثانى فى الجيش المصرى الفريق أول عبد المنعم رياض شهيدا فى الخندق الأول على حافة قناة السويس، لكن الشعب المصرى خرج بقيادة جمال عبد الناصر فى جنازته يصر على الثأر.. ويرفض الاستسلام. لقد تلقت مصر إنذارا رسميا من الولايات المتحدة بأن توقف تلك الحرب «فى الحال» و«بلا قيد ولا شرط» حتى لا تتعرض المنشآت الاقتصادية الكبرى فى مصر إلى التدمير الفورى.. لكن مصر مضت بإصرار فى تلك «الحرب المستحيلة» لقد سقط سبعة آلاف من الشهداء المصريين، معظمهم سقطوا على عتبات بيوتهم من القنابل الإسرائيلية التى وصلت إلى مسافة ١٥ كيلو مترا من القاهرة، وبعضهم كانوا أطفالا فى مدارس ابتدائية، لا تتجاوز أعمارهم الثانية عشرة.

بالتدريج، وبتضحيات غالية، بدأت كل الأطراف تعيد حساباتها. إن الذين خاضوا الحرب من المصريين، مدنيين وعسكريين، لم يكن هدفهم تحرير سيناء، فكما ستثبت الوثائق، كانت سيناء معروضة على مصر رسميا بغير أى قتال ولا قيود. منذ الثانى من نوفمبر سنة ١٩٦٨، لقد كان المقاتلون فى تلك «الحرب المستحيلة» يقاتلون من أجل الضفة الغربية والجولان وحقوق الشعب الفلسطينى، وكانوا يعلنون ذلك صراحة لكل من يعنيه الأمر، وقد كان هذا هو فى الواقع جوهر المشكلة من بدايتها. لقد جرت فى مصر عواصف كبرى، لكن أسوأ ما فيها هو أنه أصبح ممنوعا الإشارة إلى تلك «الحرب المستحيلة»- حرب الاستنزاف- جملة وتفصيلا، إنها- رسميا- حرب لم تحدث، وشهداؤها لا أسماء لهم ولا ذكر عنهم، بل وفى أحيان عديدة، تجرى السخرية من تضحياتهم.

ومن أجل هؤلاء الشهداء فقط. نعود الآن إلى فتح ملفات تلك الحرب بكاملها، إنها ليست قضية تاريخ مضى، تلك نظرة شديدة السطحية وعميقة الغرض، القضية ما تزال معنا حتى الآن- يكفي أن نعلم مثلا، وبالوثائق أن تضحيات أولئك المصريين، غير المعترف بأسمائهم حتى الآن رسميا، هى التى ضمنت وقتها استرداد الضفة الغربية المحتلة بالكامل، ومعها حق الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم التى شردوا منها فى سنة ١٩٤٨، وهو ما يكافح الجميع للحصول على البعض اليسير منه الآن- بعد ٣٠ سنة-، القضية هى مصر، والضفة الغربية، والجولان، ومستقبل العالم العربى كله، هذا هو ما أسقط أولئك الشهداء المصريين «رجال اليوم السابع» دفاعا عنه.

وبكل التواضع، وأيضا بكل الاعتزاز، أقول: إن النسبة الكبرى من الوثائق التى ستنشر بالكتاب هى وثائق يتم نشرها لأول مرة. بل إننى أزعم أن الحقائق الجديدة التى سيكشف عنها هذا الكتاب- إذا صدقت النوايا- نؤدى إلى إعادة النظر فى كثير من المفاهيم السائدة طوال السنوات الأخيرة، وأتمنى- وأكرر قولى: أتمنى- أن يتقدم أى معترض بوثائق تؤكد غير ما سينشر بهذا الكتاب. وهى وثائق تتيح لنا معلومات ضحي إخوة لنا. وزملاء لى شخصيا بحياتهم.. بغير انتظار لها. لقد كان يكفيهم الاقتناع.. والعزيمة.. والإصرار على حياة أفضل لعالمهم العربى كله.

إننى أرجو أن يحمل هذا الكتاب «الحرب المستحيلة» «اليوم السابع» بعض العزاء لشهداء الجيل الذى أنتمى إليه- فهذا الجيل دفع ثمن تلك الحرب عن اقتناع. وبندٍ راضية

وقلوب مطمئنة إلى صحة القضية التي حاربوا من أجلها. وكثير منهم ضحوا بمستقبلهم. وكثير ضحوا بحياتهم في سبيلها.

لقد ترك هؤلاء جميعا من البداية وظائفهم التي شغلوها، أو كانوا يحملون بها، لكي يتقبلوا الحياة لشهور طويلة داخل خنادق في الصحراء، متناولين طعامهم مخلوطا ببعض الرمال والكثير من شظايا القنابل المتساقطة فوق رؤوسهم.. إيماننا بقضية محددة، سحب البعض إيمانهم بها فيما بعد، قضية.. أن تكون لك كرامة، وأن تعيش مرفوع الرأس، وبالنسبة لهم لم تكن تلك القضية جملة تقال بشكل عابر في حديث.. أو مزايدة في خطاب عام، لقد كانت قضية حياة.. أو موت، وقد اختاروا الموت. إلى هؤلاء أولا.. أهدى الكتاب.

أما الصحف التي تحملت قلمي في غربته. أوجه إليها شكرى.. فقد كانوا يحثوني على المزيد من المشاركة بعد أن حرمت تعسفا من الكتابة في جريدتي «أخبار اليوم». ويبقى الحكم في النهاية للقارئ.. فمنه فقط، يستمد أى كاتب حيويته وتجده.

محمود عوض

الفصل الأول

الفخ الإسرائيلي الأمريكي

- نحن ننسى أحيانا أن الذين يحتلون مركز السلطة العليا
فى أى دولة هم فى النهاية بشر
- إسرائيل أعدت عام ١٩٦٤ خطة حرب يونيو ١٩٦٧
- لماذا تراجع تل أبيب عام ١٩٦٠ عن تهديداتها
لسوريا؟

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة



قبل الساعة التاسعة بقليل بتوقيت القاهرة، من صباح الاثنين ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ لاحظ ضباط مصريون من المسئولين عن مراكز الرادار للمراقبة أن شاشات الرادار لم تعد تعطى الإشارات المعتادة، لقد بدا كما لو أن أجهزة الرادار قد تعطلت فجأة ولم تعد شاشاتها ترصد أى شئ فى المدى الذى تتولى مراقبته، إن البعض لجأ إلى الفنيين على الفور لمعرفة ما يجرى، خصوصا بعد أن اتصلوا بزملاء لهم فى محطات أخرى للرادار فسمعوا نفس الشكوى. ولكن قبل أن يتمكن الفنيون من عمل شئ، فوجئ الجميع بأن طائرات معادية فوق رؤوسهم وتلقى بقنابل شديدة الانفجار، وخلال دقائق كان الجميع قد عرفوا أن نفس هذا الهجوم قد وقع على جميع محطات الرادار والمطارات العسكرية المصرية فى نفس الوقت تقريبا.

لقد بدأت إسرائيل حرب يونيو ١٩٦٧.

كما هو متوقع تماما، فإن إسرائيل بدأت هجومها بضربة جوية مركزة على القوات الجوية المصرية لإخراجها من المعركة مبكرا، فى الواقع إن هذا كان هو نفس التنبؤ الذى شرحه جمال عبد الناصر فى اجتماع له مع القيادات العسكرية قبل ثلاثة أيام. ويومها وجه عبد الناصر سؤاله إلى الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية: نحن ملتزمون سياسيا بعدم بدء الحرب، لكننى أتوقع أن تبادر إسرائيل بشن الحرب خلال فترة تتراوح ما بين ٤٨ و ٧٢ ساعة، بادئة بمحاولة ضرب طائراتنا ودفاعنا الجوى.. فى هذه الحالة كم تقدير لنسبة الخسائر فى طيراننا. قبل أن نتمكن من رد الضربة الإسرائيلية...؟

و... هنا ساد الهجوم غرفة الاجتماع واعتري العسكريين نوع من القلق والصمت قطعه قائد القوات الجوية، موضحا أن تحول إستراتيجية مصر من الهجوم إلى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا فى موقف القوات الجوية.

لقد بدأ نقاش انحصر فى الخسائر المحتملة للقوات الجوية المصرية وإمكانية توفير القدرة لها لشن ضربة مضادة، وقد قدر الفريق أول صدقى محمود الخسائر المتوقعة فى قواته الجوية من ١٥ إلى ٢٠٪ لكنه قال: «إن هذا الإجراء يعنى فقد المبادرة من جانبنا، وربما أدى هذا إلى تكسيح قواتنا الجوية».

وبعد المزيد من المناقشات المستفيضة تم الاتفاق على اتخاذ الإجراءات الوقائية الضرورية فى القوات الجوية المصرية للتقليل من تأثير الضربة الجوية الأولى من إسرائيل وتوفير القدرة

لها لشن ضربة مضادة، وفي الاجتماع وافق المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة على أن «عجز ٢٠٪ من الضربة الأولى ونحارب إسرائيل: أفضل من أن نبدأ الضربة الأولى، ونحارب إسرائيل وأمريكا معا».

إن الأحداث التالية. ابتداء من ٥ يونيو ١٩٦٧ سرعان ما ستثبت الخطأ الفادح والكامل لكلا التقديرين معا- العسكري والسياسي- فلا خسائر الضربة الجوية الإسرائيلية اقتصرت على ٢٠٪، ولا إسرائيل خاضت الحرب وحدها بغير أمريكا، لكن كان هذا كله لا يزال وقتها في عالم الغيب.. أما ظاهر الأحداث فلم يكن يؤكد فقط أن الولايات المتحدة ستقف ضد الطرف الذي يبادر بالحرب، ولكنه كان يؤكد أيضا أن احتمال الحرب ذاته يتراجع طبقا للتقدير الأمريكي.

استفزازات إسرائيلية

إن الأزمة بدأت من الأصل حينما وجهت إسرائيل تهديدات علنية ورسمية صريحة في الأسبوع الثاني من شهر مايو ١٩٦٧ بغزو سوريا واحتلال دمشق. وقد جاءت تلك التصريحات لتمثل ذروة سلسلة من التصعيد العسكري والسياسي ظلت إسرائيل تمارسها منذ ستة أشهر على الأقل، في أعمال استفزازية وهجمات متزايدة برا وجوا ضد كل من الأردن وسوريا. وقد سجلت وزارة الخارجية الأمريكية ذاتها من خلال التقارير المتتالية لقنصلها العام في القدس «أن التساؤل الذي أصبح مطروحا هو: إلى أي حد سيتحمل السوريون كل هذا الاستفزاز الإسرائيلي، وعند أي نقطة سيفقدون قدرتهم على ضبط النفس».

وفي تلك الفترة أيضا سجلت تقارير مراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة مشاعر السوريين بالإحباط الشديد من عجز المنظمة الدولية عن عمل أي شيء لإيقاف الاعتداءات الإسرائيلية الصارخة. خصوصا بعد أن أعلن إسحاق رابين رئيس أركان حرب القوات الإسرائيلية في ١٢ مايو ١٩٦٧: «أننا سوف نشن هجوما خاطفا ضد سوريا: وسنحتل دمشق لنسقط نظام الحكم فيها ثم نعود»، إن ليفي اشكول رئيس الوزراء كان قد سبقه إلى التهديد علنا في نفس الاتجاه، وهو ما دعا سوريا إلى إبلاغ أعضاء مجلس الأمن الدولي بأن التهديدات الإسرائيلية هي تمهيد لعدوان إسرائيلي واسع النطاق ضد سوريا.

وكانت مصر قد وقعت مع سوريا قبل شهور معاهدة للدفاع المشترك بهدف طمأننتها، ولكن الاعتداءات الإسرائيلية واسعة النطاق سرعان ما جاءت لتثبت للعرب أن يد إسرائيل

هى العليا فى المنطقة. خصوصا حينما شنت إسرائيل هجوما برىا وجويا فى ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ ضد قرية السموع، الأردنیه، وهى قرية صغيرة تضم أربعة آلاف نسمة معظمهم من الفلسطينيين.. ثم حينما قامت إسرائيل فى السابع من شهر ابريل ١٩٦٧ بغارة جوية واسعة النطاق ضد سوريا. أسفرت عن سقوط طائرات ميج سورية.

قوات الطوارئ الدولية

وسواء بسبب حالة الذعر السائدة عربيا والتي اتضحت فى اجتماع مجلس الدفاع العربى بالجامعة العربية فى شهر مارس ١٩٦٧. أم لأسباب أخرى خفية. فان الدعايات العربية المتنافسة كانت تقود مواطنيها فى كل مرة إلى فخاخ شديدة الخطورة، تؤدى كلها إلى الإلحاح على فكرة واحدة متكررة: إن إسرائيل تستأسد على الدول العربية المجاورة لأنها واثقة من عجز مصر عن ردعها عسكريا.. ولان مصر منذ سنة ١٩٥٧ تفضل التستر وراء قوات الأمم المتحدة المراقبة على حدودها مع إسرائيل. ولو لم تكن تلك القوات موجودة، ولو كانت مصر طليقة اليدين وغير خائفة من مواجهة إسرائيل، لما جرأت إسرائيل على تصعيد عدوانها ضد الدول العربية المجاورة، ولا على المرور بسفنها فى المياه الإقليمية المصرية بخليج العقبة.

كانت قوات الطوارئ الدولية تتكون من ٢٣٠٠ جندي وضابط، وقد شكلت أصلا بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٥٦ لى ترابط بشكل مؤقت على الحدود المشتركة بين مصر وإسرائيل، وهو ما تم فعلا عقب انسحاب الأخيرة من سيناء وغزة بعد فشل عدوانها المشترك مع بريطانيا وفرنسا ضد مصر، وهو العدوان الذى تم أصلا عقابا لمصر على قيامها بتأميم قناة السويس.

وكان القرار الأصلى بتشكيل قوة الطوارئ الدولية يقضى بمرابطتها على الجانبين- المصرى والإسرائيلى- من الحدود، لكن إسرائيل رفضت من البداية قبول أى قوات لديها من الأمم المتحدة. وهكذا استقر الحال بتلك القوات على الجانب المصرى من الحدود، فضلا عن شرم الشيخ وقطاع غزة.

ولم تكن قوات الأمم المتحدة هذه تمثل عائقا سياسيا أو عسكريا ضد مصر فى أى وقت، فهى قوات رمزية تمثل فقط الثقل المعنوى للأمم المتحدة كمنظمة دولية، كما أن وجودها من عدمه فى المواقع المقررة لها يتوقف تماما على إرادة مصر.

إسرائيل تراجعت عام ١٩٦٠

وقد حدث في سنة ١٩٦٠ على سبيل المثال أن وجهت إسرائيل تهديداً ضمنيًا إلى سوريا في وقت كانت سوريا مرتبطة فيه مع مصر بوحدة سياسية في دولة واحدة تحمل اسم «الجمهورية العربية المتحدة». وقتها طلبت مصر من الأمم المتحدة سحب قواتها مؤقتًا من مواقعها على الحدود المصرية مع إسرائيل، وحركت مصر إلى سيناء ثلاثًا من فرقها المسلحة، من بينها فرقة مدرعة. لكي تكون مستعدة لمواجهة الموقف في حالة مبادرة إسرائيل بأي عمل عدواني في الجبهة السورية.

لقد فوجئت إسرائيل وقتها تمامًا بالتحرك المصري، ولم تكتشفه إلا بعدها بثلاثة أيام، فاضطرت إلى التراجع فورًا، واضطر رئيس وزرائها إلى القيام بزيارة عاجلة إلى واشنطن حيث أصدر البيت الأبيض بيانًا رسميًا يذكر فيه العرب بأن البيان الثلاثي - وهو البيان البريطاني الفرنسي في سنة ١٩٥٠ بشأن ضمان حدود إسرائيل «لا يزال قائمًا».

وبعد تراجع إسرائيل بنحو شهرين في سنة ١٩٦٠، عادت القوات المصرية إلى مواقعها الأصلية، كما عادت قوات الأمم المتحدة إلى مواقعها على الحدود وانتهت الأزمة.

الأمر مختلف عام ١٩٦٧

ولعل نفس هذا التفكير هو الذي دفع مصر إلى عمل نفس الشيء في شهر مايو ١٩٦٠ كمحاولة لامتصاص التهديدات الإسرائيلية ضد سوريا، لكن الأمر اختلف في هذه المرة من ثلاث زوايا:

أولاً: كانت مصر مشغولة عسكرياً في اليمن، حيث أصبح نحو ربع الجيش المصري مرابطاً هناك منذ ١٩٦٢ لتدعيم الثورة الجديدة هناك فيما بدا عملياً أنه تورط تدريجياً متزايد بدأ بمائة جندي مصري وانتهى بستين ألف.

وثانياً: أن إسرائيل كانت ترى منذ سنة ١٩٦٤ على الأقل أن أمامها مجموعة ظروف عسكرية وسياسية تمثل فرصة ذهبية لا بد من انتهازها لتوجيه ضربة ساحقة ضد الجيش المصري. في الواقع أن الخطة التفصيلية لحرب ١٩٦٧ الوشيكة ضد مصر قد تم وضعها في سنة ١٩٦٤ ويسجل المؤلف الصهيوني وولتر لاكير صراحة: «إن حرب ١٩٦٧ جرى خوضها طبقاً لخطة تفصيلية تمت الموافقة عليها منذ ثلاث سنوات سابقة».

إن الجنرال بارليف أدخل عليها بعض التغييرات ولكنها ظلت من الناحية الأساسية هي نفس الخطة التي أهداها الجنرال رابين منذ سنة ١٩٦٤. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانت تقديرات المخابرات الإسرائيلية تشير إلى أنه بحلول سنة ١٩٧٠ أو ١٩٧١ على أكثر تقدير، سيكون الجيش المصرى قد وصل حجما وتسليحا وتدريباً إلى القدر الذى يصبح فيه قادراً على التصدى لإسرائيل وإلغاء صورتها الرادعة فى المنطقة، أما قبل ذلك التاريخ فلن تكون المواجهة العسكرية مع إسرائيل فى صالح مصر. وثالثاً: أن الولايات المتحدة بدأت منذ تولي ليندون جونسون السلطة فى البيت الأبيض عقب اغتيال جون كينيدي فى سنة ١٩٦٣، تتخذ موقفا تصاديميا من التيار القومى فى العالم العربى الذى تمثله مصر.. بعكس سنوات التفاهم الناضج فى عهد كينيدي، وأصبح الرئيس الجديد وهو أصلاً وثيق الصلة بإسرائيل منذ سنوات الخمسينات، يعد إسرائيل سرا لتكون أدواته التنفيذية لتعديل الأوضاع القائمة فى الشرق الأوسط وخصوصاً من أجل ضرب وتحجيم مصر.

وهكذا فإن المساعدات الأمريكية التى حصلت عليها إسرائيل فى سنة ١٩٦٤ ضمن آخر ميزانية أقرها جون كينيدي قبل اغتياله لم تتجاوز أربعين مليون دولار. وفى سنة ١٩٦٥ قفز هذا الرقم إلى ٧١ مليون دولار، ثم قفز مرة أخرى فى سنة ١٩٦٦ إلى مائة وثلاثين مليون دولار، أما الأكثر دلالة من ذلك فهو التغير الذى جرى فى مضمون تلك المساعدات، فحتى سنة ١٩٦٤ لم تكن المساعدات الأمريكية لإسرائيل تتضمن أية مساعدات عسكرية فيما عدا خمس بطاريات من صواريخ «هوك» للدفاع الجوى قيمتها ٢١ مليون دولار حصلت عليها إسرائيل سنة ١٩٦٣، أما فى ظل رئاسة جونسون فقد بدأ أولاً بوضع ترتيبات سرية لتمويل صفقة ضخمة من الدبابات لحساب إسرائيل من ألمانيا الغربية، والأهم من ذلك أنه لأول مرة تقوم الولايات المتحدة مباشرة بإعطاء إسرائيل مائتين وخمسين دبابة حديثة من طراز «أم ٤٨» المعدلة، وثمانية وأربعين طائرة سكاي هوك الهجومية المتطورة، بالإضافة إلى معدات إلكترونية متطورة أخرى.. وكلها أسلحة هجومية بحيث تتمشى مع الدور الأقليمى الجديد المقرر لإسرائيل سرا.

وكان هذا كله يجرى فى الوقت الذى تتمتع فيه إسرائيل بعلاقة عسكرية خاصة مع فرنسا مستقرة منذ سنوات الخمسينات، وتضمن لإسرائيل بمقتضاها الحصول أولاً بأول على كل احتياجاتها من طائرات «الميراج».

وكان هذا كله يجرى أيضا فى الوقت الذى قرر فيه جونسون قطع معونات القمح عن مصر فى سنة ١٩٦٥ ، وهى التى كانت منتظمة منذ سنوات جون كينيدي ، كما أنه حاول إرغام مصر على قبول تفتيش أمريكى على صناعاتها العسكرية.

اتفاق سرى بين جونسون واشكول

على أن أخطر خطوة أمريكية غير معلنة قام بها جونسون فى هذا الاتجاه، كانت فى توصله فى يونيو ١٩٦٥ إلى اتفاق سرى مع ليفى اشكول رئيس وزراء إسرائيل هدفه : «ترتيب عمل مراجعة دورية مشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل للموقف العسكرى فى الشرق الأوسط، بما يتجاوز التبادل المعتاد فى معلومات المخابرات. وفى الحقيقة فإن هذا سيكون شكلا من التخطيط التفصيلى لحالات الطوارئ التى سيصبح وقوعها (فى الشرق الأوسط) أكثر احتمالا. على الرغم من أن الأمريكيين كانوا متلهفين لتجنب استخدام هذا التعبير.

وفيما هذا الاسم فقط. فإن هذا الاتفاق كان أقرب ما يمكن إلى «التخطيط العسكرى المشترك».

وقد كانت هذه الخطوة شديدة السرية وقتها وتعنى تطورا نوعيا خطيرا فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. بما سيجعلها العنصر الحاسم فيما سيجرى فى المنطقة من أحداث بعد ذلك.

إن إسرائيل قبلها كانت تحتاج فى كل مرة إلى التباحث مع الولايات المتحدة حول كل صفقة عسكرية على حدة.. ثم المساومة هنا وهناك، لكن من الآن فصاعدا.. أصبحت إسرائيل تحصل على احتياجاتها العسكرية بطريقة روتينية، ومن خلال قنوات غير معلنة، ومما يسمح لها بالتفوق على القوات العسكرية لكل الدول العربية مجتمعة.

وعلى حد تعبير المؤلف اليهودى الصهيونى جون كيمش فإن: الأمريكيين أصبحوا جزءا من النظام الإسرائيلى للحصول على الأسلحة، والشئ المهم الآن لم يعد هو إزعاج الرئيس الأمريكى بين وقت وآخر بالطلبات المستمرة كما كان يحدث فى الماضى، ولكن أن تصبح المباحثات مع الرئيس مخصصة لمشاكل السياسات العامة. مثل كيفية ملء الفراغ فى الشرق الأوسط مع رحيل البريطانيين واضمحلال النفوذ الغربى بالمنطقة.

هروب الميج ٢١

وبالرغم من أن كل تلك الترتيبات كانت فى معظمها شديدة السرية فى حينها ولم يقدر لبعضها الخروج إلى الضوء إلا بعد سنوات طويلة، إلا إنه كانت تظهر بين وقت وآخر بعض الإشارات المتقطعة المفاجئة التى يمكن أن توحى باتجاه الأحداث، وعلى سبيل المثال. فى شهر أغسطس ١٩٦٦ نجحت شبكة مشتركة من وكالة المخابرات الأمريكية وجهاز المخابرات الاسرائيلى (الموساد) وحلف شمال الاطلنطى فى إغراء طيار عراقى بالهروب بطائرته «الميج ٢١» من بغداد إلى تركيا شمالا ثم إلى إسرائيل، مقابل تهريب عائلته وخادمها اليهودى العراقى الذى كان وسيط الصفقة من البداية. وثلاثمائة دولار يعادل فى حينها مليون جنيه». لقد أصبحت طائرة الميج- ٢١ هذه صيدا ثميناً تريد جميع الأطراف فك أسرارها على الفور، حيث إن الأمريكيين يواجهونها فى حربهم بغيتنام، وحلف شمال الاطلنطى يطور دفاعاته الجوية ضدها فى المسرح الأوروبى. وإسرائيل تكشف بها العمود الفقرى فى تسليح القوات الجوية بكل من مصر وسوريا والعراق. لقد كان هذا حدثاً خطيراً، ولكن البعض فى العالم العربى تصوره شيئاً منفصلاً قائماً بذاته، دون أن يتصوره مؤشراً غير مسبوق لما هو قادم من أحداث.

الزائر الدائم

ومع مطلع سنة ١٩٦٧ أصبح ريتشارد هلميز مدير المخابرات المركزية الأمريكية زائراً متكرراً لإسرائيل وكل من مائير اكيت رئيس المخابرات السرية الإسرائيلية «الموساد» وهاارون باريف رئيس المخابرات العسكرية زائرين متكررين لواشنطن، وكلها بالطبع كانت زيارات ومشاورات شديدة السرية ولا بد من إخفائها، ليس فقط عن المصريين والعرب والعالم. ولكن حتى عن أعضاء مجلس الوزراء الإسرائيلى ذاته، فيما عدا ليفى اشكول رئيس الوزراء. لقد أصبح التخطيط المشترك يعمى فى مجراه ضمن قنوات خفية تربط القيادات العسكرية الإسرائيلية مع واشنطن، ومستقلاً عن العلاقات الرسمية القائمة. أما فى الجانب الأمريكى فلم يكن يعلم بما يجرى فى القناة الخفية سوى الرئيس جونسون نفسه، ووالف روستو مستشاره للأمن القومى واليهودى الصهيونى المتعصب تماماً لإسرائيل. ثم حفنة قليلة من أصحاب المراكز العليا فى وكالة المخابرات المركزية والبنтажون.

و.. مع سنة ١٩٦٧ أصبحت إسرائيل.. شريكا مرغوبا فيه- من الناحية العسكرية- طبقا للتقدير الأمريكي فى ظل رئاسة ليندون جونسون.

عملية قتل الديك الرومى !

كان ليندون جونسون قد وصل إلى منصب الرئاسة فى الولايات المتحدة فى مفارقة قدرية نادرة، بينما جرى اغتيال الرئيس جون كينيدي فى مدينة دالاس الأميركية فى نوفمبر ١٩٦٣. بحكم الدستور الأمريكى يتولى نائبه الرئاسة على الفور ويظل يشغله حتى الانتخابات التالية، ومع أن نائب الرئيس فى الولايات المتحدة يتم انتخابه مع الرئيس فى بطاقة انتخابية واحدة، إلا أن الخبراء يعرفون أن منصب نائب الرئيس فى النظام الأمريكى يكاد يكون مجرد منصب شرفى خال تماما من المضمون الحقيقى للسلطة، فهو بلا اختصاصات على الإطلاق سوى ما يتفضل به الرئيس. وهو فى الغالب بعيد عن القرارات الكبرى. إلى درجة أن أحد الوعود الثابتة فى البرنامج الانتخابى لكل مرشح جديد للرئاسة هو، أنه سيعطى لنائبه اختصاصات حقيقية.

وقد أصبح ليندون جونسون رئيسا للولايات المتحدة وهو لا يكاد يعرف شيئا عن السياسات الخارجية، وكانت أول خطوة فعلتها إسرائيل فوراً هو نقل أحد رجال المخابرات السرية إلى واشنطن ليشتغل وظيفة الرجل الثانى فى السفارة الإسرائيلية تحت ستار لقب «وزير مفوض».

كان هذا الرجل اسمه «ابى ايفرون»، وقد سبق له أن شارك فى تخطيط عملية سرية للتخريب الداخلى فى مصر سنة ١٩٥٦، وتحولت فيما بعد إلى فضيحة تعرف باسم «فضيحة لافون».

وكان سبب نقل ايفرون إلى واشنطن هو أنه: «صديق حميم لجونسون» منذ سنين مبكرة.. ولذلك فقد كانت العلاقة الحقيقية لجونسون مع إسرائيل- بعد أن أصبح رئيسا- تتم من خلال ايفرون على وجه الخصوص، وحينما ذهب أبا اييان وزير خارجية إسرائيل إلى واشنطن فى الأسبوع الأخير من مايو ١٩٦٧ ليتعرف إلى موقف الرئيس جونسون فوجئ بأن جونسون ظل يتهرب من مقابلته، ثم فوجئ أكثر وأكثر حينما ذهب أخيرا إلى البيت الأبيض ليجد الرئيس جونسون مجتمعاً مع ايفرون بمفردهما منذ ساعة تقريبا!

ونحن ننسى أحيانا أن الذين يحتلون مراكز السلطة العليا فى أى دولة هم فى النهاية بشر. ثم ننسى أكثر وأكثر تلك الحقيقة حينما يكون الحديث عن بشر يتولون مراكز السلطة العليا فى دولة عظمى بهذا العالم.. لأن صورة الدولة العظمى هنا تضيف بريقها إلى من يشغلون المراكز العليا بها.

حسنا.. ليندون جونسون كان بشرا، لقد جاءت به الظروف ليصبح رئيسا للولايات المتحدة وتحت يديه أضرار يمارس بها سلطة ونفوذًا وثروة، وقوة الولايات المتحدة فى مناطق عديدة من هذا العالم، ولعل من المفيد هنا أن نترك الحديث لمؤرخ حياته، الصحفى الأمريكى روبرت كارو، الذى قرر التفرغ عدة سنوات ليكتب سيرة حياة ليندون جونسون، إن روبرت كارو يقول «لقد تصورت أننى سوف أحب ليندون جونسون، لقد تصورت أنه رجل فقير جدا، وغير متعلم، وظل يكره الكتب والتعليم طوال حياته، وكان فظا بشكل ما، ولكننى تصورت أيضا أن فى قلبه يوجد أحد الأشياء العظيمة المحركة وهو أن يساعد الناس الذين ولد بينهم، تصورت أن هذا هو الرجل الذى سأكتب عنه، وأننى سوف أستمع بالمهمة، ولكن بعد وقت قصير من بدايتى فى العمل، أدركت أن هذه الصورة لدى كانت ناقصة وقاصرة بشكل ملموس، هذا رئيس لم يعرفه أحد.

لقد واصل الصحفى الأمريكى جهده وتحرياته، وقام باستجواب العشرات من أصدقاء جونسون ومعارفه، ثم «لقد كلمونى جميعا عن نفس الشيء: المال.. وأحدهم قال لى محذرا: إنك لن تستطيع مطلقا أن تكتب هذا «عن جونسون» لأنك لن تجد مطلقا أى شيء من هذا مكتوبا أو مسجلا على ورق.

رئيس فاسد

لكن الصحفى الأمريكى لم ييأس واستمر شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة يجمع المعلومات ويتحرى الوقائع، وفى الجزء الأول فقط احتلت تلك الوقائع تسعمائة صفحة كاملة. أما الخلاصة عن ليندون جونسون الرئيس رقم ٢٦ فى التاريخ الأمريكى، والذى هو الشخصية الرئيسية فى حرب يونيو ١٩٦٧ بالنسبة لنا، هى أنه أكثر رؤساء أميركا فسادا، لقد وصل إلى منصب الرئاسة بفعل صدفة درامية هى اغتيال رئيسه جون كيندى، ولكن: «إذا كانت السلطة مفسدة.. فإنها لم تمارس تلك المهمة مع لندن جونسون، إن السلطة لم تستطع أن تفسده، لأنه كان فاسدا قبل وقت طويل من وصول السلطة إليه».

وهذا الشخص الفاسد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، والذي كانت نقطة ضعفه من البداية هي جمع المال من أى طريق وبأية وسيلة ، أصبح هو المقدر له أن يعبر عن السياسة الأميركية في منطقتنا في تلك السنوات الحاسمة من الستينات .

وكان من الملفت للنظر في هذا السياق أن الرئيس الأميركي - هذا الرئيس الفاسد - قد اختار ثلاث شخصيات محددة تمسك في يديها بخيوط السياسة الأميركية في الشرق الأوسط ، إنهم .. آرثر جولد بيرغ ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة .. والإخوان ، والت روستو مستشاره للأمن القومي ، وشقيقه برجين روستو وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية .. والثلاثة ليسوا يهودا فقط ، ولكنهم من غلاة الصهيونيين الأمريكيين المتعصبين لإسرائيل ، والكارهين لكل ما هو عربى فى هذا العالم .

مصر لم تطلب سحب القوات الدولية من غزة وشرم الشيخ

وهكذا فإن اتجاه إسرائيل إلى تصعيد الأحداث طوال الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٦٦ والأشهر الأولى من سنة ١٩٦٧ لم يكن آتيا من فراغ ، على الرغم من أن ظاهر الأحداث فى وقتها لم يكن يوحى فى النظرة الأولى بخطورة الفخ الذى يتم دفع مصر إليه .. وحينما حركت مصر بعض قواتها إلى سيناء فى مايو ١٩٦٧ وطلبت من الأمم المتحدة سحب قواتها مؤقتا من الحدود المشتركة مع إسرائيل : فإنها لم تطلب بالمرّة سحب القوات المرباطة فى شرم الشيخ ، أو فى قطاع غزة : لأن الهدف المحدد فى البداية كان هو امتصاص التهديد الإسرائيلى العلن ضد سوريا .

لكن يوثانت سكرتير الأمم المتحدة فى ١٩٦٧ كان غير داج همرشولد سكرتيرها العام فى سنة ١٩٦٠ . فبعد استشارة مساعده رائق بانث (وهو أيضا وثيق الصلة بإسرائيل) رد يوثانت على مصر علنا : إما أن تنسحب قوات الأمم المتحدة من الحدود ومن شرم الشيخ وقطاع غزة بالكامل ونهايا ، وإما لا تنسحب نهائيا .

وكان معنى ألا تنسحب قوات الأمم المتحدة مطلقا . بعد هذا الموقف العلنى : هو أن تصبح قوة احتلال فى مصر ، ولذلك تلقى يوثانت الرد الذى يريده من البداية : فتنسحب قوات الأمم المتحدة من كل المواقع ونهايا .

بعدها فقط طلب يوثانت زيارة القاهرة للتشاور ، وبعد أربعة أيام ، حتى يكون انسحاب قوات الأمم المتحدة قد أكمل ! ، وقد ظلت شرم الشيخ على سبيل المثال بلا حراسة ، بعد

أن انسحبت منها قوات الأمم المتحدة المكونة من ٣٢ جنديا. وظلت على هذا النحو لأربعة أيام. إلى أن قررت مصر نقل إحدى وحداتها العسكرية للمرابطة هناك، وأصبحت تلك الخطوة بدورها تعنى أن تغلق مصر خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية.

كانت قضية خليج العقبة شبه محفوظة فى كواليس الأمم المتحدة، فقد سبق لمصر أن أغلقته أمام الملاحة الإسرائيلية منذ سنة ١٩٥١ وظل كذلك حتى حرب ١٩٥٦. وطوال ذلك لم تغلق إسرائيل فى استصدار قرار من الأمم المتحدة يسمح لها بالملاحة فى الخليج لأن القانون الدولى يكفل لمصر حقها فى فرض سيادتها الكاملة. حيث هو مياه إقليمية مشتركة بينها وبين مصر والسعودية والأردن، وإذا كانت إسرائيل قد استولت على قرية «أم رشرش» المطلة على رأس الخليج وحولتها إلى ميناء اسمه «إيلات»، فإنها فعلت ذلك انتهاكا لاتفاقيات الهدنة فى سنة ١٩٤٩ وضد كل معايير الشرعية الدولية بما فيها حدود إسرائيل التى كفلها لها قرار تقسيم فلسطين من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧، وفوق كل هذا فقد كانت حالة الحرب قائمة رسميا بين مصر وإسرائيل.

لكن إسرائيل ظلت تستخدم خليج العقبة فى الملاحة منذ سنة ١٩٥٧، كأمر واقع يرتبط بسكوت أو عدم سكوت مصر عليه.. والآن فمع عودة القوات المسلحة المصرية إلى شرم الشيخ فى مايو ١٩٦٧ فقد أرادت مصر أن تصفى هذا الأمر الشاذ المتخلف عن العدوان الثلاثى ضدها فى ١٩٥٦ معتمدة على حقها الثابت طبقا للقانون الدولى.

كان الرئيس الأمريكى ليندون جونسون أصدر على الفور بيانا رسميا يدين فيه إغلاق مصر لخليج العقبة. ومن تلك اللحظة فصاعدا نسى الجميع فجأة كل ما يتعلق بتهديدات إسرائيل المعلنة ضد سوريا، وأصبحت القضية هى: إغلاق خليج العقبة.

تعهد رسمى من ديجول

وفى زيارة يوثانت إلى القاهرة عرض عليه جمال عبد الناصر أن تحال القضية إلى محكمة العدل الدولية.. ولأن كلا من الولايات المتحدة وإسرائيل تعرفان بالضبط أن القانون الدولى فى صف مصر. فقد تجاهلتا هذا الحل بعد ذلك تماما.

لكن يوثانت، وتحت عنوان العمل على تهدئة الموقف طلب من مصر أن تتعهد من جانبها بعدم شن حرب ضد إسرائيل، إن مصر لم تستجب لهذا الطلب من يوثانت فقط، ولكنها استجابت لهذا الطلب من الرئيس الفرنسى شارل ديغول. وكذلك من الرئيس

الاميركي ليندون جونسون، والذي قدم من جانبه تعهدا رسميا إلى مصر باسم الولايات المتحدة في الرسالة التي بعث بها إلى جمال عبد الناصر بتاريخ ١٢ مايو ١٩٦٧ وجاء فيها إنه: «في الموقف الحالي فإن حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وكذلك الحكومات العربية الأخرى، تستطيع أن تعتمد على التأكيد بأن حكومة الولايات المتحدة تؤكد معارضتها الصلبة لأي عدوان في المنطقة، في أي شكل علني أو سري، تقوم بها قوات عسكرية أو مجموعات غير نظامية».

وقال جونسون في نفس الرسالة أيضا: «إننا نؤمن بأن اتفاقيات المهدنة العامة- بين إسرائيل والدول العربية- تظل هي أفضل أساس للمحافظة على الحالة السلمية عبر الحدود».

وفى تقريره الذى قدمه إلى مجلس الأمن الدولى بتاريخ ٢٧ مايو سجل يوثانت أمرين بالغى الأهمية: فأولا: أن الأزمة الحالية يمكن أن تنتهى لو أن إسرائيل قبلت قوات الأمم المتحدة فى جانبها من الحدود مع مصر، خصوصا وأنها من الأصل قوات مشكلة لتربط على الجانبين، ولكن كررت للسكرتير العام رفضها الكامل لاي قوات من الأمم المتحدة. وثانيا: أن مصر تعهدت بوضوح ألا تكون البادئة بأى أعمال عسكرية ضد إسرائيل. فى نفس اليوم لجأ جونسون إلى حيلة أكثر فعالية، فبعد أن حصل من مصر مباشرة على تعهد بعدم بدء الحرب، متعهدا من جانبه بأن تكون الولايات المتحدة ضد الطرف الذى يبدأ بالعدوان، بعث إلى السوفيات برسالة عاجلة يطلب منهم فيها مشاركته فى حث مصر على عدم شن الحرب لأنه يفعل نفس الشئ بالنسبة لإسرائيل، وحينما نقل السفير السوفياتى الرسالة السوفيتية مصحوبة برسالة جونسون إلى الرئيس جمال عبد الناصر فجر يوم ٢٨ مايو، أصبحت هناك أربعة أطراف تعرف على وجه التأكيد بأن مصر لن تبدأ الحرب. وهى: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا والأمم المتحدة.

مبعوثان من جونسون

لكن ليندون جونسون لم يكتف بذلك، لقد أوفد إلى القاهرة مبعوثين، أحدهما فى مهمة معلنة وهو السفير تشارلز بوست ممثلا لوزارة الخارجية الأمريكية، والآخر فى مهمة غير معلنة وهو روبرت اندرسون الوزير الأسبق فى عهد إيزنهاور، وكانت لغة المبعوثين واحدة ولكن بلهجتين متكاملتين: أن الأزمة فى طريقها إلى الحل سلميا.. وأن الرئيس جونسون

يقترح لذلك إيفاد نائبة هيربرت همفرى إلى القاهرة للتباحث مع الرئيس جمال عبد الناصر، أو إيفاد مندوب على مستوى عال من جمال عبد الناصر إلى واشنطن للاجتماع مع الرئيس جونسون.

ووافق عبد الناصر على الاقتراحين، واختار من جانبه زكريا محى الدين، الذى حدد البيت الأبيض موعدا لاستقباله فى واشنطن يوم الأربعاء - ٧ يونيو- ولقد غادر المبعوثان القاهرة يوم الجمعة - ٢ يونيو- بعد نجاحهما فى مهمتهما، لكن القاهرة سرعان ما ستكتشف - ولكن من خلال كارثة مدوية - أن هناك سياسة خفية أخرى لليندون جونسون غير تلك السياسة الرسمية التى يعبر عنها من خلال رسالته ومبعوثيه. ففى نفس اليوم- الجمعة ٢ يونيو- كانت تجرى الأحداث الحقيقية، ليس فقط بعيدا عن عيون القاهرة، ولكن أيضا بعيدا عن عيون الكونغرس الأمريكى، الذى حرص الرئيس جونسون على تخديره هو الآخر تماما.

زيارة سرية

لقد غادر ماثير أميت رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلية «الموساد» واشنطن يوم- ٢ يونيو- عائدا إلى إسرائيل بعد مهمة سرية فى واشنطن منذ ٢٠ مايو وجاء إليها باسم مستعار، وطوال الأيام الأربعة كان أميت يقوم بالمراجعة الأخيرة لخطط الحرب الإسرائيلية مع أجهزة المخابرات الأميركية فى واشنطن، وكذلك بعد الاتفاق على المزيد من المعدات المتطورة المطلوبة على وجه السرعة فى مسار الحرب.

ولكن ماثير أميت عاد من واشنطن أيضا برسالة ذات مغزى بعث بها فى برقية سرية منذ اليوم الأول من رحلته: «إن أى حديث أمريكى رسمى عن جهود لحل الأزمة دبلوماسيا من خلال مشاورات مع الدول المعنية أو من خلال الأمم المتحدة.. سيكون لا شأن له بإسرائيل، إن الهدف هنا هو فقط تخدير العرب والسوفييات لأطول وقت ممكن بعيدا عن الخطط السرية الجارية للحرب الوشيكة.. كما أنه أيضا إقناع للكونجرس والرأى العام بأن الرئيس جونسون لا يألو جهدا لتسوية الأزمة سلميا لأنه حريص هو الآخر على ألا تتورط الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط بمثل ما تعانى منه فى فيتنام».

وثانيا: تلقت سفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» والتى كانت فى لحظتها مرابطة فى ميناء «روتا» الاسباني، تعليمات بالتحرك فورا إلى الحدود البحرية المصرية مع إسرائيل.

فى البحر الأبيض المتوسط. وقد وصلت «ليبرتى» بالفعل إلى منطقة عملها السرية الجديدة هذه، شمال العريش «فى نفس اليوم ٢ يونيو». كانت «ليبرتى» من أكثر سفن التجسس الأمريكية تطورا. بحيث إن أجهزتها كانت قادرة على التقاط أى شكل من أشكال الاتصالات اللاسلكية، بما فى ذلك الاتصالات العسكرية والدبلوماسية قصيرة وبعيدة المدى، وإشارات توجيه الصواريخ، والسيطرة على الأقمار الصناعية، وهى تستطيع أيضا توجيه الطائرات الإلكترونية وكذلك فك رموز أية رسائل تلتقطها ثم «تعيد طبخها وإرسالها من جديد طبقا للخطط الموضوعة».. وقد انضم إليها فى مهمتها الجديدة هذه عدد من موظفى المخابرات المتخصصين فى اللغتين العربية والعبرية والجهة التى تدير مهمات «ليبرتى» هى وكالة الأمن القومى الأمريكى فى ميريلاند عبر نظام خاص جدا للاتصالات يسمى «تريسكرام»- وهى إحدى وكالات المخابرات الأمريكية التى تصب تقاريرها عند الرئيس ليندون جونسون عبر والت روستو- مستشاره للأمن القومى.

سرب من طائرات التجسس

وفى الساعات المبكرة من صباح اليوم التالى، السبت ٣ يونيو، تم إيقاظ طيارى السرب رقم ٢٨ لطائرات الاستطلاع التكتيكية بقاعدة «رامستين» العسكرية فى ألمانيا الغربية، لقد تم تجهيز طائراتهم على وجه السرعة وأصبح على الطيارين الأمريكيين أن يطيروا بها على الفور إلى قاعدة «مورون» التابعة لحلف الاطْلنطى فى أسبانيا. كانت طائرات الاستطلاع الأمريكية هذه من طراز «ار-اف-٤ سى» والتى كانت فى تلك الحين هى أكثر طائرات التجسس تطورا لدى الولايات المتحدة ولم تدخل الخدمة إلا من قبلها بثلاث سنوات فقط. وتستخدم كاميرات شديدة الدقة فى التصوير من مسافات مختلفة فى طبقات الجو العليا والمنخفضة. وباستخدام الرادار والأشعة فوق الحمراء تستطيع أن تضع «خريطة حرارية» للمنطقة التى تقوم باستطلاعها فى أى وقت ليلا أو نهارا. كما أن بها تجهيزات تسمح لها بالاتصال بقاعدتها من أى مكان فى العالم. وحلقت أربع طائرات تجسس من هذا الطراز من قاعدة «رامستين» الأمريكية فى ألمانيا الغربية فى الصباح الباكر لليوم ٣ يونيو متجهة إلى قاعدة «مورون» الأمريكية فى أسبانيا. فى نفس الوقت خرجت طائرة نقل أمريكية من طراز «سى-١٤١» من قاعدة بالقرب من

أكسفورد في انجلترا لتتجه أيضا إلى قاعدة «مورون» في أسبانيا، وهي تحمل معامل كاملة لتحريض وطبع الأفلام التي تلتقطها طائرات التجسس، وحملت تلك الطائرات أيضا تسعة فنيين متخصصين في التصوير الجوي تابعين لسرب الاستطلاع رقم ١٧، حيث انضموا في قاعدة «مورون» بأسبانيا إلى زملائهم الأميركيين من ألمانيا الغربية.

وطبقا لما تم الكشف عنه لأول مرة بعد حرب يونيو بسبع عشرة سنة، فإن تلك المجموعات الأميركية من الطيارين والفنيين العاملين في طائرات التجسس تم تعريفهم لأول مرة بمهمتهم الحقيقية السرية عقب وصولهم إلى قاعدة «مورون» الأميركية في أسبانيا، لقد قيل لهم: إنهم هم وطائراتهم ومعداتهم سيذهبون إلى منطقة نائية في صحراء النقب بإسرائيل لتقديم مساعدات باللغة السرية للجيش الإسرائيلي ضد العرب.

وكجزء من تلك المهمة فقد تم إعداد جوازات سفر مدنية لأفراد كل تلك المجموعات من الطيارين والفنيين الأميركيين، وعقود عمل مدنية توضح أن الحكومة الإسرائيلية قد استأجرتهم كمدينين، وكذلك بطاقات استخدام وملابس وعلامات إسرائيلية لكل منهم. واستغرق التعريف بالمهمة واستبدال الملابس ساعتين.. ثم قيل لهم إن عليهم بالراحة ساعات قليلة قبل أن يطيروا إلى إسرائيل، بعد أن تم طلاء طائرات التجسس الأميركية بشعار سلاح الجو الإسرائيلي حتى تبدو كما لو كانت إسرائيلية.

تصوير كل القواعد الجوية

ومساء نفس اليوم- السبت ٣ يونيو- وصلت تلك الطائرات إلى إسرائيل، حيث هبطت في مطار مهجور وسرى بصحراء النقب جنوب شرق القاعدة الجوية الإسرائيلية في بئر سبع، إنه نفس المطار السرى الذي كانت القوات الجوية الفرنسية قد استخدمته في سنة ١٩٥٦ في مهمات باللغة السرية ضد مصر أثناء الغزو الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي.

وفي مسار حرب يونيو الكبرى والوشيقة، فإن تلك الطائرات ستقوم بمهمة شديدة السرية بكل الإتقان لتصوير القواعد الجوية لمصر وسوريا والأردن، وكذلك مواقع القوات المسلحة وكل تحركاتها بتفصيل شديد الدقة.. وأولا بأول.. وليلا ونهارا.. وفي كل طلعة تقوم كل واحدة من طائرات التجسس هذه بتصوير خمسمائة قدم من الأفلام مطبوع عليها أوتوماتيكيا الوقت والتاريخ والارتفاع الجوي وزاوية التصوير.. إلخ..

أما فى المطار السرى الإسرائيلى ذاته.. فإن أطقم الفنيين الأمريكيين تقوم بإعداد كل طائرة للطلعة التالية، بينما يقوم نحو ستين من الفنيين بتفسير وتحليل آلاف الأقدام من الصور التى يتم التقاطها فى كل طلعة، لقد كان يتم طبع أربع نسخ من الصور التى يجرى التقاطها.. حيث يحصل الإسرائيليون على نسخة منها فوراً.. ويحتفظ الأمريكيون بنسخة أخرى- ثم تركها للإسرائيليين بعد الحرب- بينما النسختان الباقيتان يتم إرسالها إلى الولايات المتحدة رأساً. وحينما سيتم ضرب سلاح الطيران المصرى فى اليوم الأول من الحرب، وتضطر القوات البرية المصرية إلى التحرك ليلاً بسبب حرمانها من الغطاء الجوى، فإن الصور التى ستلتقطها لها تلك الطائرات طوال الليل ستصبح هى المفتاح الذى يمكن إسرائيل من الضرب بعد ذلك بكل دقة وإحكام.

إن تلك الطائرات سوف تحول مجهودها إلى الجبهات الأخرى بمجرد فراغ إسرائيل من الجبهة المصرية.. وستظل تقوم بمهامها السرية هذه حتى الثانى عشر من يونيو، حيث عادت بعدها مع معداتها وفنييها إلى قواعدها فى أوروبا، ولكن فقط بعد التنبيه الصارم على كل شخص- طياراً وفنياً.. وبشكل فردى وجماعى.. بألا يتفوه بأى كلمة لأى شخص مهما كان.. عن تلك المهمة شديدة السرية.. ولا حتى مع زملائهم أو مع بعضهم، بل إنه زيادة فى الاحتياط، طلبت منهم قياداتهم خلع ملابسهم واحداً بعد الآخر ليصبح عارياً تماماً كما ولدته أمه.. ثم السير عبر ممر خاص.. وبعدها يرتدى ملابس جديدة مختلفة.. وذلك تحوطاً لاحتمال أن يكون أى منهم قد احتفظ معه بأى شئ يشير إلى أنه كان فى صحراء النقب، أو فى إسرائيل.!

قتل الديك الرومى

ولم يكن يعرف بكل تلك الترتيبات شديدة السرية سوى حفنة قليلة للغاية من كبار مساعدى الرئيس الأمريكى جونسون، وفى مقدمتهم بالطبع والت روستو مستشاره للأمن القومى الذى تتجمع فى مكتبه كل خيوط السياسة الأميركية «الأخرى».. الخفية.. والتى أصبحت تطلق اسماً رمزياً على هذه العملية الكبرى التى ستجرى ضد مصر قريباً، وهى عملية «قتل الديك الرومى»..!

أما من الناحية الرسمية فإن الرئيس الأمريكى يستوفى أوراقه تماماً كصانع سلام لا يعرف شيئاً باسم «الديك الرومى».. ولا عن الخطة السرية لقتله، وهكذا فإنه فى يوم

السبت ٣ يونيو قام بتوقيع رسالة رسمية صاغها له مستشاره للأمن القومى والت روستو وموجهة إلى ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل ويقول فيها: «يجب بل وضرورى آلا تجعل إسرائيل نفسها مسئولة عن المبادرة بالأعمال العدوانية، إن إسرائيل لن تكون وحدها إلا إذا قررت المضى وحدها، ونحن لا نستطيع أن نتخيل اتخاذ إسرائيل لهذا القرار».

لقد كانت تلك الرسالة معدة منذ أسبوع، لكن والت روستو لم يطلب من رئيسه توقيعها إلا فى ٣ يونيو قائلا له فى المذكرة المرفقة: «قد يكون ملحا أن نضع هذه الرسالة فى السجلات الآن رسميا».

«وفى اليوم التالى- الأحد ٤ يونيو- قام والت روستو بإرسال مذكرة سرية إلى كل من دين راسك وزير الخارجية وروبرت ماكنمارا وزير الدفاع تتضمن ما اسماء «سيناريوهات» الأحداث المقبلة فى الشرق الأوسط.

وخلال ٢٤ ساعة فقط لم تكن تلك «الأحداث المقبلة» سوى الهجوم الكبير ضد مصر.. أو بدء عملية «قتل الديك الرومى».. بإخراج سلاح الطيران المصرى نهائيا من المعركة، إن الأردن كان قد وقع مع مصر معاهدة للدفاع المشترك قبل خمسة أيام فقط، ولكن الحدود الأردنية مع إسرائيل هى أطول حدود عربية وتتجاوز ٥٤٠ كيلو مترا، فبينما يتجاوز حجم الجيش الأردنى خمسين ألفا، والحرس الوطنى المخصص لمساعدة الجيش فى حالات الطوارئ كان قد ألغى قبل سنة، وسلاح الطيران الأردنى لا يتجاوز ٢٤ طائرة. ولا تملك الأردن سوى مطارين اثنين فى عمان والمفرق.

ولذلك ففى غياب غطاء جوى فعال تحصل عليه الأردن من الخارج، تصبح الضفة الغربية ضيدا ثمينيا مغريا بالنسبة لإسرائيل، فإذا لم تقدم مصر هذا الغطاء لأنها الهدف الأول للضربة الإسرائيلية.. يصبح الأمل معلقا على سوريا، ولكن العلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة بين الأردن وسوريا ولم تعد سوى قبل أيام قليلة، فضلا عن أنه لا توجد أية خطط سابقة للتنسيق بين الجبهتين وفوق هذا وذاك.. فبمجرد أن فرغت إسرائيل من سلاح الطيران المصرى ظهر الخامس من يونيو، استغرق منها القضاء على الطيران الاردنى والسورى ٢٥ دقيقة.

الضربة الجوية

وكما رأينا من قبل، كان التشويش المسبق على أجهزة الرادار المصرية عاملا أساسيا فى الخطة الإسرائيلية فى نفس الوقت كان هناك فى البداية احتمال قائم بالنسبة للسفن الحربية

السوفيتية في البحر الأبيض المتوسط، ورادارتها تستطيع بالتأكيد متابعة ما يجرى، وهو أن تقوم بتحذير القيادة المصرية من الهجوم الإسرائيلي الوشيك بمجرد أن تبدو علاماته، لكن الأمريكيين أكدوا لإسرائيل من قبل أنه لا يوجد أى اتصال مباشر بين السفن السوفيتية في البحر الأبيض وبين القيادة المصرية، وأن البديل الوحيد هو أن تقوم تلك السفن بنقل ما يجرى إلى موسكو أولا. ثم الاحتمال الأضعف هو أن تقرر موسكو: بعد أن تفكر وتفكر، فى نقل تلك المعلومات إلى مصر.. ولحظتها سيكون الوقت قد فات تماما، وفى جميع الحالات فإن الولايات المتحدة كفيلة بمنع حدوث أى تدخل سوفيتى من أى نوع. وكان أسلوب الطيران الاسرائيلى فى المهاجمة هو أن تتجه من إسرائيل شمالا إلى البحر الأبيض، ثم غربا بعرض البحر على ارتفاعات شديدة الانخفاض، ثم تنحرف جنوبا نحو أهدافها داخل مصر، وكل هذا يتم فى صمت لاسيلى كامل وبتوجيه الكترونى مستمر، ومن البداية، من السفينة «ليبرتى» فضلا عن التشويش المسبق على أجهزة الرادار والاتصالات المصرية.

فى الموجة الأولى ركزت الطائرات الإسرائيلية على ضرب أجهزة الرادار وضرب المعرّات فى المطارات العسكرية المصرية بقنابل شديدة الانفجار تم تصميمها خصيصا بحيث تترك فى المرحفرة عميقة بقطر سبعة أمتار ويحتاج إصلاحها إلى عدة ساعات، وخلال ذلك تظل الطائرات المصرية عاجزة عن التحليق إلى أن تأتى الموجة الثانية من الهجوم الإسرائيلي فيتم ضرب الطائرات المصرية المتراسة على الأرض واحدة بعد الأخرى، وكان كل هذا يسبقه ويوازيه استطلاع وتصوير جوى اليكترونى تقوم به الطائرات الأميركية المنطلقة من القاعدة السرية فى صحراء النقب بحيث إن أى تطور جديد يتم نقله فورا إلى الطيارين الإسرائيليين وهم داخل طائراتهم، وقد حدث فعلا أن سربا من القاذفات المصرية تم توجيهه ليهبط فى مطار عسكري فى جنوب مصر.. وبعد لحظات من هبوطه كانت الطائرات الإسرائيلية فوق المطار لتضرب هذا السرب الوحيد الموجود به.

□□□

الفصل الثانى

الوثائق تكشف المخطط

- الآن.. على العالم العربى أن يدير ظهره لتيار القومية.
وتنغلق كل دولة على ذاتها وتتفاوض من مركز الضعف
- نص المذكرة السرية من والت روستو إلى الرئيس
جونسون
- شروط انسحاب إسرائيل:
إسقاط عبد الناصر.. وقف التيار القومى.. انعزال كل
دولة عربية.. وقف التسليح.. الدخول مع إسرائيل فى
مشروعات للتعاون الإقليمى



استغرقت الضربة الجوية الرئيسية الاسرائيلية ضد مصر أربع ساعات ، وبعدها فقط استدارت إسرائيل إلى الطيران في كل من سوريا والأردن ، فأخرجتهما من المعركة خلال ٢٥ دقيقة .
وفيما بعد حدد موردخاي هود قائد السلاح الجوي الإسرائيلي أسباب نجاح الضربة الجوية من وجهة نظره بأنها أربعة: أولها: «إِنَّ ما جرى في الثمانين دقيقة الأولى كان خلاصة ١٦ سنة من التخطيط لكي نضرب الطيران المصري ونخرجه من المعركة مبكرا ، فقد كنا نعيش مع الخطأ . وننام مع الخطأ ، ونأكل مع الخطأ . وكنا باستمرار نراجعها أولا بأول لكي نتأكد منها» .

أما السبب الثاني فهو معلومات «المخابرات الجيدة عن تحركات ونشاطات العدو الجوية من حيث توزيع طائراته ومواقع راداراته وصواريخه» .
والسبب الثالث هو القدرة على امتصاص المعلومات الجديدة ودمجها في الخطأ القائمة وإخطار الطيارين بها أولا بأول .

والسبب الرابع هو السنوات المتواصلة من تدريب الطيارين على تنفيذ نفس الخطأ .
وعلى الرغم من الضربة الجوية لم تكن مفاجأة للقيادات العسكرية المصرية حينئذ ، إلا أن مداها وحجمها جاء لهم بمثابة المفاجأة ، وطوال اليوم الأول في الحرب حاول الفريق أول صدقي محمود قائد الطيران والمشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى إقناع جمال عبد الناصر بوجود مشاركة أمريكية لابد منها وتقود إليها كل المؤشرات . ولكن جمال عبد الناصر في البداية رفض أن يصدق ذلك إلا على ضوء وجود دليل دامغ يسمح له بتوجيه اتهام رسمي إلى الولايات المتحدة بالتدخل المباشر . وسرعان ما جاءت معلومات في هذا الاتجاه من محطة الرادار الأردنية فوق جبل عجلون .

ومن العاصمة الأردنية عمان أجرى الملك حسين مكالمة تليفونية مع الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة ، كانت في السادسة من صباح الثلاثاء ٦ يونيو . وفي المكالمة تم التشاور حول هذا الموضوع الخطير والمتفجر . إن كلا من عبد الناصر وحسين لم يكن يعرف لحظتها أن هذه المكالمة يتم رصدها وتسجيلها اليكترونيا من مسافات بعيدة بأجهزة متطورة للغاية . وخلال ساعات سيصبح تسجيل المكالمة تحت تصرف إسرائيل . والتي قررت على الفور إذاعتها بعد عمل «مونتاج» للمقاطع التي تخدم أغراضها .

عبد الناصر وحسين على الهاتف

وطبقا لما أذاعته إسرائيل فان هذه المكالمة التليفونية مضت على النحو التالي:
عبد الناصر: كيف حالك؟ لقد فهمت أن جلالتك تريد أن تعرف ما إذا كنا نحارب على
كل الجبهات.. «مقطع مشوش»... هل نعلن عن اشتراك الولايات المتحدة مع إسرائيل؟..
لا أستطيع سماعك.. الاتصال سيئ جدا.. «صمت».. هالو.. ها تتكلم عن الولايات المتحدة
وبريطانيا؟، أو عن الولايات المتحدة فقط؟

حسين: الولايات المتحدة فقط.

عبد الناصر: هل توجد لبريطانيا حامله طائرات؟

حسين: ... «إجابة مشوشة»

عبد الناصر: حسنا، الملك حسين سيذيع بيانا عن هذا وأذيع أنا أيضا بيانا.

حسين: شكرا.

عبد الناصر: حاولوا الصمود.

حسين: حسنا.

عبد الناصر: هالو.. هالو.. يا أخى، اصمدوا ولا تقلقوا.

حسين: نعم فخامة الرئيس. لو كان لديكم شيء.. فكرة، ففى أى وقت...

عبد الناصر: إننا نقاتل بكل ما نملك، والقتال مستمر فى جميع الجبهات طوال الليل.

وإذا كنا نواجه بعض الصعاب فى البداية فسوف نتغلب عليها، إن الله معنا.. «مقطع
مشوش».. إذن، هل ستذيع جلالتك بيانا بالتدخل الأمريكى الإنجليزى؟

حسين: «إجابة غير مسموعة»

عبد الناصر: أقول والله شاهدى، إننى سأذيع بيانا، وأنت ستذيع بيانا، وسوف نعمل
على أن يذيع السوريون بيانا كذلك يعلنون فيه أن طائرات أمريكية وبريطانية انطلقت
من حاملات الطائرات وتشترك فى الحرب ضدنا، سوف ننشر بيانا ونركز فيه على هذا
الموضوع..

حسين: حسنا.

عبد الناصر: ها توافق جلالتك؟

حسين: «إجابة مشوشة»..

عبد الناصر: ألف شكر، عليكم بالصمود، إننا معكم بكل قلوبنا. إننا أرسلنا طائراتنا لتضرب إسرائيل، وهى تهاجم الطائرات الإسرائيلية منذ الصباح.
حسين: ألف شكر.

ولقد استخدمت إسرائيل تلك المكالمات، واضحة المونتاج، لكى تروج فى العالم كله لفكرة أن التدخل الأمريكى البريطانى هو مجرد اختلاق وتلفيق من عبد الناصر وحسين معا، مع الإيحاء بأن عبد الناصر كان محرضا على هذا التلفيق.

الملك حسين يوضح

ولكن الملك حسين فسر الأمر فيما بعد بقوله: «منذ الصباح المبكر ليوم الاثنين ٥ يونيو أفاد مركز قواتنا الجوية بأن راداراتنا رصدت بعض الطائرات فى منطقتين فوق البحر الأبيض المتوسط، على مسافة أربعين كيلو متر شمال «بحيرة البردويل» المصرية «وشمال شرق بورسعيد»، وطبقا لهذا التقرير فإن تلك الطائرات المجهولة اختفت من الشاشة عند خط يتعادل مع مطار اللد فى إسرائيل.

«وأكثر من ذلك» فإن الرادار رصد بعض الأهداف الثابتة فى البحر الأبيض المتوسط. وطبقا لنفس هذا التقرير. اظهر الرادار أن الطائرات تطير عند مستوى البحر فى منطقة هذه الأهداف الثابتة. نحو إسرائيل: والنتيجة التى يتم استخلاصها هى أن هذه الطائرات تنطلق من حاملات طائرات. ونحن نعرف على وجه التأكيد أن إسرائيل ليس لديها سفن من هذا النوع.

بالطبع الرادار لا يستطيع أن يبين جنسية الطائرات، ولقد تزايد تشويشنا من حقيقة أن المعلومات المصرية عن عدد الطائرات الاسرائيلية التى تم تدميرها جعل من الصعب تصديق أنه ما يزال لدى العدو كل هذا العدد من الطائرات القادرة على الطيران. ومن ثم، فبعمل تقييم صحيح للقوات الجوية الإسرائيلية على أساس معلومات حلفائنا، فإن حجم هذا الأسطول الجوى بدا مفرطا، إلا إذا كانت هناك دولة أجنبية متورطة.

«وحينئذ ساهم شئ آخر فى تشويشنا، وهو تشويش طيارينا، فهؤلاء الرجال قالوا: إنهم شاهدوا مقاتلات اسرائيلية لها نفس الصورة الظلية مثل طائراتنا. وكان التفسير الوحيد الممكن هو: أن تلك هى طائرات هوكز هنتر، وهو نوع من الطائرات لا يوجد لدى إسرائيل ويمكن فقط أن يأتى من قاعدة قرب الشرق الأوسط، وفيما بعد علمنا أنها لم تكن هوكز هنتر. ولكنها طائرات ميستير اسرائيلية صورتها الظلية قريبة الشبه جدا».

ويضيف الملك حسين: «إننا فيما بعد أجرينا تحقيقاً بشأن التقارير القريبة من رادارتنا، وهو تحقيق قادنا إلى نتيجة افتراضية هي أنه في ظروف جوية معينة في البحر، يمكن لشاشات الرادار أن تعكس بسهولة أهدافاً من الصعب التعرف إليها، مثل السفن، تكون في الحقيقة في مدى يتجاوز الرادار على الرغم من أنها تبدو أهدافاً قريبة داخل نطاقه، وخلال الحرب قابلت سفراء قوى أجنبية مختلفة مرات عديدة في مقر دفاعنا المدني في عمان، ولقد بعثت ببرقية إلى عبد الناصر أخبرته فيها بأن سفير الولايات المتحدة قد أكد لي أنه لا يوجد تورط أمريكي من أي نوع في هذه المعركة، ولكن، يجب أن أقر بأنني في حينها.. لم أكن مقتنعاً».

ويقول الملك حسين أيضاً: «لقد زعم الإسرائيليون «فيما بعد» بأنني اعترفت بأن قصة التدخل الأنجلو أمريكي كانت اختلاقاً وتلفيقاً كامليين، هذا غير صحيح، لقد اعتقدت حقاً بوجود تدخل من إنجلترا وأمريكا، وكنت أؤمن بذلك حينما قلته علناً».

واشنطن تنفي تورطها

فمن الناحية الرسمية تقبل الأردن الإنكار الأمريكي، وأعلن الأردن في ٩ يونيو أنه حسب معلوماته فإنه لم يحدث تدخل عسكري من الولايات المتحدة أو بريطانيا في الحرب العربية الإسرائيلية.

والواقع أن القاهرة تلقت نفس الإنكار الأمريكي، بل إن وزارة الخارجية الأمريكية أيقظت السفير المصري في واشنطن فجراً لكي تبلغه باحتجاجها، ووقف دين راسك وزير الخارجية الأمريكي علناً أمام الصحفيين لينكر أي مشاركة أمريكية من أي نوع في مجرى الحرب.

مع هذا لم يكن هذا كافياً بالنسبة لمصر. صحيح أن مصر لم تمسك بيديها طائفة تحمل الشعار الأمريكي وهي تضرب أهدافاً مصرية. ولكن هذا لا يعني حياداً أمريكياً في مجرى الحرب، فإذا كانت الولايات المتحدة محايدة حقاً، فلماذا تعلن أنها لا تعرف من الذي بادر بالطلقة الأولى، وهل كان الأسطول الأمريكي السادس المعبأ في البحر الأبيض المتوسط منذ أسابيع يدير عينيه في اتجاه آخر بينما الضربة الإسرائيلية توجه ضد مصر؟ ولماذا لم تف الولايات المتحدة بتعهداتها الرسمية من أنها ستقف ضد الطرف الذي يبادر بالعدوان؟ ولماذا ترفض الولايات المتحدة وصف الهجوم الإسرائيلي أساساً بأنه عدوان؟

ولماذا أصرت في مشاورات مجلس الأمن الدولي طوال اليوم الأول من الحرب على حذف أى إشارة إلى ضرورة انسحاب إسرائيل كجزء من قرار لوقف إطلاق النار كما يقضى ميثاق الأمم المتحدة؟.

قطع العلاقات الدبلوماسية

هكذا أعلنت القاهرة قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وسرعان ما ستتلوها معظم الدول العربية. وسوف تمر أيام قليلة قبل أن ينكشف أمر وجود سفينة التجسس الأمريكية «ليبرتي» قرب الحدود المصرية الإسرائيلية في البحر الأبيض المتوسط، بعد أن ضربتها إسرائيل بحجة أنها تصورت أنها سفينة مصرية، لقد تأكد فيما بعد أن هذا غير صحيح بالمرة، ومع ذلك فمنذ منع الرئيس جونسون وزارة الدفاع الأمريكية من انتقاد إسرائيل علنا، وتقرر الاحتفاظ بنتيجة التحقيق الجارى سرا، وصدرت تعليمات للبحارة وضباط السفينة بالتزام الصمت الكامل بالنسبة لحقيقة مهمتهم الغامضة تلك في البحر الأبيض، وكان أحد التفسيرات غير الرسمية هو: «أن إسرائيل أرادت بضرب «ليبرتي» إخفاء الأدلة الحاسمة على حجم التدخل الإلكتروني الأمريكي لحسابها في مجريات الحرب ضد مصر».

فوضى في سيناء

ولكن سرا كبيرا آخر لم ينكشف إلا بعدها بسبع عشرة سنة، وهو المتعلق بالدور الذى لعبته طائرات التجسس الأمريكية من القاعدة السرية فى صحراء النقب، وحجم إمدادها لإسرائيل بالمعلومات والصور الدقيقة أولا بأول. ليلا ونهارا، عن كل المواقع والاتصالات العسكرية المصرية والسورية طوال الحرب، والدور الحاسم الذى لعبه هذا كله، خصوصا فى إنجاح الضربة الجوية ضد سلاح الطيران المصرى. ومع كل هذا.. لم يكن ضرب الطيران المصرى يمثل تدميرا نهائيا للقدرة العسكرية المصرية إلا بعد أن صدر القرار المتعجل والمتخبط بالانسحاب الشامل من سيناء، لقد صدر هذا القرار فى اليوم التالى للحرب، ثم تعدل، ثم صدر من جديد، بما حول الجيش المصرى فى سيناء إلى زحام من الفوضى، وعجل تماما من الانهيار الشامل فى سيناء. وفى تلك الفوضى أصبح وصول القوات الإسرائيلية إلى الشاطئ الشرقى لقناة السويس

مجرد مسألة وقت، بينما أصبح الاستيلاء على الضفة الغربية لنهر الأردن محسوما منذ يوم ٦ يونيو.

مذكرات روستو لجونسون

أما بالنسبة للرئيس الأمريكي جونسون فقد تلقى من والت روستو مستشاره للأمن القومي في الساعة التاسعة وخمس دقائق - بتوقيت واشنطن - من مساء الاثنين ٥ يونيو، تقريراً شديداً السرية من حصيلة القتال في اليوم الأول من الحرب، مع مذكرة منه يقول فيها بالنص: (السيد الرئيس، مرفق مع هذا تقرير، خريطة، عن اليوم الأول من عملية «قتل الديك الرومي»).

توقيع ٩ . ٩ . ٩ روستو

وفي مساء اليوم التالي من الحرب «٦ يونيو» بعث والت روستو إلى الرئيس جونسون بمذكرة أخرى مرفق بها تقرير من الوفد الأمريكي لدى مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وقال روستو في مذكرته: «سيد الرئيس: لو تقدم الإسرائيليون بالسرعة الكافية، فإن أفضل رد من جانبنا سيكون هو وقف بسيط لإطلاق النار، أن هذا يعني أننا استطعنا استخدام موقف الأمر الواقع (الجديد) على الأرض لمحاولة التفاوض ليس من أجل العودة إلى خطوط الهدنة. ولكن من أجل (الوصول إلى) سلام محدود وحاسم في الشرق الأوسط. بالفعل، طوال يومي ٥ و٦ يونيو ظل الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة برئاسة آرثر جولد بيرغ، يقاوم كل محاولة لاستصدار قرار من مجلس الأمن يتضمن اعتبار إسرائيل معتدية، أو يطالبها بالانسحاب إلى المواقع السابقة على بدء الحرب، وأصبحت «مطالبة العرب بقبول وقف إطلاق النار بغير هذين العنصرين يتعادل مع مطالبتهم بالموافقة رسمياً على (شرعية) الهجوم الإسرائيلي، وكذلك على الأمر الواقع الجديد بشأن الأراضي التي أصبحت محتلة». وقد شعر العرب بمزيد من الصدمة حينما استسلم الوفد السوفياتي في الأمم المتحدة في النهاية للضغط الأمريكي في ٦ يونيو. ووافق على المشروع الأمريكي بالوقف البسيط لإطلاق النار، وهي أول مرة في تاريخ الأمم المتحدة يصدر فيها مثل هذا القرار. الذي لا يطالب المعتدي بسحب قواته إلى مواقع ما قبل الحرب، وأنه لم يعد هناك بديل. اضطر الأردن إلى قبول هذا الوقف البسيط لإطلاق النار في ٧ يونيو، وستتبعها مصر في ٨ يونيو وفي النهاية سوريا في ١٠ يونيو.

هكذا تمخضت حرب يونيو عن ضربات كبرى، وسوف تنتهى إلى احتلال إسرائيل لسيناء و قطاع غزة والضفة الغربية والجولان وهى أراضٍ تعادل ثلاثة أمثال مساحة إسرائيل ذاتها، والأسوأ من ذلك أن جيوش تلك الدول العربية الثلاث أصبحت فى حالة دمار شبه كامل.

ولأن الموقف العسكرى كان يبدو شبه محسوما منذ أصيب سلاح الطيران المصرى بالشلل فى اليوم الأول للقتال وصدرت القرارات المتخبطة والمتعجلة بسحب القوات المصرية من سيناء بعد ذلك، فقد تلقى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون فى صباح اليوم السابع من يونيو مذكرة سرية جديدة من والت روستو مستشاره للأمن القومى تتضمن «بعض الأفكار» ضمن أشياء عديدة من بينها «الموقف الإسرائيلى وعملية المساومة».

مذكرة سرية

وفى مذكرته السرية هذه قال والت روستو: إنه يبدو أن إسرائيل ستنتهى بالسيطرة على الضفة الغربية للأردن، وكل القدس، وكل شبه جزيرة سيناء، بما فى ذلك الضفة الشرقية لقناة السويس، أكثر من ذلك، فإن الإسرائيليين أصبحوا فى الوقت الحاضر فى موقف (يمكنهم من) السيطرة العسكرية على المنطقة. يعتمد- ولكن ليس بدرجة كبيرة- على مدى السرعة التى سيعوض بها السوفييت الطائرات «المدمة».

إن هذا- هكذا شعر روستو- هو الوقت المثالى لعمل مبادرة دبلوماسية تقوم بها الولايات المتحدة لتشجيع العرب والإسرائيليين على حل مشاكلهم على أساس إقليمى- إن دور الأمم المتحدة يجب أن يكون هو وضع إطار تصبح هذه الأشياء ممكنة من خلاله. ولكن بشرط ألا تنغمس الأمم المتحدة فى التفاصيل بدرجة كبيرة.

ووضع روستو بالتفصيل فى المذكرة الأهداف التى يأمل فى تحقيقها من خلال إعطاء العرب عرضا لا يستطيعون رفضه، وهذا العرض يتضمن تحول الراديكالية العربية إلى الاعتدال. وتنمية الشعور بالاعتزاز الإقليمى لكى يحل مكان الشعور العربى بالهزيمة والإذلال، والتعاون الإقليمى فى مجالات التنمية. بل وحتى التوصل إلى ترتيبات للحد إقليميا من سباق التسلح و«الأفضل التوصل إليها من داخل المنطقة ذاتها».

إن هذه الترتيبات الأخيرة سوف تؤدى بالطبع إلى أن يحتفظ الإسرائيليون بحالة السيطرة العسكرية الكاملة على منطقة الشرق الأوسط لسنوات عديدة تالية.

بكلمات أخرى: ترى تلك المذكرة السرية التي أعدها مستشار الرئيس جونسون للأمن القومي في صباح السابع من يونيو ١٩٦٧ أن احتلال إسرائيل الجديد للأراضي العربية في سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان يجب أن تتم المساومة به مع العرب في مقابل عرض لا يستطيعون رفضه، فإذا كانوا يرون استرداد أرضهم المحتلة فإن عليهم مقابل ذلك أن يسقطوا نظام جمال عبد الناصر في مصر (حيث هو نموذج الراديكالية العربية في القاموس الأمريكي وقتها) ويحل محله نظام آخر معتدل طبقاً لنفس القاموس، كما أن على العالم العربي أن يدير ظهره لتيار القومية العربية، وتنغلق كل دولة عربية على ذاتها في ظل مشاعر انعزالية إقليمية تملأ فراغ الشعور الجديد بالهزيمة والإذلال.

وكذلك على الدول العربية المعنية أن تدخل مع إسرائيل في «تعاون إقليمي» في مجالات التنمية. كما أن عليها أن تقبل الحد من تسليحها تحت سيف السيطرة العسكرية الإسرائيلية.

إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط

إن تلك الخطوة العريضة والمبكرة، سوف تظل هي أساس السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط بعد حرب يونيو ١٩٦٧ مباشرة، وطوال الفترة الباقية من رئاسة ليندون جونسون. وحينما يناقش المؤلف الأمريكي ستيفين فرين تلك الأفكار المبكرة التي بلورها روستو للرئيس جونسون في اليوم السابع من يونيو ١٩٦٧، فإنه يعلق متسائلاً: «هل كان هذا مجرد تبسيط وسذاجة، أو أنه كان شيئاً آخر. جزء من (سيناريو) تم فيه (إطلاق) الإسرائيليين. وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بشكل فعال. وإرغام العرب على التفاوض حول مستقبل المنطقة من مركز الضعف!».

ويرد ستيفن فرين بقوله: «إن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد على ما إذا كان جونسون وروستو يتصرفان كردود أفعال للأحداث، أو أن لهما يدا في تخطيطها. بل وحتى شاركا في صنعها».

والواقع أنه منذ البداية كانت هناك لجنة سرية خاصة شكلها ليندون جونسون ومهمتها «تنسيق ما يجري ومتابعة تنفيذ هذه «العملية الجراحية الكبرى» التي تجرى للعالم العربي. وأداتها الإقليمية الظاهرة هي إسرائيل.

وكان الحرص على السرية الكاملة في مهمات اللجنة هو أهم ما يريده ليندون جونسون. وفي بعض اللحظات أصبحت تلك السرية مطلوبة حتى في مواجهة وزارة الخارجية

الأمريكية ذاتها، وعلى سبيل المثال، تضم ملفات مجلس الأمن القومي الأمريكي مذكرة بتاريخ ١٩٦٧/٦/٧ سجل فيها ماتنجورج برندى- المستشار السابق للأمن القومي - الذى أصبح عضواً فى «لجنة التنسيق السرية»، هذه ملاحظاته التى يريد أن ينبه إليها الرئيس جونسون قبل أحد اجتماعات اللجنة، ومن بينها أنه «مع حضور عدد من مساعدى دين راسك (وزير الخارجية) فإنك قد لا ترغب فى مناقشة المهمات التنظيمية لعمل (هذه) اللجنة الخاصة».

وبالفعل أمر جونسون باستبعاد وزارة الخارجية الأميركية من اللجنة فيما عدا دين راسك نفسه، وكانت اجتماعات «لجنة التنسيق» السرية هذه تتم بطبيعة الحال برئاسة ليندون جونسون نفسه. أما متابعة تنفيذ المهمات المختلفة التى تقرها اللجنة فكان يتولاها بالطبع والت روستو مستشاره للأمن القومي.



الفصل الثالث

الإشارات الأمريكية والرفض العربى

- عبد الناصر يعترف: لقد عرفوا كيف يصطادونى.
- الجماهير العربية ترفض التنحى وما ترتب على حرب يونيو
- إسرائيل أنهت الحرب يوم ٨ يونيو.. ثم تلقت إشارة خضراء لاحتلال الجولان
- مستشار الأمن القومى الأمريكى ألح إلى إيبان بالهجوم على سوريا وضمن لإسرائيل عدم تدخل السوفيات عسكريا
- إسرائيل تعتمد على اليأس العربى والزمن.. والانتظار بجوار التليفون



قصة الهجوم على الجولان

طوال أيام ٥ و ٦ و ٧ يونيو كانت عملية «قتل الديك الرومي» في الشرق الأوسط تتقدم على أرض الواقع كما خطط لها بنجاح كامل، لقد تلقت مصر الضربة المقررة، والأردن فقد الضفة الغربية بعد أن حاولت إسرائيل إغراءه بالابتعاد عن طريق الجنرال أود بول كبير مراقبي الأمم المتحدة حينئذ، وكل من مصر والأردن قبلت وقف إطلاق النار غير المشروط، ولم يكن وقف إطلاق النار يمثل بعد قضية ملحة بالنسبة لسوريا. لأن المناوشات السورية في الحرب كانت محدودة حتى اليوم الثامن من يونيو، بالإضافة إلى أن مندوب سوريا في الأمم المتحدة أوضح أن بلاده ستمثل لوقف النار العام.

مكالمة من البيت الأبيض

وفى مساء الخميس ٨ يونيو تلقى أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلي مكالمة تليفونية مهمة من البيت الأبيض. كان أبا إيبان موجودا في نيويورك منذ بدأت مناقشات وقف إطلاق النار، وبعد قبول الأردن وقف إطلاق النار غير المشروط يوم ٧ يونيو، ثم مصر يوم ٨ يونيو، بدا إيبان مستعدا للعودة إلى إسرائيل..

وطبقا لما سجله أبا إيبان نفسه فيما بعد فإن: «مستشارا في البيت الأبيض أبلغني بأن مستر جونسون شاهد وسمع خطابي في مجلس الأمن بشعور من التقدير.. ومضى هذا المسئول ليقول لي: أليس من الغريب أن سوريا، وهي منشأ (هذه) الحرب. ربما ستكون هي الطرف الوحيد الذي سينجو من الإذلال؟ أليس من المثير للتناقض أن دولة مثل الأردن، وهي أقل ارتكابا للذنب، أصبحت تعاني من خسائر ضخمة، بينما سوريا ستظل حرة لكي تبدأ مشهدا مميتا آخر؟».

ويعلق أبا إيبان بقوله: «لقد استنتجت من هذه الملاحظة أن واشنطن الرسمية لن تكون شديدة الأسى أو الحزن فيما لو عانت سوريا من بعض العقوبات.. حتى لا يبدو موقف الأردن محل عقاب. على رغم موقفه المعتدل حتى يونيو ١٩٦٧».

لقد أصبح أبا إيبان الآن - ٨ يونيو - أكثر فهما للغة التعامل الحقيقية مع البيت الأبيض. مما كان عليه في الأسبوع السابق للحرب، ومن الواضح أن هذا «المستشار في البيت الأبيض» والذي يملك التعبير عن «واشنطن الرسمية» لم يكن سوى والت روستو.

ولم تكن فكرة ضرب سوريا عسكريا والاستيلاء على مرتفعات الجولان خصوصا بعيدة عن التفكير الإسرائيلي، فالواقع أنها كانت من بين الخطط التي أعدتها هيئة أركان الحرب الإسرائيلية منذ سنة ١٩٦٤ وظلت تراجعها أولا بأول. والآن، فمنذ إخراج سلاح الطيران المصري من المعركة في الساعات الأولى من الحرب، أصبحت القيادات العسكرية الإسرائيلية ترى أمامها فرصة ذهبية لتنفيذ خططها المقررة لضرب سوريا، ولكن اللجنة الوزارية المصغرة داخل مجلس الوزراء الإسرائيلي لم توافق لأن أعضائها كانوا واعين بالضبط لحدود الضوء الأخضر الأمريكي.

وهكذا فإن اللجنة الوزارية برئاسة ليفي اشكول، وفي مقدمتها موشى ديان وزير الدفاع، رفضت بالكامل خطط إسحاق رابين رئيس أركان الحرب وديفيد اليعازر قائد المنطقة الشمالية للاستيلاء على الجولان، وبحلول مساء يوم الخميس ٨ يونيو، أصبحت الحرب منتهية عمليا «بالنسبة لإسرائيل- على حد تعبير إسحاق رابين».

وفى منتصف الليل- ما زلنا يوم الخميس ٨ يونيو- اتصل رابين بديفيد اليعازر لكي يخطره رسميا بقرار اللجنة وبموقف موشى ديان خصوصا. وأنه عليه أن ينسى تماما خطة التحرك للاستيلاء على الجولان، بعدها ذهب إسحاق رابين إلى منزله لأول مرة منذ أربعة أيام لكي يبدأ نوما عميقا حتى الصباح.

الهجوم على الجولان

لكن فيما بين الثانية عشرة مساء الخميس والسادسة عشرة من صباح الجمعة ٩ يونيو، وقع (انقلاب) في تفكير موشى ديان- إن إسحاق رابين تلقى مكالمة تليفونية في السابعة من صباح الجمعة، واستيقظ من نومه على صوت عيزرا وايز مان رئيس هيئة العمليات وهو يبلغه بالخبر القنبلة: لقد اتصل ديان بديفيد اليعازر منذ ١٥ دقيقة وأمره بمهاجمة السوريين فورا!

ويقول إسحاق رابين إنه اتجه فورا إلى مقر القيادة حيث: «هناك عرفت بما حدث، إن (موشى ديان) جاء في السادسة صباحا واجتمع بضباط المخابرات لتقييم الموقف حيث تأكد أولا من التفسخ الكامل للجيش المصري في (سيناء).. وقبل الساعة السابعة بقليل. ولأسباب لم أدركها مطلقا. أصدر أوامره إلى ديفيد اليعازر بالهجوم على مرتفعات الجولان. وحينما سمع اليعازر أوامر ديان في التليفون. كانت تلك الأوامر مفاجئة له تماما بما جعله عمليا يسقط من فوق كرسيه».

وفى البداية تضايق رابين لأن وزير الدفاع تجاوز اختصاصه ، حيث رئيس الأركان هو المختص بإصدار أوامر العمليات ، لكنه لم يجد هنا وقتا مناسباً للجدل مع ديان حول الاختصاصات ، والأكثر مدعاة للضيق بالنسبة لإسحاق رابين هو أن ديان لم يفسر له مطلقاً ، لا وقتها ولا بعدها سر هذا التحول الكامل فى موقفه ما بين منتصف الليل إلى السادسة صباحاً .

لقد كان ديان يريد أن يضمن أولاً الانهيار الكامل للجيش المصرى ، ومن هنا ظل حتى اللحظة الأخيرة مصمماً على أن يتوقف التقدم الإسرائيلى عند مضائق سيناء ولا يمتد إلى شاطئ قناة السويس ، ولكن الانهيار جاء كاملاً فى القيادات العسكرية المصرية بأسرع مما توقع ديان ، فضلاً عن أنه بعد صدور قرار الانسحاب الكامل والشامل للجيش المصرى من كل سيناء : وتنفيذه بتلك الطريقة الفوضوية التى سجلتها صور الطائرات الأمريكية السرية بدقة بدقيقة : جعل الوحدات المصرية تتفكك تماماً وتتحول من جيش مقاتل إلى زحام من الجنود الذين يتركون أسلحتهم ويتجهون بسرعة إلى غرب القناة ، تنفيذاً لأوامر مكتبية صدرت من القيادة العامة بالقاهرة .

ضمان أمريكى بعدم تدخل السوفيات

أما الاعتبار الثانى الذى كان يخشاه ديان فهو احتمال التدخل العسكرى السوفياتى ، حيث يرى ديان أن دافع السوفيات هنا بالنسبة لسوريا سيكون أقوى منه بالنسبة لمصر . والآن وبعد أن تلقى ديان الضوء الأخضر من لجنة التنسيق السرية فى البيت الأبيض الأمريكى ، بشكل مباشر ثم بشكل غير مباشر عن طريق أبا ايابان ، فإن الأمريكيين أصبحوا يضمنون لـديان أن السوفيات لن يتدخلوا .. أو على الأقل لن يتدخلوا بسرعة كافية . وهكذا نقلت طائرات التجسس والتصوير والمعلومات الأمريكية العاملة من القاعدة السرية المهجورة فى صحراء النقب ، عملها على الفور من الجبهة المصرية إلى الجبهة السورية ، وأصبحت الأفلام التى صورها تلك الطائرات أولاً بأول : وعمليات التشويش على الاتصالات السورية بمثل ما تعامل من قبل مع الوحدات المصرية .. كتاباً مفتوحاً .

إذاعة وهمية

وفى البداية أخذ السوريون على غرة من الهجوم الإسرائيلى الشامل برا وبحرا وجوا . حيث كانوا قد أصبحوا فى حالة (استرخاء) نتيجة قرارات وقف إطلاق النار ، لكنهم سرعان ما بدأوا يقاتلون بشراسة طوال يوم الجمعة - ٩ يونيو - ولكن هنا أيضاً وقعت أشياء

غريبة تماما، حيث سمع الجنود في الجبهة مثلا إذاعة دمشق- أو ما حسبوا أنه إذاعة دمشق- تعلن في الثامنة والنصف من صباح السبت ١٠ يونيو سقوط القنيطرة وهي المدينة الرئيسية للجولان في أيدي الإسرائيليين- ولم يكن هذا صحيحا للمرة في تلك اللحظة، لكن الوحدات المقاتلة في الجبهة لم تدرك ذلك إلا بعدها بساعتين ونصف الساعة، ولحظتها كان الوقت قد أصبح متأخرا لإنقاذ القنيطرة «إن تشويش الاتصالات» كان يؤدي مهمته بنجاح في الجبهة السورية بمثل النجاح الذي حققه من قبل في الجبهة المصرية. لقد استخدمت موسكو الخط الساخن مع واشنطن، وجرت ضغوط متنوعة في مجلس الأمن الدولي، ومراوغات متعددة من إسرائيل أحيانا ومن الولايات المتحدة أحيانا أخرى، وفي النهاية، حينما بدأ سريان وقف إطلاق النار أخيرا في الجبهة السورية في السادسة والنصف من مساء الجمعة ١٠ يونيو، كانت إسرائيل قد استولت بالفعل على مرتفعات الجولان، وبذلك أصبحت هناك ورقة مساومة أخرى ليتم استخدامها في الضغط من أجل استكمال العملية الجراحية الكبرى- عملية إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.

وكان النجاح الكبير في هذه العملية كلها من نصيب ليندون جونسون، الذي لم يترك خلفه أي دليل قاطع على التواطؤ مع إسرائيل، وبذلك فإنه استوعب تماما دروس ١٩٥٦ بين انجلترا وفرنسا وإسرائيل، وحينما أعلنت الأردن ومصر في اليوم التالي من الحرب اشتراك طائرات أمريكية وبريطانية في الغزو الإسرائيلي، كانت الفكرة تفتقر تماما إلى الأدلة الدامغة التي لا بد منها في مثل هذه الحالة، وهو الأمر الذي دفع الملك حسين إلى سحب اتهامه علنا، لكن قضية جونسون كانت مع جمال عبد الناصر ومصر، وليس مع الملك حسين والأردن. وقد بادرت سبع دول عربية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية فوراً مع الولايات المتحدة.. ولم يكن جونسون ليتمكن من استعادة تلك العلاقات إلا بصدور بيان واضح من جمال عبد الناصر يسحب فيه تهمة التواطؤ- وهو الأمر الذي ظل عبد الناصر يرفضه دائما- فإذا كانت أدلة التواطؤ العسكري ما تزال- وستظل لسنوات- خافية، فإن أدلة التواطؤ السياسي على الأقل موجودة ودامغة.

خديعة كبرى

وحينما ذهب الملك حسين بعد الحرب بأسبوعين ليقابل الرئيس جونسون في واشنطن، فإنه وجده متفهما لموقف الأردن، ولكنه وجده أيضا مشحونا بالمرارة- بالمرارة الشديدة على حد تعبير الملك حسين- ضد مصر وجمال عبد الناصر على وجه الخصوص.

وكان هذا أمرا ملفتا تماما، ففي الوقت الراهن على الأقل أصبح لدى جونسون من الأسباب ما يجعله راضيا تماما عن نفسه وعن سياساته فى الشرق الأوسط- إن مصر لم يتم تحجيمها فقط، ولا تم سحقها عسكريا واحتلال جزء ملموس من أراضيها فقط، ولكن الأكثر إذلالا من ذلك أن إسرائيل بمفردها هى التى تبدو فقط فى الصورة كأداة فى هذا الإذلال، لقد بدا على السطح أن إسرائيل، وإسرائيل وحدها، هى التى دمرت ثلاثة جيوش عربية واحتلت سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان، وهى التى تتكلم الآن كمنتصر، وليس أمام مصر سوى أن تدفع ثمن الهزيمة، بل وأيضا تتحمل نصيبها صاغرة من «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط طبقا للمذكرة السرية التى أصبحت موجودة على مكتب الرئيس جونسون منذ السابع من يونيو.

والآن فان السؤال الملح هو: هل ستمضى تلك العملية فعلا كما هو مخطط لها؟ الواقع أن هذا السؤال وإجاباته المحتملة، كان هو أيضا الشغل الشاغل فى القاهرة منذ الدقيقة الأولى لحرب ١٩٦٧، لقد أدركت مصر أنها وقعت فى خديعة كبرى، وأدرك جمال عبد الناصر أن رأسه ونظامه مطلوبان من الرئيس جونسون. وأن ما يجرى ليس أقل من عملية كبرى تستهدف «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وهى عملية لم تكن وليدة اللحظة، ولا وليدة أحداث شهر مايو سنة ١٩٦٧ كله، إنها عملية جرى التخطيط لها قبل وقت طويل، وبإحكام ودقة، وفى صمت وتكتم، بحيث إن الأداة وحدها التى تبدو على المسرح، بينما الفاعل الحقيقى لم يترك سوى إشارات وشواهد متفرقة لا تكفى لإثبات سبق الإصرار والترصد منه بطريقة قاطعة.

عرفوا كيف يصطادونى

وربما فى نفس اللحظة التى كان الرئيس جونسون يقرأ فيها تلك المذكرة السرية من مستشاره للأمن القومى عن سياسات المستقبل فى الشرق الأوسط، كان الرئيس جمال عبد الناصر يجلس وحيدا فى غرفة فى منزله، واضعا رأسه بين كفيه، ومتمتعا بكلمات قليلة صدرت فى تلك اللحظة منه بإحساس غريزى بأكثر مما صدرت بحكم معلومات قاطعة، لقد دخل عليه أحد كبار مساعديه فسمعه وهو يتمتم كما لو كان يكلم نفسه: « لقد عرفوا كيف يصطادونى»..!

وبرغم الإصرار الأمريكى فى مجلس الأمن منذ اللحظة الأولى للحرب على عدم إدانة إسرائيل ومنع أى قرار يطالبها بالانسحاب، وبرغم تنكر الرئيس الأمريكى للتعهدات

السابقة بأن تقف الولايات المتحدة ضد أى عدوان فى المنطقة ، وفى أى شكل عبنى أو سرى ، وبرغم تنكره أيضا لتعهدده قبل الحرب بـ ١٣ يوما فقط بأن تظل الحدود القائمة بين إسرائيل وجيرانها هى تلك التى رسمتها اتفاقية الهدنة فى سنة ١٩٤٩ ، وبرغم الانكشاف المفاجئ لوجود سفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» على الحدود البحرية بين مصر وإسرائيل منذ بدء القتال ، ولغز قيام إسرائيل فيما بعد بإغراقها ثم إغلاق جونسون لهذا الملف بسرعة .. وبرغم .. إلا أن الجزء الذى أصبح ماثلا للعيان على أرض الواقع هو فقط ذلك الانهيار السريع الذى وقع فى القوات المسلحة المصرية ، وسوء التقدير الفادح فى الحسابات السياسية ، وأبرز ما فيه هو التعهد المصرى المسبق لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بعدم توجيه الضربة الأولى مطلقا ضد احتمالات الغزو الإسرائيلى .

وأصبح من الطبيعى أن يتحمل الرئيس جمال عبد الناصر المسئولية كلها . ومن ثم فقد أعلن فى التاسع من يونيو ١٩٦٧ قراره المفاجئ بالتنحى عن السلطة فى مصر ، فيما يعبر من جانبه لفهم الحقيقة والمغزى من حرب يونيو ، وأدرك بأنها الفصل الأول فى عملية كبرى «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط» .

إعادة البناء

وبنفس الإحساس الغريزى رفض الشعب المصرى ، والعالم العربى كله ، تنحى عبد الناصر من السلطة فيما أصبح يعنى رفضا شاملا لأهداف حرب يونيو من أساسها . هكذا بدأت عملية كبرى لإعادة بناء القوات المسلحة فى مصر من تحت الصفر وإعلان مبدأ «ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة» ، ولترجمة مشاعر الغضب والثأر إلى برنامج عملى وشامل للنهوض من جديد .

تمكنت إسرائيل قد خرجت من حرب يونيو فى صورة الدولة الصغيرة التى انتصرت بمقردها على جيرانها الأقوياء ، ولقنتهم جميعا درسا لن ينسوه ، تروج له بالصوت والكلمة والصورة حول العالم كله . والآن فإن إسرائيل تريد أن تفرض شروط المنتصر لأنه ليس أمام العالم العربى من بديل سوى الإذعان ، وأول ما تطلبه إسرائيل هو أن يأتى إليها العرب على مائدة التفاوض المباشر .

وفى الأسبوع الثانى من يونيو خرج أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلى يعلن : أن ما تريده إسرائيل (الآن) بسيط جدا ، وما تريده هو : الأمن والسلام !

وحتى لا يقع أحد ضحية البراءة الظاهرة للكلمات ، فان إيبان يستدرك بسرعة قائلا :
لكن الأمن والسلام لهما مضمون إقليمي يتعلق بالأرض.

الانتظار بجانب التليفون

أما بالنسبة للرئيس الأمريكي ليندون جونسون ، فان المكالمات التليفونية التي ظل ينتظرها مع مستشاريه في واشنطن هي التي تحمل خبر انهيار مصر من الداخل تحت وطأة الهزيمة الكبرى - بانقلاب عسكري ، أو بإفلاس اقتصادي ، أو بثورة شعبية ، أو بكل هذا معا - فتلك هي المقدمة التي لا يمكن تغييرها المضي في «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط». لقد تنكر جونسون لكل تعهداته السابقة وقام بحماية إسرائيل داخل الأمم المتحدة من أى مشروع قرار يدين عدوانها أو يطالبها بالانسحاب.. وبدلا من ذلك خرج يهاجم مصر ويحملها المسؤولية الكاملة لما جرى ، معتبرا أن القصة كلها بدأت من (حمافة) إغلاق خليج العقبة.

وهكذا لم تكن الهزيمة بالنسبة لمصر عسكرية فقط ، ولكنها كانت سياسية أيضا حينما اضطرت بحكم الضرورة إلى قبول وقف غير مشروط لإطلاق النار بعد أن أصرت الولايات المتحدة على عدم إدانة إسرائيل أولا ، وعدم مطالبتها بالانسحاب ثانيا. وقد ترى مصر أنها هزمت في معركة. ولكن جونسون سيظل يرى أنها هزمت في حرب. ومن ثم يرى أنه الآن أصبحت له الكلمة الأخيرة.

ومنذ البداية لاحظ الإسرائيليون أنه «حتى اليوم لم تتفوه الولايات المتحدة بكلمة واحدة ضد أعمالنا العسكرية ، وممثلها في الأمم المتحدة قاوم بشدة ونجاح كل المحاولات السوفيتية للحصول على قرار يدين إسرائيل ويطالب بالانسحاب قواتها».

وبالطبع لم يكن متصورا أن تشارك الولايات المتحدة في إدانة إسرائيل على غزوة شاركت هي في تخطيطها ، أما وقد انتهت الحرب فقد أصبح متصورا أن تتظاهر الدبلوماسية الأمريكية على الأقل باحترام ميثاق الأمم المتحدة الذي كانت هي الهدف الأكبر في صياغته من البداية.

إن الأمم المتحدة كمنظمة دولية لكي تجسد الأساس الجديد في مشروعية العلاقات الدولية فيما بعد الحرب العالمية الثانية. وحينما انعقد مؤتمر «الأمم المتحدة» في ٢٥ إبريل سنة ١٩٤٥ بمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية لمناقشة مشروع الميثاق الذي ستقوم على أساسه منظمة جديدة باسم «منظمة الأمم المتحدة» كان أساس النقاش هو مذكرة أمريكية تستوعب

الدروس التي كشفت عنها فترة ما بين الحربين العالميتين، وفشل عصبة الأمم المتحدة القديمة في فرض العقوبات على الدول التي رتبت لنفسها مكاسب إقليمية «حق الفتح والغزو العسكري»، ولذلك أصبح المبدأ الجوهرى فى ميثاق الأمم المتحدة هو «عدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة العسكرية». هكذا أصبح أساس العلاقات الدولية الجديدة فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية هو إصرار المجتمع الدولى على رفض أى اعتراف بحق الغزو والفتح العسكرى، وبالتالي لا يجوز للمعتدى أن يحصل أبداً على ثمار لعدوانه.

أمريكا تصر على المفاوضات

ومع ذلك فطوال مناقشات مجلس الأمن الدولى عقب نشوب حرب يونيو ظل آرثر غولد بيرغ ممثل الولايات المتحدة مصرا رسميا على ضرورة أن يتفاوض العرب أولا مع إسرائيل على ما اسماه: «القضايا السياسية التى غدت نيران الصراع فى المنطقة لعقود عديدة». وذلك قبل أى تفكير فى مطالبة إسرائيل بالانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧، وحينما يتم تجريد الكلمات من غلافها الدبلوماسى الرقيق فإنها تعنى عملية مكافأة إسرائيل على عدوانها، بل إن غولد بيرغ رفض أصلا استخدام كلمة «عدوان» أو احتلال «واستبعد تماما أى إشارة إلى ضرورة عودة إسرائيل إلى مواقع ما قبل الحرب، وهى سابقة خطيرة يمكن أن تنسف ميثاق الأمم المتحدة من أساسه. وبالتالي تنسف أساس الشرعية الدولية القائمة فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وبينما العرب يصرون على مبدأ الانسحاب الإسرائيلى الكامل. كان موقف غولد بيرغ هو التهمك على هذا الإصرار بكلمات ساخرة يقول فيها: إن العرب يريدون إعادة الفيلم إلى الخلف فى «البروجى كنور»!

وفى مقابل ذلك برز الرئيس الفرنسى شارل ديغول كزعيم غربى أعلن من قبل الحرب أن فرنسا ستكون ضد الطرف الذى يبدأ بالعدوان، وحينما بدأت إسرائيل الحرب أعلن ديغول بوضوح إدانة إسرائيل، وكذلك أوقف كل صادرات الأسلحة الفرنسية إليها، بما فى ذلك خمسون طائرة «ميراج» كانت إسرائيل قد سددت ثمنها فعلا.



**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الرابع

الرفض الشعبى والرسمى للاستسلام

- عبد الناصر فى الخرطوم: لست قلقا بالنسبة للموقف فى مصر.. والوقت فى الضفة الغربية والقدس ضدنا
- قمة الخرطوم بالتفاصيل الموثقة
- ما تضمنته رسالة جونسون لعبد الناصر عبر تيتو
- موقف واشنطن: دع الوقت يمر.. فالعرب قادمون للتوقيع على ما تطلبه إسرائيل وأمريكا
- جولد بيرغ لكوزنشوف: اتفاننا أصبأ حصانا مينا وكوزنشوف یرد: ولكنة مسأل فى رسالة من جونسون لكوسيجن.



أصرت واشنطن على إجبار العرب على التفاوض مع إسرائيل، بينما أصر العرب على ضرورة الانسحاب الإسرائيلي، وطلب عدد كبير من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، بما فيهم فرنسا عقد دورة طارئة للجمعية العامة، كمخرج من الجمود الذي عانى منه مجلس الأمن الدولي نتيجة الموقف الأمريكي.

إن مجلس الأمن هو السلطة التنفيذية طبقا لميثاق الأمم المتحدة، بينما الجمعية العامة قراراتها بمثابة توصيات تصدر بأغلبية الثلثين، ومع ذلك فإن قيمتها المعنوية تتركز في تعبيرها عن إرادة المجتمع الدولي بعيدا عن حق الاعتراض- الفيتو- المكفول للدول الخمس الكبرى دائمة العضوية.

وذهب الكثيرون من رؤساء الدول والحكومات لحضور تلك الدورة الطارئة، بمن فيهم الملك حسين ملك الأردن واليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي وكذلك رؤساء حكومات أخرى كإيطاليا والدنمارك ووزراء خارجية فرنسا وبريطانيا. ولكن هذا كله تم في مواجهة ضغط أمريكي مكثف لم تشهده الأمم المتحدة منذ مناقشات تقسيم فلسطين في سنة ١٩٤٧.

ومن البداية، وبضغط مارسه الرئيس جونسون شخصيا، ثم ترتيب كلمة أبا أيبان وزير خارجية إسرائيل، وفهم أيبان على الفور أن المطلوب هو تصوير إسرائيل إعلاميا في الولايات المتحدة باعتبارها الدولة الصغيرة التي تواجه إمبراطورية كبرى تقود الحركة الشيوعية في العالم- وهي صورة شديدة الجاذبية إعلاميا بالنسبة للمواطن الأمريكي العادي، ومن ثم فقد أصبح أيبان في كلمته يقوم بدور الممثل الذي يقوم بدوره جيدا، مشيرا بعد كل فقرة إلى رئيس الوزراء السوفياتي الجالس في مقعده لأنه هو الذي أمد العرب بترسانة من الأسلحة سحقتها الدولة الصغيرة المسالمة- إسرائيل- وحدها.

بيان مفاجئ لجونسون

وزيادة في ذلك اختار الرئيس ليندون جونسون أن يذيع على الهواء مباشرة. قبل بدء اجتماعات هذه الدورة الخاصة بساعة واحدة. بيانا مفاجئا عن السياسة الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط، وقد تضمن البيان الذي أذاعه جونسون في ١٩ يونيو ١٩٦٧ خمسة

مبادئ لا بد من توفرها للتسوية الجديدة في الشرق الأوسط وهي : الاعتراف بحق الوجود القومي - العدالة للاجئين (الفلسطينيين) - حق المرور البحري البري - الحد من سباق التسلح - الاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ووحدة أراضيها.

ومن الناحية النظرية فإن الإصرار العربي على ضرورة انسحاب إسرائيل إلى مواقع ٤ يونيو ١٩٦٧ يمكن أن يتدرج تحت المبدأ الخامس الذي ذكره جونسون، لكن من الناحية العملية فإن كل المبادئ الخمسة لم تكن سوى كلمات شديدة العمومية يمكن أن تتحمل مائة معنى ومعنى. فضلا عن أنها اعتبرت تطابقا كاملا بين الموقفين الأمريكي والإسرائيلي من حيث ارتباط أي انسحاب إسرائيلي بثمن ومكافأة لا بد أن تحصل عليها إسرائيل مقدما، قبل أن يصل الحديث إلى أي انسحاب.

وهكذا أصبح الموقف الأمريكي في تلك اللحظة هو : إقامة إطار دبلوماسي لتسوية سلمية، وبعدها يجري السماح للوقت بأن يمر إلى أن يصبح العرب مستعدين للتفاوض من أجل استعادة أراضيهم، وبخلاف المساعدة في إقامة الإطار الدبلوماسي فإن كل ما تحتاجه الولايات المتحدة هو أن تضمن عدم تحول الميزان العسكري ضد إسرائيل.

بكلمات أخرى : دع الوقت يمر.. فالعرب قادمون في النهاية للتوقيع على ما تطلبه منهم إسرائيل والولايات المتحدة. وإلى أن يحدث ذلك فإن هدف جونسون هو «ضمان استمرار الأمر الواقع الجديد» الذي خلفته حرب يونيو.

مراوغات واشنطن

وحينما تقدمت بعض دول أمريكا اللاتينية بمشروع قرار إلى الجمعية العامة ينص على انسحاب إسرائيل إلى مواقع ٤ يونيو، عملت الدبلوماسية الأمريكية ليل نهار - خصوصا في عواصم أمريكا اللاتينية وأوروبا الغربية - لكي تمنع حصول القرار على أغلبية الثلثين المطلوبة، وحدث نفس الشيء في مشروع مماثل تقدمت به يوغوسلافيا. وكان كوف دي مورفيل وزير خارجية فرنسا هو الذي واجه آرثر جولد بيرغ في صالة الوفود قائلا له بحدة على مسمع من عديدين : إنكم فعلا تجاوزتم الحدود.. هل تريدون هدم المعبد على من فيه ! ولقد كان الرئيس الفرنسي شارل ديغول يصر من البداية على ألا تحتكر الولايات المتحدة الحل والربط في الشرق الأوسط، وقد حذر إسرائيل عدة مرات من نتائج علاقتها «الخاصة» هذه مع الولايات المتحدة في المدى الطويل، مكررا أن الدول الأربع الكبرى - وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا وبريطانيا - يجب أن تشارك في صياغة الحل.

لكن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون علق على ذلك بطريقة ساخرة فجة قائلا: أى دول أربع؟ فيما عدا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى.. ما هما الدولتان الأخريان؟! ومع ذلك، فحتى الاتحاد السوفياتى لم ينج فى أية لحظة من مراوغات جونسون، وحينما اجتمع مع كوسيجين فى مدينة جلاسبور الأمريكية- ولكن بالتدريج- أمكن لأندرية جروميكو وزير الخارجية السوفياتى التوصل إلى صيغة لموقف مشترك مع الأمريكيين، إن دين راسك وزير الخارجية قال: كما أصبحت عادته مؤخرا، إن آرثر جولد بيرغ هو المفوض من الرئيس جونسون فى نيويورك، ووالث رستو فى واشنطن، بالنسبة لأى اتفاق يتعلق بالمسألة العربية الإسرائيلية فى هذه المرحلة، وبناء على ذلك اجتمع السفير السوفياتى دوبرينين بوالث روستو فى واشنطن.. واجتمع جروميكو بجولد بيرغ فى نيويورك فى ١٩ يوليو ١٩٦٧، وتم الاتفاق على مشروع قرار: «يؤكد مبدأ عدم السماح للاستيلاء على الاراضى من خلال الحرب فى ظل ميثاق الأمم المتحدة، ويطلب من كل أطراف الصراع أن تقوم بدون تأخير بسحب قواتها من الأراضى التى احتلتها بعد ٤ يونيو ١٩٦٧، ويؤكد بنفس القدر مبدأ الاعتراف بدون تأخير بكل عضو من دول المنطقة بحق الحياة فى سلام وأمن كدولة مستقلة، وكذلك التخلّى عن الادعاءات والأعمال التى لا تتماشى مع ذلك».

بكلمات أخرى: توافق الولايات المتحدة على انسحاب إسرائيل الكامل إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧. مقابل إنهاء الدول العربية لحالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف لها بحق «الحياة».

اتفاقنا حصان ميت

ولكن سرعان ما تراجعت الولايات المتحدة عن هذا الموقف المشترك مع الاتحاد السوفياتى، ففيما بعد حينما عادت المناقشات إلى مجلس الأمن طلب كوزنتسوف نائب وزير الخارجية السوفياتى من جولد بيرغ أن يكون هذا الاتفاق الأمريكى السوفياتى هو أساس المشاورات لاستصدار قرار.

لكن جولد بيرغ رد عليه مستنكرا: أى اتفاق؟ لقد أصبح اتفاقنا مجرد حصان ميت. ورد عليه كوزنتسوف مستغربا: كيف ذلك؟ إن هذا الاتفاق مسجل فى رسالة رسمية بعث بها الرئيس جونسون إلى (رئيس الوزراء) كوسيجين. فهل تقصد أن جونسون هو الآخر.. حصان ميت؟!...

وكان وراء هذا التغير الأمريكي المفاجئ سببان جوهريان، أحدهما يتعلق بإسرائيل، والآخر يتعلق بالعرب، وبمصر على وجه الخصوص. فبالنسبة لإسرائيل اجتمع جولد بيرغ مع أبا اييان وزير خارجية إسرائيل في العشرين من يوليو ليخاطبه بهذا الاتفاق الأمريكي السوفياتي، وهنا: «دارت واحدة من أكثر المناقشات حرجا على الإطلاق بين الولايات المتحدة وإسرائيل، لقد كانت مواجهة مؤلمة على ضوء التوافق السياسى بيننا، وأيضا التوافق فى تصوراتنا، لما يجب أن يكون عليه العالم العربى بعد حرب يونيو ١٩٦٧».

فى الواقع أن إسرائيل بعد أن أسكرتها نشوة النصر الجارى لم تكن تحلم به. بدأت تطمح إلى عمل تغيير نوصى فى طبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة، فالآن لم تعد إسرائيل تقنع بدور الدولة «العميلة» التى تصدر إليها التعليمات فقط. لمجرد أنها تعيش من جدول المرتبات الأمريكى، ولكنها الآن تريد أن تصبح «الشريك الاقليمى» للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، فليكن نصيب الولايات المتحدة هو تحجيم مصر وعزلها وتعديل سياساتها، ومن نصيب إسرائيل يجب أن يكون كبيرا بنفس القدر. فيصبح على الأقل: إطلاق يد إسرائيل فى الشرق العربى.

الملك حسين يرفض

وهكذا، فعلى ضوء نتائج حرب يونيو أصبح أبا اييان يرى: «أن الملك حسين أصبح الآن أقوى حاكم فى العالم العربى ويجب على الإسرائيليين أن تدعمه تماما: وباختصار. فإن إسرائيل و(الملك) حسين يجب أن يقتسما معا العالم العربى فيما هو شرق قناة السويس، يجب أن يقيما معا تحالفا، تضمن إسرائيل بمقتضاه المملكة الهاشمية، وربما يتضمن هذا (مستقبلا) العراق كذلك. إن القوات الإسرائيلية ستظل مرابطة على نهر الأردن، وإذا نهأت الحاجة فإنها ستربط أيضا عند محطة - اتش ٥ - وهى محطة ضخ البترول على خط الأنابيب الممتد من كركوك إلى البحر الأبيض المتوسط، والتى تقع على الحدود الأردنية العراقية، حينئذ يتم عزل سوريا بعد أن تم عزل مصر.

فى تلك الفترة كان مجلس الوزراء الإسرائيلى قد فوض أبا اييان فى إعداد التصور الإسرائيلى بالنسبة للأردن. ومن الواضح أن نقطة الانطلاق فى ذهن أبا اييان هى أن تمثل العلاقة الإسرائيلية الأردنية امتدادا للعلاقة الأمريكية البريطانية. ولكن الترجمة العملية لهذا التصور أصبحت تعنى أولا توقيع معاهدة سلام إسرائيلية مع الأردن، وثانيا أن

يتنازل الملك حسين عن القدس العربية ويعترف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل ، وثالثاً أن يقر الأردن بالتنازل عن :ثلاثة وثلاثين بالمائة من الضفة الغربية لإسرائيل، وهذا هو ما عرف فيما بعد باسم «مشروع ألون» ، نسبة لايغال ألون الوزير الإسرائيلي الذي وضع حينئذ الجانب العسكري من هذا :التصور الإسرائيلي».

العرب لا يستسلمون

وتلك الطموحات الإسرائيلية كانت تفترض بالطبع استعداد الملك حسين للتكيف مع وقائع ما بعد حرب يونيو كخاتمة للصراع- وهو الأمر الذي أدركت إسرائيل بسرعة أن الملك حسين يرفضه بالكامل . ففي الواقع أن الملك حسين في تلك الفترة ذاتها كان يعمل بلا كلل لعقد مؤتمر عربي للقمة لبلورة خطة عمل عربية.

أما العامل الأكثر حسماً لتلك الطموحات الإسرائيلية فهو افتراض أن مصر قبلت نتائج حرب يونيو باعتبارها الكلمة الأخيرة ولن تفكر مطلقاً في إعادة بناء جيشها كما أنها لن تتمكن من ذلك ، وسوف يتجرع جمال عبد الناصر- أو من يحل محله- مرارة التقوقع داخل عزلة يدعمها العالم العربي استرضاء للولايات المتحدة، وهو ما يعني أن انهيار مصر لم يعد سوى مسألة وقت بالنسبة للتفكير الإسرائيلي حينئذ.

ولكن بدلاً من الانهيار الداخلي في مصر ، أو التحول من الراديكالية إلى الاعتدال حسب القاموس الأمريكي في مذكرة والت روستو السرية يوم ٧ يونيو.. وبدلاً من مسارعة الدول العربية إلى الرئيس ليندون جونسون لكي تسترضيه وإلى إسرائيل لكي تملئ شروطها على مائدة المفاوضات.. فإن الذي حدث هو العكس تماماً.

لقد خرجت المظاهرات في مصر والعالم العربي تعلن تمسكها بجمال عبد الناصر، وتفرض على معظم الدول العربية الاستمرار في قطع العلاقات الدبلوماسية تضامناً مع مصر، وتطالب بالنهوض من جديد لأخذ الثأر بالقوة العسكرية.

وبدأ الرؤساء العرب يتوافدون على القاهرة لإعلان تضامنهم في رفض قبول الهزيمة أو مكافأة إسرائيل على عدوانها . كما وصل وفد عسكري سوفيتي إلى القاهرة في ١٦ يونيو، ثم وفد سياسي برئاسة نيكولا برديجورني في ٢١ يونيو.

وخلال هذا كله استمر وصول الشحنات العسكرية العاجلة من عدة دول عربية . وهي شحنات كانت قد بادرت بها الجزائر دون انتظار ، واعتباراً من اليوم التالي في الحرب

مباشرة، وخصوصا الطائرات، وكذلك من الاتحاد السوفياتي بحيث إنه في كل دقيقتين ونصف طائرة تنزل محملة ١٠ طن سلاح، وكان هذا بمثابة (كوبري جوي بين موسكو والقاهرة خلاف السفن).

وبالنسبة لمن يرصد تلك التطورات السريعة، لم تكن تلك علامات دولة تنهار في مصر، أو لإرادة سياسية تنوى قبول الأمر الواقع أو الاستسلام له.. ولا هي أيضا علامات عن ظهور اتجاه جديد في العالم العربي يسعى إلى استرضاء الرئيس الأمريكي ليندون جونسون.

من جونسون لعبد الناصر عبر تيتو

وهكذا بادر الرئيس جونسون في ٩ أغسطس بكتابة رسالة إلى الرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو بهدف إبلاغها إلى الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة.

وفي تلك الرسالة قال جونسون: «.. إن الولايات المتحدة توافق أيضا على أن أية تسوية يجب ألا تؤدي إلى إذلال الدول العربية أو تجبرها على التنازل عن أية حقوق أو مصالح مشروعة تتمسك بها.. وأن الولايات المتحدة سوف تأخذ في اعتبارها الكامل حقوق ومصالح الدول العربية. وكذلك تلك الخاصة بإسرائيل».

أما بالنسبة لما بدأت إسرائيل تطلبه من ضرورة اعتراف مصر (الجمهورية العربية المتحدة) والعرب بها، وكذلك التفاوض المباشر معها فإنه: «من وجهة نظر الحكومة الأمريكية، فإن تخلي الجمهورية العربية المتحدة عن أهدافها الحربية لا يتطلب منها على سبيل المثال أن تعلن اعترافها بإسرائيل أو أن تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي».

In the view of the American Government an abandonment of claims of belligerency would not require the U. A. R for example, to extend recognition to Israel or to establish diplomatic with it, 0

وذلك يعنى. بالإضافة إلى أشياء أخرى، حق جميع الدول في استخدام معر تيران وقناة السويس. وإنهاء أى مطلب أو حق في استخدام القوات المسلحة، أو التهديد باستخدامها، من جانب إحدى دول الشرق الأوسط في مواجهة دولة أخرى فيه.

بكلمات أخرى: فإن كل ما يطلبه الرئيس جونسون من مصر- الآن في أغسطس ١٩٦٧- هو إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل. والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور في قناة السويس

وممر تيران فى خليج العقبة ، ولكن ، ليس مطلوبا من مصر أى اعتراف بإسرائيل أو تفاوض مباشر معها أو تبادل للتمثيل الدبلوماسى .

ولكن : لا حديث بالمرّة عن الضفة الغربية والجولان ، خصوصا وان الملك حسين لم يحصل من الرئيس جونسون حينما قابلته فى الشهر السابق - يوليو - بواشنطن سوى على وعود غامضة حول الضفة الغربية ، وهو عكس ما كان يتوقعه جمال عبد الناصر فى القاهرة حيث إنه كان يتصور : «أن الولايات المتحدة، لابد أن تضطر إلى أن تقف مع الملك حسين موقفا مختلفا عن موقفها معه هو .

القدس

فى نفس الوقت كانت القدس تتصدر المناقشات فى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وبداية فإن مساحة القدس التى تحددت أولا فى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ هى مجرد نصف فى المائة من مساحة فلسطين ، وقتها تحدث القرار عن حكم دولى خاص بمدينة القدس ، الآن حينما تبحث الجمعية العامة للأمم المتحدة لأول مرة إجراءات إسرائيل الاحتلالية فى القدس المحتلة فى الرابع من يوليو ١٩٦٧ - أى فى ذروة النشوة الإسرائيلية بغزوتها الكبرى وانسحاق العرب تحت وطأة الهزيمة . مع ذلك قررت الأمم المتحدة أنها : «تدعو إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات التى اتخذت والامتناع عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير وضع القدس» .

ولأننا هنا نريد فقط التركيز على الجانب السياسى فى قضية القدس . وفى هذا الجانب كان المجتمع الدولى كله واضحا من البداية فى رفضه القاطع لاحتكار إسرائيل السيادة على مدينه القدس ، ولم تشذ عن هذا الموقف أية دولة ، بما فى ذلك الولايات المتحدة ذاتها التى اعتادت حماية إسرائيل كثيرا عن غضب المجتمع الدولى بل إن الموقف الأمريكى هنا كان متسقا مع ذاته ، وبرغم تراجعهم فى نواح أخرى من القضية الأشمل ، إلا أنه بالنسبة لمدينة القدس على وجه الخصوص ظلت الولايات المتحدة ترفض الموقف الإسرائيلى تماما منذ لحظة البداية التى تصورتها إسرائيل فرصة ذهبية لفرض الأمر الواقع على عالم عربى مهزوم .

ففى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ كانت إسرائيل تشعر بنشوة جارفة أسكرتها تماما إلى الحد الذى جعل الكنيست - البرلمان - الإسرائيلى يصوت فى ٢٧ يونيو ١٩٦٧ على مشروع

يخول للحكومة الإسرائيلية بسط سيادتها على القدس الشرقية والعربية، ويفوضها اتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك. وبادر أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل الموجود حينئذ في نيويورك مشاركا في مناقشات الأمم المتحدة بشأن أزمة الشرق الأوسط إلى الاتصال برئيس وزرائه - ليفي اشكول يومذاك - يرجوه تأجيل اتخاذ أى خطوة حكومية لتنفيذ قرار الكنيست حتى لا يؤثر هذا سلبيا على مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة. وانضم إليه يومها في هذا الرجاء الياهو بن اليسار ممثل حزب «حيروت» في الوفد الإسرائيلي وأحد مساعدي مناحيم بيغن المقربين، الذى سيصبح فيما بعد أول سفير لإسرائيل لدى السادات.

ولكن ليفي اشكول لم يأخذ بوجهة نظر وزير خارجيته. وبادرت الحكومة الإسرائيلية في اليوم التالى إلى تنفيذ قرار الكنيست، وبالطبع أدى هذا إلى مضاعفات دولية انعكست على مناقشات الأمم المتحدة، مما جعل الولايات المتحدة تسجل موقفها رسميا في ١٤ يوليو ١٩٦٧ على لسان سفيرها في الأمم المتحدة الذى قال: «بالنسبة إلى الإجراءات المحددة التى اتخذتها حكومة إسرائيل في ٢٨ يونيو أود أن أوضح أن الولايات المتحدة لا تقبل ولا تعترف بأن الإجراءات الادارية التى اتخذتها حكومة إسرائيل في ٢٨ يونيو يمكن اعتبارها الكلمة الأخيرة في المسألة. ونحن نأسف لاتخاذها. إننا نصر على أن تلك الإجراءات لا يمكن اعتبارها سوى إجراءات مؤقتة. كما أنها لا تقرر مسبقا الموقف النهائي أو الدائم لمدينة القدس». كان هذا هو الموقف الأمريكى الرسمى في ظل رئاسة ليندون جونسون نفسه، شريك إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧، وعلى لسان آرثر جولد بيرغ ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة وهو الآخر محامى إسرائيل في المنظمة الدولية.

وبقفزة سريعة - مؤقتا - سنجد مرة أخرى تكرر هذا الموقف الرسمى الأمريكى في أول يونيو ١٩٦٩ على لسان مندوب أمريكى آخر في الأمم المتحدة، هو تشارلز يوست، وفي ظل رئيس آخر هو ريتشارد نيكسون. ويومها وقف يوثانت فأعلن في مجلس الأمن الدولى «أن الولايات المتحدة تعتبر أن ذلك الجزء من مدينة القدس الذى أصبح تحت الاحتلال الإسرائيلى في حرب يونيو هو مثل الأراضى الأخرى التى احتلتها إسرائيل أرضا محتلة ومن ثم يخضع لأحكام القانون الدولى».

هكذا كان الموقف الرسمى الأمريكى إذن، بالنسبة إلى القدس العربية شديد القطع والوضوح منذ البداية مما جعل أبا إيبان يقول في مذكراته: «كانت غلطتنا الرئيسية في شأن القدس أننا لم ننسق موقفنا مقدما مع الولايات المتحدة. وهى غلطة لم نكررها في المواضيع الأخرى».

هناك أذن موقف أمريكي محدد بالنسبة إلى القدس وظل متناسقا في ظل إدارات متعاقبة. وخلاصته ؛ أن القدس الشرقية التي احتلتها إسرائيل في يونيو ١٩٦٧ هي أرض محتلة وينطبق عليها ما ينطبق على بقية الاراضي العربية المحتلة. وفي مقابل ذلك هناك موقف اسرائيلي يقوم على فرض الأمر الواقع من جانب واحد أملا في أن يؤدي ذلك مسبقا إلى استبعاد القدس من أية مفاوضات تالية. وهذا هو بالضبط ما تحاول إسرائيل عمله في كل المراحل التفاوضية التالية.

ولكن القصة لا تنتهى عند هذا الحد فإسرائيل من جانبها تحرص على إخفاء هذه الصفحة الجوهريّة في ملف القدس، كانت هي التي تطوعت بكتابتها مبكرا أملا في النجاة من المزيد من الإجراءات الدولية. فلقد حدث أن تلقى الأمين العام للأمم المتحدة ذات يوم رسالة رسمية من إسرائيل تقرر فيها الحكومة الإسرائيلية انه : «لا تدعى لنفسها سيطرة منفردة أو مانعة على الأماكن المقدسة للمسيحية والإسلام».. و: «أننا سنكون مستعدين ضمن تسوية سلمية إلى التعبير عن هذا المبدأ في شكل ملائم».

إن تاريخ تلك الرسالة هو العاشر من يوليو ١٩٦٧ وقد وقعها عن إسرائيل بالطبع وزير خارجيتها حينئذ.. أبا ايابان. لكن كان اللافت في هذه الحالة أن إسرائيل وقعت على تلك الرسالة توقيعين آخرين لاثنيين من الوزراء الإسرائيليين هما زيراخ وارفينج ومناحيم بيغن. نعم.. بيغن.. صقر الصقور في إسرائيل ووزير الدولة حينئذ والأب الروحي الذي ما يزال حزب الليكود يستلهمه حتى الآن. وحينما وضع مناخيم بيغن توقيعيه على تلك الرسالة الرسمية الموجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة كان العرب مازالوا يرضخون تحت وطأة هزيمة عسكرية مدوية وإسرائيل في ذروة نشوتها، وذراعها الطويلة تقبض على أراض عربية بثلاثة أمثال مساحة إسرائيل.

لنلاحظ هنا مبدئيا أن الموقف الأمريكي الأول يوليو ١٩٦٧ تم بينما العالم العربي كله تقريبا قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع أمريكا... والموقف الأمريكي الثانى يوليو ١٩٦٩ تم في قمة حرب الاستنزاف المصرية ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وإذا كانت الولايات المتحدة خشيت عرب ١٩٦٧ وبرغم هزيمتهم العسكرية وانقطاع العلاقات الدبلوماسية معهم.. إلا أننا نجد عكس ذلك تماما مع عرب السنوات التالية، برغم أكتوبر والبترول والعلاقات الخاصة مع الشريك الأمريكى.

وما تسعى إليه إسرائيل الآن ليس ضم القدس فهي قد ضمتها فعلا ولا هو رفع علمها هناك فهو مرفوع منذ سنة ١٩٦٧ ولكن الذى تسعى إليه إسرائيل هو الحصول على الغطاء الأمريكى.. فهذه هي الشرعية الوحيدة التي تعيش بها إسرائيل وتضم وتتوسع.

ويقول أبا اييان في مذكراته : «إن الولايات المتحدة- وطوال ١٧ سنة- لم تصدر عنها كلمة إدانة واحدة ضد الحرب الإسرائيلية في يونيو سنة ١٩٦٧ ولكنها أدانت ضم القدس منذ سنة ١٩٦٧».

وفي هذا السياق تأتي الدلالة البالغة لإثارة موضع القدس بعد ذلك في الكونجرس الأمريكي وفي محاولة إسرائيل الحصول على الاعتراف الدبلوماسي الكامل من الفاتيكان بها لأول مرة منذ سنة ١٩٤٨ ولم تكن تلك مجرد خطوة أخرى في تداعيات السنوات الأخيرة. إن هذا الاتفاق لا يقضى فقط بالاعتراف المتبادل وتبادل السفراء بين الفاتيكان وإسرائيل، ولكنه كان يمثل أيضا تحولا مفاجئا عن التزام بالحق الفلسطيني مارسه الفاتيكان دائما من قبل، كما أن أهميته السياسية الأخرى تأتي من آثاره المتوقعة على موقف القدس في أية تسوية نهائية بين إسرائيل والفلسطينيين، وفي هذه الأيام بالذات... لأن القدس- في الواقع هي استكمال لحرب يونيو سنة ١٩٦٧ إنها في التطبيق العملي أخر معارك تلك الحرب!.

قمة الخرطوم

عودة إلى أجواء هزيمة ١٩٦٧ ومساعي الملك حسين إلى عقد قمة عربية فقد أسفرت المشاورات العربية عن ضرورة عقد اجتماع طارئ للقمة في العاصمة السودانية الخرطوم. وسافر عبد الناصر إلى هناك في أول مواجهة عربية بعد هزيمة يونيو، وكانت المفاجأة التي أذهلت المعلقين الغربيين هي ضخامة الاستقبال الشعبي لعبد الناصر. بخروج مئات الآلاف من السودانيين ترحيبا به ومطالبة بتحرير الأرض والثأر من إسرائيل.

وكانت هناك مشكلة عاجلة تتعلق بخسارة مصر لمواردها من قناة السويس نتيجة إغلاقها وكذلك ضياع مواردها من بترول سيناء، وهو ما يعنى تحمل الاقتصاد المصرى لمائة وعشرين مليون جنيه استرليني خسائر سنوية لهذا السبب وحده. فضلا عن الأعباء الضخمة التي سيتطلبها إعادة البناء العسكرى.

وحينما بدأت الجلسة الرسمية للمؤتمر أثير موضوع دعم دول المواجهة مع إسرائيل وأنصبة دول البترول العربية في ذلك، ورفع الملك فيصل ملك السعودية يدده مشيرا بأصابعه الخمسة. بما يفيد أن السعودية ستساهم بخمسين مليونا من اجمالى المبلغ المطلوب. وهو ١٣٥ مليون جنيه استرليني- مائة وعشرون مليونا منها لمصر وخمسة عشر مليون للأردن

(لم تكن سوريا قد حضرت المؤتمر). ثم أعلن الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت استعداد الكويت لدفع ٥٥ مليون جنيه، وقررت ليبيا المساهمة بالثلاثين مليوناً الباقية. (وبعدها حينما علم عبد الناصر بأن وزير الاقتصاد الأردني يطلب ٤٠ مليون جنيه استرليني وليس ١٥، قرر عبد الناصر تحمل هذا المبلغ من نصيب مصر بدلا من مطالبة الدول العربية برفع مساهماتها، وهكذا أصبحت مصر تحصل على ٩٥ مليون جنيه والأردن على ٤٠ مليوناً).

لكن المشكلة الحقيقية التي سيكون لها انعكاسات على سياسات المستقبل، كانت تتعلق بالضفة الغربية المحتلة التي لن تستطيع الأردن استعادتها بالعمل العسكري.

عبد الناصر يطلب الإسراع باستعادة الضفة

وقال عبد الناصر: إن العمل السياسي شاق ويحتاج إلى نضال عنيف، إن الموقف السياسي بالنسبة إلينا في مصر اختلف كثيرا بعدما اتخذنا اليوم قرار الدعم الاقتصادي لدول المواجهة، لأن الأمريكان كانوا يعتقدون أننا سوف نستسلم بعد ستة أشهر، لكن هذا الدعم سيمكننا من الصمود. وموقفنا في مصر يختلف كثيرا عن موقف الملك حسين في الأردن، لأننا في مصر نستطيع أن نصمد سنة وسنتين وأكثر، إننا في مصر نستطيع الانتظار حتى نستكمل استعدادنا العسكري وعندئذ نقوم بالعمل الوحيد الذي تفهمه إسرائيل جيدا، وهو تحرير الأرض بالقوة، من هنا فإنني لست قلقا بالنسبة للموقف في مصر، ولكن ما يقلقني حقيقة هو الموقف في الضفة الغربية، وهنا يجب أن نسأل أنفسنا: هل عامل الوقت بالنسبة للضفة الغربية سيكون في صالحنا أو لا؟ أنا شخصيا أعتقد أنه لن يكون في صالحنا على الإطلاق، إنني أتتبع بالتفصيل كل ما يحدث في إسرائيل اليوم، لقد اندمجت الأحزاب الثلاثة التي تمثل قمة التطرف في إسرائيل، في كتلة واحدة تحت اسم «ليكود». وهذه الكتلة تصر على الاحتفاظ بالضفة الغربية بأكملها وعدم التخلي عن أي شبر منها، لهذا يجب أن نسرع بالتحرك ونبذل أقصى جهدنا لاستعادة القدس والضفة الغربية بالوسائل المتاحة لدينا في الوقت الحاضر، لأننا لو تأخرنا قليلا فلن تعود القدس ولن تعود الضفة الغربية».

وقال عبد الناصر: «عندما حضر إلينا الملك حسين في القاهرة كنت أشعر بالمشكلة الحقيقية بالنسبة للضفة الغربية. كنت أتألم من أجلها ومن أجل أهلها، كان إحساسي

بها وألى لها أضعاف ألى لسيناء، لأن الضفة الغربية مزدحمة بسكانها الفلسطينيين وقد سقطوا الآن فى قبضة الاحتلال اليهودى، فى الوقت الذى نقف نحن مكتوفى الأيدى لا نستطيع أن نفعل شيئا من أجلهم، إن سيناء تكاد تكون خالية من السكان، كما أن مصر لن تهدأ لحظة عن تحريرها ولو اضطرت إلى تقديم عشرات الألوف من الشهداء، لكن أطماع اليهود فى الضفة الغربية قديمة ومعروفة: إنهم يطلقون عليها اسم (يهودا والسامرة) ويعتبرونها جزءا من «أرض الميعاد».. ولهذا: «قلت للملك حسين: إن له أن يقوم بأى إجراء يراه مناسباً ما عدا الصلح مع إسرائيل والتفاوض معها».

الشقىرى والملى كسفن

وكان الجدل فى القاعة المغلقة للمؤتمر يتجه إلى التوتر بين أحمد الشقىرى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حينئذ، والملى كسفن. إن الشقىرى وزع على المؤتمرين مذكرة تحدد موقف منظمة التحرير الفلسطينية فى مبادئ ستة تقرر أنه لا صلح ولا تعايش ولا مفاوضات مع إسرائيل، و«عدم الموافقة على أية تسوية تمس القضية الفلسطينية وتؤدى إلى تصفيتها» و«عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية والتأكيد على عروبة القدس». وبالطبع لم يكن هناك فى المؤتمر أى حديث عن تنازل يتعلق بالأرض، ولذلك أصبح جوهر مذكرة الشقىرى هو النقطة الخامسة «عدم انفراد أية دولة عربية بقبول أى حلول لقضية فلسطين».. ثم «التركيز على أن قضية فلسطين برغم أنها قضية عربية مصيرية. إلا أن شعب فلسطين هو صاحب الحق الأول فى تقرير مصيره».

ولم يفسر الشقىرى للمؤتمر ذلك التناقض بين اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية، كممثلة للشعب الفلسطينى، هى صاحبة الحق الأول فى تقرير مصير شعبها، وبين المطالبة بعدم انفراد أى طرف عربى بقبول أى حلول للقضية، وسرعان ما خيم التوتر على المناقشات حينما ألح الشقىرى إلى وجود محاولات تؤدى إلى «تصفية القضية».

وتساءل الملى كسفن عن «من الذى كتب هذه المبادئ الستة؟ ومن الذى قررها؟»... وقال مخاطباً الملوك والرؤساء العرب: «إننى أخيراً موافق على أى رأى ترونه، أو أى مسئولية تحدّدونها، ولكنى لست مستعداً أن أسمع نصائح من أحد».

وقال عبد الناصر: «إننى أتقدم من الملى كسفن بسؤال: هل تستطيع تحرير الضفة الغربية بالوسائل العسكرية؟ إذا كانت الإجابة بالإيجاب، فأنا ذاهب معك مهما تكن

النتائج. أما إذا كانت الإجابة بالنفى: ففي هذه الحالة علينا أن نذهب إلى الحل السياسى حتى نصبح قادرين على الحل العسكرى..

وقال عبد الناصر: إننى اختلف مع الشقىرى فى تعبير ورد على لسانه عن الحل النهائى للقضية. فالتصفية النهائية للقضية تعنى الجلوس مع إسرائيل حول مائدة مفاوضات وهذا بالفعل ما تريده أميركا..

وقال عبد الناصر: «إذا لم يكن لدينا الآن حل عسكرى لتحريرها» أى الضفة الغربية «فعلى الملك حسين أن يسعى لحل القضية بمعرفته، بشرط ألا يؤدى ذلك إلى مفاوضات صلح مع إسرائيل»، وبخصوص اقتراحى قيام الملك فيصل بالاتصال بالأمريكان، فأرجو الموافقة على أن يقوم جلالته بهذه الاتصالات «عن الضفة الغربية» باسم المؤتمر..

قال الملك فيصل: إننى أتصل بالأمريكان بصفة دائمة: ومنذ أسبوع واحد كان عندى السفير الأمريكى..

وسأله عبد الناصر: وماذا كان رأيهم؟

قال الملك فيصل: والله ما قال السفير الأمريكى سوى النقاط الخمس التى وردت فى مشروع جونسون.

وعاد الشقىرى يتحدث من جديد قائلاً إن «النقاط الخمس التى وردت فى مشروع جونسون ثمن غال وباهظ من أجل استرجاع الضفة الغربية»..

لاءات الخرطوم الثلاث

ومع مضى المناقشات كان واضحاً عدم الثقة بين الملك حسين والشقىرى.. ولم يقدم الشقىرى بديلاً محدداً لاستعادة الضفة الغربية أكثر من ضرورة الاستمرار فى وقف ضخ البترول العربى وسحب الأرصد العربية من منطقة الاسترلينى والدولار.. إلخ..

وانتهى المؤتمر إلى قراره المعروف: لا اعتراف ولا تفاوض ولا صلح مع إسرائيل، وأصبح الملك حسين مفوضاً عربياً باستعادة الضفة الغربية من خلال العمل السياسى مع الولايات المتحدة. أما مصر فإنها مصممة على الحل العسكرى «وكذلك سوريا» ولكنها سوف تسير المحاولات الدبلوماسية فى الأمم المتحدة لكسب الوقت.

□□□

الفصل الخامس

الضربة المصرية الأولى

الدمرة «إيلات»

- أمريكا تحاول ضرب الجيش المصرى من المنبع بعد أن ضربته إسرائيل من المصب
- عبد الناصر يعترف:
- وضعت مسدسى إلى جانبى.. وأرسلت عائلتى إلى خارج القاهرة فلم يعد يمنع إسرائيل من دخول القاهرة سوى سبع دبابات.
- فى أول ضربة بحرية مصرية غرقت المدمرة إيلات. وسقط ٢٥٠ قتيلًا إسرائيليًا.
- حوار أميركى- سوفيتى ساخن على العشاء فى نيويورك.



حتى تجعل مصر لموقفها مصداقية حقيقية أصبح عليها أن تخوض سباقا مع الزمن لإعادة بناء قواتها المسلحة. خصوصا وأنها في هذه المرة تبدأ من تحت الصفر. وفي ظل تفوق عسكري إسرائيلي ضاعفت منه نتائج الحرب، بالإضافة إلى انعكاسات صدمة الهزيمة القاسية على الرأي العام المصري في الداخل.

وطبقا لمحاضر اجتماعات مجلس الوزراء، فإن عبد الناصر شرح الموقف بقوله: «... لا يمكن أن أنسى الأيام الأولى التي مرت علىّ بعد يونيو، كنت أشعر بمرارة كبيرة. مرارة لا يمكن وصفها، فلا شك أن ما حدث في يونيو قد أثر علينا جميعا نفسيا ومعنويا وماديا، لقد كان علىّ أن أقابل العديد من الرؤساء والزائرين والصحفيين، بل والشامتين أيضا، مرت بنا ظروف صعبة، وواجهنا مؤامرات ضدنا، وكنت مسئولاً عن مراجعة كل ما يحدث في الجبهة الداخلية، وما يتم من اتصالات خارجية، لقد تمنيت في تلك الأيام لو أنني تنحيت بالفعل عن السلطة وابتعدت عن موقع المسؤولية، كان تقديري دائما أن الأيام التي سنواجهها صعبة في الداخل والخارج، لأن خصمنا قوى ولديه التنظيمات وجهاز للعمل ضدنا ولديه كل ما يحتاجه من أموال للقضاء علينا، أنا في يوم ١١ يونيو عندما عدلت عن قرار التنحي كنت في حالة سيئة جدا إلى درجة أنني أرسلت عائلتي خارج القاهرة، ووضعت مسدسي إلى جانبي لاستخدامه في آخر لحظة، يومها سألت عن عدد الدبابات المتبقية في القاهرة، فقالوا لي لم يبق إلا سبع دبابات، وبالرغم من ذلك بدأت مع القيادات العسكرية السير في الطريق الصعب، طريق إعادة بناء قواتنا المسلحة من جديد، كنت أتحدث مع الفريق فوزي «وزير الحربية» كل ليلة قبل أن أذهب للنوم، ثم أطلبه في الساعة السادسة صباحا لأراجع معه موقف القوات وموقف القيادات واسم القائد المسئول في كل موقع، ولو لم الجأ إلى هذا الأسلوب لكانت الأمور قد قلتت...».

حالة غليان

وعلى مستوى الفرد العادي، فإننا كنا نذهب إلى شاطئ القناة في تلك الأيام فنجد العلم الإسرائيلي مرفرفا على الضفة الشرقية المقابلة، بينما الجنود الإسرائيليون يستخدمون مكبرات الصوت لكي تصل منها سخريتهم البذيئة إلى الجنود المصريين بجوارنا، وعلى رغم الأوامر

القاطعة لهؤلاء الجنود المصريين إلا أنهم، بأوامر ومن غير أوامر، كانوا يطلقون النار فوراً على أى جندي إسرائيلي يحاول الاستحمام في مياه القناة. أو يرفع العلم الإسرائيلي فوق الساتر الرملي إلى أن اضطر الإسرائيليون في النهاية إلى أن يلزموا جحورهم يحتمون بها.

وكان العسكريون المصريون في حالة من الغليان، ليس فقط لأن العدو أمام أعينهم يتبجح بطلب الاستسلام، ولكن أيضاً لأن مشاعر الغضب لدى الرأي العام اتخذت أحيانا مسالك متعرجة لتفريغ مرارتها، فالشعب المصري لم يتخل أبداً عن روحه الساخرة حتى في اللحظات حالكة السواد، وبدأت تتولد وتنتشر نكات تسخر من الأداء العسكري في حرب يونيو، ومن العسكريين الذين حملهم الشعب مسئولية الهزيمة المروعة، إلى درجة أن الضابط أو الجندي الذي كان يعود من الجبهة في إجازة قصيرة، كان يسمع بعض تلك النكات من زوجته أو شقيقه، واضطر جمال عبد الناصر في خطاب علني إلى أن يناشد أفراد الشعب الكف عن السخرية من العسكريين لأنهم هم أنفسهم الذين يرتبط بهم الأمل في تحرير الأرض المحتلة، ولكن تلك النكات الساخرة القاسية لم يقدر لها أن تتوقف أبداً إلا مع بروز أداء عسكري جديد بدأ الشعب المصري يلسمه فعليا من خلال الوقائع المحددة.

مواجهة جوية

ففي أول يوليو ١٩٦٧ حاولت القوات الإسرائيلية برا وجوا الاستيلاء على رأس العش، وهي الجزء الوحيد الباقي من أرض سيناء تحت السيطرة المصرية ويقع جنوب مدينة بور فؤاد. ولم يكن في هذا الموقع سوى وحدات صغيرة من القوات الفدائية الخاصة «الصاعقة» والمشاة وبعض قطع المدفعية المضادة للطائرات جى، بها على وجه السرعة عند وقف إطلاق النار قبل ٢١ يوما، وعلى رغم تكرار الهجوم الإسرائيلي ثلاث مرات على تلك النقطة المصرية الصغيرة في الضفة الشرقية للقناة إلا إنه فشل فشلا ذريعا، ودمر له ثلاث دبابات وقتل بعض أفراد.

بعدها بأسبوعين. وبينما طائرات الاستطلاع الإسرائيلية في مهمتها اليومية لاستكشاف التحصينات المصرية الجديدة غرب القناة. فوجئ الطيران الإسرائيلي في ١٤ يوليو بعشر طائرات مصرية من طراز «ميج ١٧» تتصدى له فجأة. بينما تحلق عشر طائرات مصرية أخرى استعدادا للانضمام إلى المعركة، وانسحبت الطائرات الإسرائيلية بعد إصابة إحداها. وفي اليوم التالي تكررت نفس المواجهة فوق نفس المنطقة من قناة السويس. وتكررت نفس

النتيجة، فيما أصبح أول مواجهة جوية محددة بين مصر وإسرائيل تقع بعد ٢٥ يوما من وقف إطلاق النار، وكانت الدلالة الفورية لتلك المعارك المحددة والمبكرة هي التعبير أساسا عن إصرار القوات المسلحة المصرية، وهي ما تزال فى بداية مرحلة إعادة البناء، على رفض الأمر الواقع وعدم قبول النتائج العسكرية لحرب يونيو.

قرار سياسى بتدمير المدمرة «ايلات».

وفى ٢١ أكتوبر وقع اشتباك آخر أكثر عمقا فى مغزاه وأبعد تأثيرا، ففى ذلك اليوم اقتربت المدمرة الإسرائيلية «ايلات»- فيما أصبح روتينها المعتاد- من المياه الإقليمية المصرية شمال بور سعيد، كمظهر متكرر من الغطرسة الإسرائيلية الجديدة التى توضح للمصريين عجزهم أمام الأمر الواقع الجديد بعد حرب يونيو.

وكان لابد من دراسة مسبقة للفعل ورد الفعل، فحرب «ايلات» سيصيب إسرائيل بخسارة عسكرية ضخمة، فضلا عن الخسائر البشرية المتوقعة فى طاقم المدمرة، والاحتمال الأقرب لرد الفعل الاسرائيلى هو ضرب معامل تكرير البترول المصرى فى السويس بالمدفعية طويلة المدى من سيناء، دون الحاجة إلى استخدام الطيران، وأصبح هذا «قرارا سياسيا لابد من عرضه على الرئيس عبد الناصر، وتم العرض، ووافق الرئيس مع تعديل واحد هو الاكتفاء بضرب المدمرة دون التعرض» بعد ذلك «لأى وحدة من وحدات الإنقاذ، كما أُنذرت وزارة الداخلية لتعزيز وحدات المطافئ بمنطقة السويس، وكانت مكونة من وحدات مطافئ وزارة الداخلية ووحدات مطافئ القوات المسلحة، بوحدات تتحرك من القاهرة خلال الليل، إذ كان التوقع أن يكون رد الفعل فى اليوم التالى».

وهكذا قام اثنان من زوارق الصواريخ المصرية بإغراق المدمرة «ايلات» بصاروخين من طراز «كومر» فيما اعتبر من وقتها انقلابا فى تاريخ الحرب البحرية. لقد غرقت المدمرة «ايلات» على الفور- وهى أكبر قطع الأسطول البحرى الاسرائيلى- ومعها مائتان وخمسون من أفراد طاقمها.

عملية فدائية غير معلنة

وكما توقعت القيادة المصرية مسبقا، جاء الانتقام الاسرائيلى فى اليوم التالى بقصف مستودعات الوقود ومعامل تكرير البترول فى مدينة السويس جنوبا كهدف اقتصادى ثمين

فى متناول المدفعية الإسرائيلية من سيناء، بعد أن أصبحت القيادة الإسرائيلية بحالة من الهستيريا جعلتها توجه انتقامها إلى أهداف مدنية.

وعلى المستوى العسكرى بدأت مصر وفى نفس اليوم التفكير فى ضربة مضادة، كانت للرؤوس الساخنة تبغى الانتقام، وكان القرار هو ضرورة إشعال النار فى ميناء ايلات وذلك بضربها بالطائرات، وإيلات بها فناطيس البترول وبها السفن، وهى غرض ثمين ذو أهمية إستراتيجية كبرى للعدو، فالضربة سوف تكون موجهة.

ولكن الطيران المصرى لم يكن قد استعاد قوته الكاملة بعد، لذلك استقر رأى على للتخطيط لضرب ايلات بواسطة عملية سرية وفدائية تقوم بها القوات الخاصة المصرية دون إعلان، وخلال أسابيع قليلة نزل رجال الضفادع البشرية إلى مكان ما بالقرب من ميناء العقبة الاردنى.. ونزلوا إلى الماء يسبحون إلى الغرض، وبعد ساعات ارتفعت أصوات المتفجرات فى الميناء واشتعلت النيران عالية فى السماء واحترقت خزانات البترول، وغرق عدد من السفن دون أن تعلن مصر مسئوليتها عن هذا الحادث.

أما على المستوى السياسى، فقد كان رد الفعل المصرى هو عملية كبرى لإخلاء مدن القناة كلها- بورسعيد والإسماعيلية والسويس- من السكان المدنيين. وتجاوبت أربعمئة ألف من السكان على الفور بالانتقال إلى أماكن إيواء عاجلة تم إعدادها بسرعة داخل المحافظات الأكثر بعدا من جبهة قناة السويس، وقد تحمل هؤلاء المهجرون من حياتهم الشخصية الكثير لأنهم فهموا على الفور مغزى التهجير الشامل هذا. وهو ألا يصبحوا رهينة لقذائف المدفعية الإسرائيلية من سيناء طوال قيام الجيش المصرى بعملية إعادة البناء العسكرى. وأصبحت تلك قرينة أخرى على أن المصريين لن يستسلموا أبدا للأمر الواقع الذى خلقته حرب يونيو، وأنهم مستعدون لتحمل التضحيات فى سبيل ذلك.

وبعد إغراق ايلات بأربعة أيام فقط أعلنت الولايات المتحدة عزمها على تسليم ٤٨ طائرة جديدة من طراز سكاي هوك A4 بحجة أنها ضمن صفقة سبق الاتفاق عليها منذ فبراير ١٩٦٦، (وبالتدريج سيزيد عدد تلك الطائرات إلى مائة).

صراع الإرادات

كان الصراع إذن هو بالدرجة الأولى صراع إرادات. فهناك إرادة أمريكية يعبر عنها ليندون جونسون لإرغام مصر على قبول الأمر الواقع الجديد بعد الحرب، وهناك إرادة

مصرية يعبر عنها جمال عبد الناصر برفض هذا الأمر الواقع من أساسه والتعبير عمليا عن تجاوب الشعب مع أى تضحيات إلى أن تستكمل القوات المسلحة المصرية إعادة بنائها. ولقد جاء إغراق مصر للمدمرة الإسرائيلية إشارة عملية مبكرة سرعان ما فهم الأمريكيون مغزاها على الفور، ففي نيويورك حيث مقر الأمم المتحدة، وحيث كان يدور الجانب الدبلوماسي من الصراع منذ قرار وقف إطلاق النار غير المشروط، قام آرثر جولد بيرغ ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة بدعوة كوزنتسوف نائب وزير الخارجية السوفياتي إلى العشاء، لقد أبقت دول عديدة على وزراء خارجيتها أو نوابهم في نيويورك للمشاركة في المفاوضات الجارية، إلى جانب الممثلين الدائمين لها في الأمم المتحدة، وكان كوزنتسوف من هؤلاء الباقين، حيث أصبح على اتصال مستمر يوميا مع وزير خارجيته في موسكو. ذهب كوزنتسوف إذن إلى مائدة العشاء التي أعدها جولد بيرغ، حيث وجد في صحبته والف بانس مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة، وبعض أعضاء الوفد الأمريكي، وكما هي العادة فإن الدبلوماسيين في الأمم المتحدة يعارضون ثلاثة أرباع عملهم الحقيقي - من تبادل للأفكار والمعلومات واستكشاف للنوايا وتدبير الحيل وبلورة المواقف - على موائد غداء أو عشاء مثل هذا، ولم يكن كوزنتسوف ليتوقع غير ذلك في هذه المرة.

حوار على العشاء

لكن الذى حدث لم يتوقعه المسئول السوفياتي هو أن يبدأ جولد بيرغ «حوار العشاء» هذا بحديث غاضب عن إغراق مصر للمدمرة ايلات (الذى كان قد وقع قبلها بأربعة أيام). قال جولد بيرغ: العرب يملأون العالم صراخا بأن إسرائيل هي السبب فيما يجرى في الشرق الأوسط. وها هو ذا مستر ناصر الذى يفعلها في هذه المرة! هل توافقون على مبادرته بإغراق المدمرة ايلات؟

ورد كوزنتسوف متسائلا بدوره: وما الذى جعلها تخترق المياه الإقليمية المصرية؟ أخرج جولد بيرغ من جيبه ورقة أمريكية رسمية عليها «سرى جدا» وطرحها أمام كوزنتسوف على مائدة العشاء قائلا: دعنى أطلعك على وثيقة سرية لم يطلع عليها فى الإدارة الأمريكية، سوى الرئيس جونسون وروبرت ماكنمار «وزير الدفاع»... هذه برقية من الملحق العسكرى الأمريكى فى تل أبيب. يسجل فيها أن المدمرة الإسرائيلية كانت على مسافة تتراوح من ١٢ و ١٥ ميلا من الساحل المصرى..

قال كوزنتسوف: أنت تطلعننى على ورقة من ملحق أمريكى إلى مسئول أمريكى، لكن دعنى أذكرك أن ما هو مسجل فى وثائق الأمم المتحدة رسميا هو أن المدمرة الإسرائيلية كانت على مسافة ١١ ميلا فقط من الساحل المصرى.. أليس كذلك يا مستر باتش؟! ولكن يبدو أن مستر رالف باتش لم يشأ أن يكذب آرثر جولد بيرغ وهو جالس ضيفا على مائدة عشائه. لذلك استأنف كوزنتسوف حديثه متسائلا: إن المدمرة ايلات هى على أى حال قطعة حربية إسرائيلية.. فهل أنت توافق على أن يكون الرد الاسرائيلى هو قصف السكان المدنيين فى السويس؟ ولم يحر جولد بيرغ جوابا فقد أصبحت شهرته فى مقر الأمم المتحدة هى أنه يعمل محاميا باسم إسرائيل ستة أيام فى الأسبوع. ثم يتذكر أنه يحمل الجنسية الأمريكية فى اليوم السابع، والقضية بالنسبة له هى أن إسرائيل موجودة فى سيناء وعلى شاطئ قناة السويس كإجراء دفاعى يتم «بحكم الطبيعة». فإذا عبرت مصر عن رفضها وتصرفت على أنه احتلال اسرائيلى.. فإن هذا يصبح «مبادرة مصرية بالعدوان».

الحد من التسليح

لقد تحول الحديث بعد ذلك على مائدة العشاء إلى المشاورات الجارية فى كواليس مجلس الأمن. لكن السؤال الطبيعى هنا هو: لماذا يثير جولد بيرغ موضوع إغراق المدمرة ايلات مع المسئول السوفيتى.. بدل أن يثيره مثلا مع محمود رياض وزير خارجية مصر الموجد حينئذ فى نيويورك منذ أربعين يوما. والذى قابله جولد بيرغ أكثر من مرة فى الجناح «٢٢- أف» بفندق الوالدورف استوريا فى نيويورك!

كان التفسير بسيطا وعمليا، فمنذ حرب يونيو قبل خمسة شهور. وفى كل مرة اجتمع فيها مسئول سوفيتى مع آخر أمريكى. ابتداء من كوسيجين مع جونسون. وغروميكو مع دين راسيك وجولد بيرغ. ودوبرنين فى واشنطن مع والت روستو. أو الآن جولد بيرغ مع كوزنتسوف. كان الأمريكيون يكررون فى كل مرة طلبا ملحقا يعطونه الأهمية القصوى. وهو: ضرورة الاتفاق على الحد من التسليح فى الشرق الأوسط. وتلك الكلمات ظاهرة البراءة سرعان ما كانت تتحول فى كل مناقشة إلى طلب أمريكى محدد بأن يتوقف السوفيات عن تسليح مصر. أو بالدقة: إعادة تسليح مصر.

وقد جعل الرئيس جونسون: الحد من التسليح واحدا من مبادئ الخمسة للتسوية فى الشرق الأوسط. ولكن وقف تسليح مصر. أو الحد منه. بينما إسرائيل تحتل سيناء

والجولان والضفة الغربية يعنى فى الواقع تجريد مصر مسبقا من أى خيار عسكرى لتحرير الأرض.. وهذا يعنى بدوره ألا يبقى أمام مصر من سبيل لتحرير أرضها سوى التسكع فى دهاليز وزارة الخارجية الأمريكية.. لعل أحدا يقدم إليها فاتورة طلبات معقولة توقع عليها حتى تخرج إسرائيل متطوعة ومختارة من سيناء، وسيناء فقط.

فى نفس الوقت لم يكن أى مسئول أمريكى يثير هذه القضية مع مسئول مصرى.. إنهم يفعلون ذلك فقط مع السوفييت، لأنهم يريدون استكمال ضرب الجيش المصرى من «المنبع» بعد أن ضربته إسرائيل من قبل فى «المصب».

□□□

الفصل السادس

— وثائق المفاوضات غير العلنية بين مصر وأمريكا —

- أي قرار يُقرأ بطريقتين، مرة من موقع الضعفاء فيصبح تنفيذه على حسابنا، ومرة من موقع الأقوياء فيصبح لصالحنا
- جولد بيرغ لحمود رياض:
- ٤٠ قراراً من الأمم المتحدة لن تكفل للعرب انسحاب إسرائيل.
- واشنطن: لا مشكلة في الانسحاب من سيناء
- القاهرة ترفض الاحتكار الأمريكي للحل وواشنطن تضغط وتلجأ للمساومات السياسية.



فى صباح يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٦٧- كان جوزيف سيسكو، وهو الرجل الثانى فى الوفد الأمريكى بعد جولد بيرغ، قد اتصل تليفونيا بمحمد رياض- مدير مكتب محمود رياض المصاحب له- فى فندقه.

وفى المكالمة قال سيسكو: لقد سمعنا من السفير الهندى فى الأمم المتحدة، بأن الوزير رياض لم يعد متحمسا للمشاورات الجارية بشأن استصدار قرار من الأمم المتحدة.. ولكننى أرجو.. قل للوزير أن يثريث بعض الوقت قبل العودة إلى القاهرة. إن الأحداث الأخيرة يقصد قيام مصر بإغراق المدمرة إيلات ورد إسرائيل بقصف المدنيين فى السويس، هى شىء مؤسف، لكنها ربما تدفع المشاورات الجارية إلى التحرك.

وبعد أن أوحى سيسكو لمحمد رياض بأن الولايات على وشك أن تبلور موقفا إيجابيا فى هذه المشاورات الجارية لاستصدار قرار من مجلس الأمن لحل المشكلة سياسيا، أضاف جملة موحية بقوله: «إننا نفعل هذا من أجل مصر والأردن فقط» يقصد استبعاد سوريا.. ونحن سنعمل. وسيكون نفوذنا فى تنفيذ القرار «حينما يتم الاتفاق عليه» ضخما.

إن اجتماع جولد بيرغ مع الوزير «محمود رياض» كان مثيرا.. وآراء الوزير كانت قيمة وهى محل دراسة.. لذلك نستحثه على عدم العودة إلى القاهرة الآن.

إن نص الحوار منقول من الأوراق الخاصة لمحمد رياض. والتي تنشر هنا بعض محتوياتها لأول مرة، وبطبيعة الحال فإنه كان يستعين بتلك الأوراق وهو ينقل ما يجرى لمحمود رياض. وكان جولد بيرغ قد اجتمع مع محمود رياض يوم السبت ٢١ أكتوبر- نفس اليوم الذى أغرقت مصر فيه المدمرة الإسرائيلية إيلات، ويومها ركز جولد بيرغ فقط على ضرورة استبعاد أى كلمات وصفية من أى صياغة لمشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن. بكلمات مثل: العدوان الإسرائيلى، أو الاحتلال الإسرائيلى، أو ما شابه ذلك.

راسك والرفاعى

وفى اجتماع عقده عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن مع دين راسك وزير الخارجية الأمريكى. سأله الرفاعى عما إذا كانت الولايات المتحدة ستقف فى مجلس الأمن مؤيدة

وثائق المفاوضات غير المعلنة بين مصر وأمريكا

للشرعية الدولية، وبالتالي تؤيد الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية؟. ويومها رد عليه دين راسك بقوله: إنني لست متشائما..!

وحينما حاول الرفاعي أن يخرج من الوزير الأمريكي بإجابة محددة، كان كل ما قاله. إن الموضوع من اختصاص آرثر جولد بيرغ.. وعلى الأردنيين الاتصال به ليعرفوا بالضبط الموقف الأردني المحدد!

ولم يكن دين راسك يومها يقصد من كلماته تلك أى معنى سئ بالنسبة للأردن، فالواقع أن الأردن كانت تعمل على نفوذ بريطانيا لدى الولايات المتحدة بقدر ما تعمل على علاقاتها الطيبة مع الولايات المتحدة ذاتها. لكن القضية هي إنه إلى جانب الرئيس الأمريكي ليندون جونسون نفسه، كانت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط يتولاها في تلك المرحلة ثلاثة على وجه الخصوص، إنهم أولا الإخوان روستو- والت روستو مستشار جونسون للأمن القومي ومنسق تقارير أجهزة المخابرات.. ويوجين روستو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الذي يقوم بدور «المصفاة» لتقارير الدبلوماسيين في الأمم المتحدة، ثم ممثل أمريكا في الأمم المتحدة جولد بيرغ وهو في النظام الأمريكي بدرجة وزير في الحكومة ويتعامل مباشرة مع الرئيس الأمريكي إلى جانب تعامله مع وزير الخارجية.

وهؤلاء يجمع بينهم- فوق كونهم يهودا- أنهم صهيونيون من قمة رأسهم إلى أخمص أقدامهم، وطبقا لشهادة صحفي بريطاني في كتاب شهير له فإنه: «لم يكن من الغريب أو غير المعتاد أن يقوم الإخوان روستو، وآرثر جولد بيرغ، بجمع التبرعات لصالح إسرائيل باعتبارهم من الشخصيات البارزة في الطائفة اليهودية الأمريكية».

أما الدبلوماسيون المحترفون من طراز جوزيف سيسكو، فهم يتلمسون اتجاه الرياح دائما، فسيسكو من طاقم وزارة الخارجية ولكنه سيغير ولاءه بين يوم وآخر.. متأرجحا بين رئيسه المباشر جولد بيرغ.. أو رئيسه الدائم دين راسك.. وحسب موقع كل منهما من الدائرة المقربة إلى الرئيس الأمريكي جونسون.

وكان جونسون يتابع بنفسه. ومن بيته الأبيض في واشنطن. مجريات الأمور في الشرق الأوسط لأنه كان محركا رئيسيا لها من البداية، بحيث إن أبا اييان كان يتصرف من الأصل على أساس أن كل ما يتعلق بمدى وحدود وتوقيت وطبيعة الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة «يكمن بين يدي الرئيس جونسون» على الرغم من أن إسرائيل تتظاهر علنا بأن الأمر في يدها هي.

محمود رياض

وكان أكثر من يعرف هذه الحقيقة ويتعامل على أساسها- بعد أن بدأت لعبة المساومات السياسية- هو محمود رياض وزير الخارجية المصرى الموجود وقتها فى نيويورك منذ منتصف سبتمبر.

كان محمود رياض على المستوى الموضوعى يكاد يحفظ عن ظهر قلب كل ورقة فى ملف الصراع العربى الإسرائيلى، لقد بدأ حياته ضابطا بالجيش المصرى، وحضر مباحثات رودس التى أدارتها الأمم المتحدة بين العرب وإسرائيل فى سنة ١٩٤٩، وتولى مسئولية المخابرات الحربية المصرية فى قطاع غزة، وبعد الثورة فى ١٩٥٢ تولى محمود رياض إدارة فلسطين بوزارة الخارجية، وطوال عمله بعد ذلك فى المجالين الدبلوماسى والسياسى، فإن قضية الأمن العربى كانت شاغله الدائم. وفى قلبها القضية الفلسطينية كعنصر محورى، وبهذا الشكل أصبحت خبرات محمود رياض متراكمة ومتصلة دائما، وهو شىء نادر الحدوث فى السياسة العربية حينئذ، مع إنه الطابع المميز للسياسة الإسرائيلية وأحد عناصر قوتها. أما على المستوى الشخصى فإن محمود رياض دمث الخلق، ولا يتحدث إلا بعد أن يستوعب وجهة نظر الطرف الآخر تماما، وفى البداية لا يتدخل إلا بتساؤلات تركز على جوهر الموضوع، ولا يرتاح كثيرا فى الصياغات العامة أو المراوغة. ويفضل دائما قياسها فى انعكاساتها الواقعية.

وبرغم أن وزير الخارجية فى كل نظام سياسى هو المستشار الأول لرئيس الدولة فى السياسة الخارجية وليس مبتكرها أو صانعها، إلا أن نقطة اللقاء الدائمة بين أفكار جمال عبد الناصر كزعيم ومحمود رياض كوزير للخارجية كانت هى الإيمان المشترك الصلب بإمكانيات مصر المنظورة وغير المنظورة، خصوصا كمحور لقوة العالم العربى أو ضعفه، ثم نظرتهما إلى الصراع العربى الإسرائيلى فى إطار مستقبلى يتجاوز التوقع داخل إطار الواقع الراهن وقيوده.

مباراة شطرنج

من هنا فإن مباحثات محمود رياض فى نيويورك مع آرثر جولد بمثل الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة. لم تكن مجرد جانب من الصراع الدبلوماسى الراهن. إن كلا

منهما كان يمثل سياسة تناقض تماما السياسة التي يمثلها الآخر، ولذلك فإن جوهر المساومة السياسية الكبرى من بدايتها أصبح يجرى هنا- فى هذه اللقاءات المتباعدة ولكن الحاسمة والمليئة بالتربص المتبادل، وعلى الرغم من أن اللعبة الدبلوماسية لها قواعدها وأصولها، إلا أنه فيما وراء الكلمات فإن كلا من محمود رياض وآرثر جولد بيرغ يعرف فى داخله تماما ما يريده من الآخر، ويعرف أيضا نقاط قوته وضعفه، ويعرف أخيرا أنه حتى ولو تصور العالم كله أن ما يجرى فى حرب يونيو ١٩٦٧ هو حرب إقليمية كبرى، فإن الحقيقة المجردة هى أنه مجرد جولة واحدة سبقتها جولات، وستتبعها جولات، وإذا كانت الأردن قد أصبحت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ لا تملك سوى الطريق الدبلوماسى، ومن ثم فهى فى حاجة إلى قرار من الأمم المتحدة يدعم جهودها، إلا أن مصر تعترف من البداية أن القوة فى هذه «الغابة الدولية» هى التى تحمى الحق وتسترده، ومن ثم فإن مصر الآن تحتاج إلى وقت كاف تسترد فيه قوتها، وإلى أن يتم ذلك فلا بأس من إعطاء الفرصة الدبلوماسية.

هكذا اتسمت لقاءات محمود رياض وجولد بيرغ فى شهرى أكتوبر ونوفمبر ١٩٦٧ بطابع لاعبى الشطرنج. يريد كل منهما قياس تفكير الآخر قبل أى خطوة، وحساب انعكاس كل تحرك على التحركات التالية.

وكان محمد رياض هو الذى يقوم بتسجيل محاضر تلك اللقاءات، مهما كانت تتخذ طابعا شخصيا. وقد ظل محمود رياض يعتبر محمد رياض من أخلص المواهب التى صنعتها الدبلوماسية المصرية، ولذلك كان شيئا طبيعيا أن يصبح محمد رياض وزيرا للدولة، إلى أن استقال فوراً احتجاجا على زيارة السادات للقدس فى ١٩٧٧.

وكلما كنت أذهب إلى الأمم المتحدة لتغطية دورتها السنوية، وقضيتنا المتكررة فى مجلس الأمن خلال تلك الفترة، كانت لقاءاتى مع محمود رياض ومحمد رياض شبه يومية، لكننا لم نكن نتحدث فى التطورات الجارية بجدية إلا فى الطرقات أو فى الهواء الطلق، فكما يعرف كل دبلوماسى مخضرم بالأمم المتحدة، كان محمد رياض على وجه الخصوص ينبهنى إلى افتراض وجود تصنت مستمر بالنسبة لبعض الوفود، وفى المقر الأمريكى والمقر السوفياتى على وجه الخصوص توجد فرقة مجهزة ضد التصنت الاليكترونى الذى تريد به كل واحدة من القوتين العظميين معرفة الأفكار الداخلية لممثلى القوى الأخرى.

سر اللقاءات

وفيما سيرد هنا من اقتباسات لمشاورات وحوارات في نيويورك. فإن مصدرى الأساسى هو الأوراق الخاصة لمحمد رياض، والتي تنشر هنا لأول مرة.

إن آرثر جولد بيرغ المندوب الأمريكى ظل يناور طوال أسابيع لإخفاء المطالب الأمريكى الإسرائيلية الحقيقية وراء صياغات دبلوماسية تبدو بريئة لأول وهلة. وأصبحت مهمة محمود رياض هى إخراجها من هدفه هذا ولذلك ففى لقاء بينهما يوم الأربعاء أول نوفمبر ١٩٦٧، طرح محمود رياض أسئلة محددة يريد أن يعرف الإجابات الأمريكية عنها. ولا يهم أن تكون جيدة أو سيئة- هكذا قال محمود رياض- ولكن المهم أن تكون الإجابات صحيحة ودقيقة، والأسئلة تتعلق بالتصور الأمريكى للعلاقات الثنائية مع مصر.. والموقف الأمريكى من الاحتلال الإسرائيلى.. ثم الموقف الأمريكى من القضية الفلسطينية.

وبالنسبة للسؤال الأول كان رد جولد بيرغ هو توجيه دعوة مفتوحة لمحمود رياض للذهاب إلى واشنطن- بما يعنى أن هذا من اختصاص وزير الخارجية دين راسك، وبالطبع لم يذهب محمود رياض.

أما بالنسبة للسؤال الثالث فإن بلورة موقف أمريكى من قضية اللاجئين «كما سمعها» سوف يستغرق وقتا.. ولذلك فإن الولايات المتحدة تريد الآن تركيز الجهود فى التوصل إلى صيغة لحل «النزاع» المترتب على حرب يونيو.

وهنا فقط بدأ جولد بيرغ يكشف عن بعض أوراقه. إن الرئيس جونسون يشعر أولا بخيبة أمل طالما لم يقيم الرئيس جمال عبد الناصر علنا بنفى أى اشتراك للولايات المتحدة فى الحرب إلى جانب إسرائيل، ثم إن العلاقات الدبلوماسية يجب أن تعود بين مصر والولايات المتحدة لان «دونالد» بيرجس- رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكى بالقاهرة بعد قطع العلاقات- ليس على المستوى العالى الذى يسمح بعمل شئ فى هذا الموضوع.

ثم قال جولد بيرغ: نحن لا نعتقد بأن القوات الإسرائيلية يجب أن تستمر على أراضيكم، ولكن المفتاح هنا هو أن تعترف مصر بإسرائيل. ولا أعنى هنا الاعتراف السياسى بالمرّة، أعنى فقط احترام سيادة إسرائيل والإقرار لها بالملاحاة فى قناة السويس ومضيق ثيران. أما بالنسبة لقطاع غزة فنحن لا نقر بقاء إسرائيل فيه. لكننا لا نقر عودة مصر إليه أيضا، ولا إعطائه للفلسطينيين كذلك، ثم إن السوفيات رفضوا أن يذكروا لنا أى شئ عن مدى وحدود تسليحهم لكم.. ونريد أن نتكلم معكم فى هذا. لماذا التسليح؟ ولماذا جيش مصرى كبير.

وأضاف جولد بيرغ مؤكداً: إن ما أذكره هنا ليس رأى جولد بيرغ، وإنما هو رأى جونسون، وأنا لا أذكر شيئاً مختلفاً عن تعليماتى من الرئيس جونسون، وكل ما أقوله يجب أن يوضع داخل إعلانة فى ١٩ يونيو «عن المبادئ الخمسة».

الاجتماع التالى

وجاء الاجتماع التالى لجولد بيرغ مع محمود رياض بعدها بيومين. لقد تم فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقد بدأه جولد بيرغ بإبراز برقية محولة إليه من وزارة الخارجية الأمريكية تلخيصاً لمقال نشرته «الأهرام» بالقاهرة فى نفس اليوم، وفى المقال سربت القاهرة ضمناً بعض طلبات الرئيس جونسون من مصر، إنها بالفعل تلك الطلبات التى ذكرها جولد بيرغ لمحمود رياض قبل يومين، ولكن نشرها فى العالم العربى يلحق المزيد من الإضرار بالمصالح الأمريكية ويزيد الصورة الأمريكية سوءاً على سوء، إن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون يحب دائماً الضرب تحت الحزام، ولكنه يحب أكثر أن يتلقى الخصم تلك الضربات فى صمت وخشوع.

وبهدوء شديد قال محمود رياض لجولد بيرغ: إننا هنا نقرأ الكثير فى الصحف الأمريكية ضد مصر وضد الرئيس جمال عبد الناصر، على الأقل ما ينشر فى القاهرة صحيح. ثم عاد جولد بيرغ يتستر وراء المبادئ الخمسة التى كان الرئيس جونسون قد أعلنها فى ١٩ يونيو، وهنا قال محمود رياض: إننى لاحظت فى المرة الماضية أن حديثك كله كان يدور عن عودة سيناء إلى مصر، وأخشى أن يكون هذا هو ما تفهمه من حديثى عن الانسحاب الإسرائيلى. أريد أن أكون واضحاً معك ولا أغشك. حينما أتحدث عن الانسحاب فنحن نتحدث عن الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية كلها. هذا موقف مصر. قال جولد بيرغ: لكن غزة على الأقل تظل مشكلة مستقلة. غزة لا بد من حلها. رد محمود رياض: بالنسبة لنا محسومة.

لا مشكلة فى الانسحاب من سيناء

قال جولد بيرغ: أقصد أنها مشكلة تحتاج إلى حل. رد محمود رياض: بالنسبة لنا.. محسومة.. غزة تعود إلى ما كانت عليه أولاً. تعود إلى مصر.

قال جولد بيرغ: على أية حال فإننى أكرر لك.. ليست لدينا أى مشكلة تتعلق بالحدود المصرية مع إسرائيل، سيناء مصرية وتعود لمصر، لكن فى جوانب أخرى من المشكلة لابد من حدود متفق عليها.

قال محمود رياض: هذا يعنى إعطاء إسرائيل مكاسب إقليمية، نحن لن نقبل بهذا، مفهومنا للنقاط الخمس «التي أعلنها جونسون» هو أنه يجب انسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو.

رد جولد بيرغ: النقاط الخمس لم تشر إلى أى تاريخ، وأفضل عدم ذكر التاريخ. فى اليوم التالى اجتمع جولد بيرغ مع محمود رياض مرة أخرى، فى هذه المرة هو يعبر عن قضية لأن ممثلى الدول غير الدائمة فى مجلس الأمن يعدون مشروعا ويتشاورون مع الجميع فيه، ما عدا الوفد الأمريكى. كيف يحدث هذا؟ وأضاف جولد بيرغ: هذه ليست مسئوليتكم، إنها دول أخذت على عاتقها أن تضع شيئا، وتشاورت فيه معكم، وبعضها لم يتشاور مع الروس، ولكنهم لم يستشيروا الولايات المتحدة، يجب عليهم أن يعرفوا آراءنا، أنهم أيضا لم يتصلوا بإسرائيل وهذا شئ سيئ، يجب أن يتصلوا بالكل..

وأضاف جولد بيرغ: لكنى تكلمت مع سفير الهند: حيث الهند إحدى الدول العشر غير دائمة العضوية فى مجلس الأمن وقتها وتكلمنا عن الأسلوب، واحتججنا رسميا، النتيجة أن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تقبل هذه الورقة لأنها سلكت هذا الأسلوب، إنها دولة يجب أن نحترم آراءها ولا نقبل عدم التشاور معها.. إننا حتى لم نحصل عليها رسميا.. والهنود حتى لم يعطونى تأكيدا بوجود تلك الورقة.. مجلس الأمن لا يمكن أن يعمل بهذه الطريقة.. ونحن لا يمكننا عمل شئ، دون أن يتم التشاور معنا أولا.. مقدموا القرار ليست لديهم أية مسؤوليات مثل التى علينا.. وكذلك ليس لديهم أى نفوذ «على إسرائيل» مثل الذى لدينا، هذا أسلوب غير محتمل.. أقول لك هذا بكل صراحة وأمانة، فهذه مناورة من الآخرين «يقصد السوفيات» لا يمكن أن نوافق على هذا، ولا على هذا الأسلوب.. أن تتم مواجهتنا بشئ من هذا..

أنا حانق

ثم قال جولد بيرغ: كلمة أخيرة.. هذه مناورات.. مناورات سياسية، هذا لا يؤدى إلى سلام، لم يؤد إلى الانسحاب. لا يؤدى هذا إلى أى شئ، يمكن إقرار ٤٠ قرارا ولكن لن يؤدى هذا إلى أى شئ.. لقد قلت لكم إنه يجب التركيز على حل سياسنى، حل سلمى. وكما قلت أنت لى ومن قبل، إنك تعبت.. فأنا كذلك تعبت..

وثائق المفاوضات غير العلنية بين مصر وأمريكا

ومرة أخرى، وبهدوء محمود رياض المعتاد، رد بقوله: أنا راغب وانظر دائما إلى الحقائق.. سواء كانت سيئة أم جيدة.. وأنت تتكلم بغضب. قاطعه جولد بيرغ معترضا: لا.. أنا حائق.

قال محمود رياض: إن لدى بعض التجربة في مجلس الأمن، لقد مثلت دولتي في المجلس، ورأست المجلس.. المشاورات أمرها معروف تماما.. ليس لدى شيء رسمي، كل منا أعلمه أن الدول غير الدائمة تعمل.. وكان هذا بناء على موافقتكم، أما عن الاتصالات فهذه ليست مسئوليتي.. كان من الممكن أن تعرفوا ما يدور من رئيس المجلس.. تسأله بنفسك.. نحن نسأل الجميع واحدا واحدا ونأخذ منهم المعلومات. المهم أن نسأل الجميع، إذا كان موقفكم أن وفدكم ينتظر المعلومات فهذا أمر آخر.. إنني لم أحضر هنا من أجل المناورات، إذا ساعدتمونا كان بها، وإلا سنستمر في سبيل السلام.. ثم، إذا حضرت لي فمن البداية وأردت أن تتكلم عن ورقة معينة كنا قد انتهينا من مدة طويلة..

قال جولد بيرغ: أنت هنا منذ ٤ يوما، أما أنا فمنذ الخامس من يونيو هنا من أجل السلام.. أنت غير مسئول، ونحن لم نولد أمس، لقد خرج المشروع بعد مشاورات بين الهند والروس والعرب.. أنتم تشاورتم في هذا كله مع الروس، وليس معنا.. رد محمود رياض: هذا غير صحيح.. المشروع الهندي الأصلي يختلف عما يتشاور فيه الدول العشر غير الدائمة. قال جولد بيرغ: إنني كنت أعمل من أجل إعداد ورقة.. ولكن يبدو أنك غير مهتم.. لن ينفع. ولكن على أية حال سنستمر في عملنا في كل طريق.

حسابات سياسية

إن نهاية هذا الاجتماع الموحية قد لا تبدو متمشية مع مجراه العاصف، لكن تلك كانت طبيعة لعبة المساومة السياسية الكبرى الجارية في نيويورك في تلك الفترة لاستصدار قرار مجلس الأمن. جولد بيرغ يتكلم وينفعل ويغضب كممثل لقوة عظمى في المجتمع الدولي. لقد كانت الدول العشر غير دائمة العضوية في مجلس الأمن تتشاور، بتنسيق من الهند- لإعداد مشروع قرار، وقد اختارت كلها ألا تتشاور مع الولايات المتحدة. ومع آرثر جولد بيرغ بالذات، لأنهم حفظوا عن ظهر قلب مواقفهم المنحازة لإسرائيل طوال الشهور الخمسة الأخيرة، إن كل ممثلي الدول في الأمم المتحدة أصبحوا يتبادلون السخرية من إصرار جولد بيرغ على إعطاء إسرائيل مكاسب إقليمية من الأراضي العربية، والولايات المتحدة تستطيع

أن تضمن لإسرائيل ذلك هناك في ميدان القتال، ولكن في هذه المؤسسة الدولية- هذه الأمم المتحدة- لابد من الالتزام بالشرعية الدولية، هذا حوار الشرعية وليس حوار الدبابات. وحينما يقول جولد بيرغ: إن أربعين قرارا من مجلس الأمن لن يكفل لمصر والعرب انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة فإنه مصيب تماما. لكن وزير خارجية مصر لم يأت إلى نيويورك لكي يحقق الانسحاب الإسرائيلي بقصاصة ورق، إن إسرائيل لن تخرج من الأرض المحتلة إلا بمثل ما دخلتها: بالقوة.. والحوار الحقيقي هو ذلك الذي يجري من أجله بناء جيش جديد في مصر، وهذا هو الذي يجعل محمود رياض يرد على جولد بيرغ بنفس الوضوح قائلا: «إذا ساعدتمونا كان بها، وإلا سنستمر في سبيل السلام». جولد بيرغ أيضا يقول: إنه يعمل في مجلس الأمن منذ الخامس من يونيو من أجل السلام. «والسلام» هنا هو كلمة الشفرة لحقيقة ما يسعى إليه كل طرف، لكن مفهوم السلام المصري يختلف تماما عن مفهوم السلام الإسرائيلي الذي يتبناه هنا جولد بيرغ منذ الخامس من يونيو. ومن الناحية النظرية فإن جولد بيرغ: كممثل لقوة عظمى، يستطيع أن يجلس في قاعة مجلس الأمن واضعا ساقا على ساق، ولا يتشاور مع أحد. وخصوصا إذا كان التشاور مع ممثل دولة إقليمية قطعت علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة قبل خمسة أشهر. يستطيع جولد بيرغ أن يهدأ إذن، ولتأت أية دولة تشاء بمشروع القرار الذي تشاء، بل ليكن ممثلو الدول العشر الأخرى الأعضاء في مجلس الأمن موافقين مقدما، وعند التصويت يستطيع جولد بيرغ أن يرفع يده في قاعة مجلس الأمن معترضا، فيسقط تلقائيا القرار المطروح بحكم الفيتو. لكن جولد بيرغ يعرف أيضا أن هذا الفيتو له ثمن. وحتى الآن قطعت سبع دول عربية علاقتها الدبلوماسية مع أمريكا، وحتى الآن لا تعيدها، وحتى الآن تزايد النفوذ السوفياتي في العالم العربي بدل أن ينكمش، وحتى لم تأت دولة عربية واحدة مهرونة إلى مائدة المفاوضات المباشرة مع إسرائيل كما يريد جولد بيرغ، وحتى الآن أصبحت المصالح الأمريكية في العالم العربي في حالة تراجع وانكماش. وكل هذا نتيجة لحسابات جرى وضعها في التخطيط لحرب يونيو، ولم تنجح منها سوى الجزء العسكري.

الشكوى

في نيويورك كنت جالسا في قاعة مجلس الأمن أتابع المناقشات مبعوثا من جريدتي، أخبار اليوم. في الأمم المتحدة هناك جمعية عامة هي بمثابة البرلمان حيث لكل دولة

صغرت أو كبرت - صوت واحد، أما مجلس الأمن فهو بمثابة الحكومة أو السلطة التنفيذية، ومنذ ١٩٦٧ على وجه الخصوص أصبحت الولايات المتحدة تمنع مجلس الأمن من إصدار أية قرارات لمعاقبة إسرائيل، من خلال استخدام حقها في النقض، الفيتو.

في هذه المرة إسرائيل هي التي كانت تشكو من القصف المدفعي وغارات التسلل ضد احتلالها في الضفة الشرقية لقناة السويس.. في البداية قامت قوات الصاعقة المصرية بمعركة حاسمة في رأس العش، بعدها غارات محددة ومركزة بالطيران المصري.. بعدها قامت مصر بإغراق المدمرة الإسرائيلية «إيلات»، والآن أصبحنا في عام ١٩٦٨.

المجلس يناقش ويستمع. إسرائيل لديها من يحميها بالفيتو في مجلس الأمن ومصر أيضا.. في الواقع إن الأغلبية الطاغية في كل الأمم المتحدة تساند مصر لكن الغاية هي الغاية والضعيف لا حقوق له إلى أن يصبح قويا.. ومصر تشق طريقها حثيثا لتسترد قوتها، في الجلسة طلب مندوب دولة بترولية عربية الحديث، ووجدت دبلوماسيا هنديا إلى جوارى يبتسم، لم أفهم. قال لي: انتظر قليلا.. ستفهم.

وبدأ المندوب البترولي العربي يتحدث، جملتين وعشرة جمل مع مصر بالكامل وضد إسرائيل بالكامل ثم استدار إلى المندوب الأمريكي في مجلس الأمن وقال له ما خلاصته: «والله يا أمريكا عيب عليكم. عيب كبير، عيب تسندوا حجة دولة مفعوسة اسمها إسرائيل وتقفوا ضد دولة هرم زى مصر.. عيب.. لازم تختشوا وتبطلوا دعمكم لليهود وتشخطوا فيهم فينسحبوا.. أنتم دولة كبيرة ومقامها عال كبير وكلمتها مسموعة من القريب والبعيد. دولة تعزف ربنا زينا وأكثر ناس بتصلوا كل يوم أحد في الكنيسة».

ثم استدار الرجل من جديد بكريه ليشير بإصبعه نحو المندوب السوفياتي قائلا: «إذا كان الناس الروس دول واقفين مع مصر.. يبقى عيب عليكم يا أمريكا.. بقى الروس دول.. الكفرة الشيوعيون الملحدون الداخلون جهنم بإذن الله لأنهم لا يعرفون ربنا.. يقفوا مع مصر.. وأنتم تقفوا مع إسرائيل؟» الخ.. الخ.

وفي نيويورك كانت وكالات الأنباء ونشرات الأخبار الرئيسية في التلفزيون، الساعة السادسة والسابعة والخبر الرئيسي يتكرر بتوسع وإسهاب: إسرائيل قامت بغارات ناجحة ضد العمق المصري نفذتها بقوات خاصة محمولة بطائرات الهليكوبتر. الطائرات تسللت إلى نجع حمادى فى صعيد مصر. الغارة فشلت فى تدمير قناطر النيل لكنها نجحت فى إصابة محطة كهرباء نجع حمادى، موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يصرخ مهددا،

إذا لم توقف مصر حرب الاستنزاف ضدنا فورا فسوف ننقل الحرب إلى كل مرافق مصر ومدنها، لن نسمح لمصر بأن تعيد بناء قواتها المسلحة.

أسبوع آخر في نيويورك وفي شارع برودواي نزلت من الأتوبيس أتمشى.. كنت قادما من مقر الوفد المصرى لدى الأمم المتحدة حاملا في يدي مجموعة من الصحف المصرية ترد من القاهرة كل أسبوع، تفرجت على فاترينات المحلات واحدة بعد الأخرى بحثا عن راديو صغير ورخيص ويعمل بالموجة القصيرة اشتريه حتى أستمع إلى إذاعة القاهرة.. فى النهاية دخلت أحد المحلات وضعت مجموعة الصحف على المائدة حتى أجرب مع البائع راديو بعد آخر.

بعد لحظات تطلع البائع الأمريكى إلى مجموعة الصحف وفاجأنى بلغة عربية مكسرة: آه.. أنت مصرى؟ إذن أنا أمام واحد من يهود نيويورك إياهم.. اللهم طولك ياروح.. نعم مصرى أنا خالينا فى موضوعنا.. الراديو ده.. بكم؟.

رد الرجل بابتسامة ثعبانية صفراء: لا يهملك السعر.. سأعمل لك تخفيضا مخصوصا يا خبيبي.. بعدها وبلا استئذان، امسك الرجل بإحدى الصحف المصرية وفردها أمامه.. فى الصفحة الأولى خريطة تفسر للقارئ المصرى الثغرة الرادارية التى تسللت منها الطائرات الإسرائيلية إلى نجع حمادى.

تطلع الرجل إلى الخريطة أمامه وبكل غل وتشفٍ قال لى: شوف خبيبي.. ديان يعملها فيكم وأنتم تضربوا لخمة؟ شوف خبيبي لازم تسمعوا الكلام مفيش فايدة.. ناصر مفيش (ورفع الرجل يده اليمنى يجرز بها رقبته كما يفعل الجزار مع الذبيحة) ناصر مفيش.. جيش مفيش.. مصر ذات نفسها مفيش.. عرب مفيش.. بترول مفيش.

طيب.. عهد الناصر والجيش ومصر والعرب مفهوم.. لكن بترول؟ أى بترول؟ قال الرجل بكل ثقة وتأکید: بترول أويل.. مفيش.. شوف خبيبي.. البترول لأمريكا وإحنا وأمريكا كده كده.. أمريكا المخ.. وإحنا العضلات.. مفيش فايدة.. ديان فاجأكم من العالى من فوق وأنتم تضربوا لخمة فى الواطى..

خطفت الصحيفة المصرية من يد الرجل، وباقى الصحف وقلت له: والله أنت اللى رجل واطى، وديان بتاعك ده جاى له يوم.. ومنعت نفسى بصعوبة من أن أبصق على الرجل لكن النوم ليلتها فارقنى حتى الفجر من حرق الدم.

فى مساء اليوم التالى ذهبت إلى منزل سفير مصر فى الأمم المتحدة محمد عوض القونى... بناء على دعوة عشاء من السفير محرّضا لى بأن محمود رياض وزير خارجية مصر وعبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن سيكونان موجودين.

سألنى محمود رياض: لم المحك أمس فى الجلسة المسائية بمجلس الأمن.. خير؟

حكيت له قصة الراديو واليهودى الصهيونى الأمريكى صاحب المحل.

تابعنى محمود رياض بهدوئه المعتاد ثم قال لى مبتسما: إذا أخذت حكاية كهذه بعصية على هذا النحو.. فماذا أفعل أنا كلما طلب جولد بيرغ مقابلتى وهو يهودى صهيونى أمريكى لا يعمل سفيراً للولايات المتحدة بقدر ما يعمل سفيراً لإسرائيل؟.. ماذا يفعل أبناؤنا المقاتلون على ضفة قناة السويس وهم يرون الاحتلال الإسرائيلى فى مرمى البصر؟.. قلت له: أنا لم أتوقف عند شماتة الرجل بقدر ما لفت نظرى شيئان.. أولاً حينما يتكلم عن إسرائيل- وهو يحمل الجنسية الأمريكية- يقول نحن.. ثانياً كلامه عن البترول.

تدخل عبد المنعم الرفاعى قائلاً: يهود أمريكا، ويهود نيويورك خصوصاً، فى حالة تعبئة مستمرة لحساب إسرائيل، فلنأمل أن يصبح العرب جميعاً، وخصوصاً عرب البترول، بمثل هذا الوعى بما يجرى، ثم إنهم هنا يركزون على مصر، وخصوصاً إنها كبيرة العرب. وإذا كسروا شوكة هذا الكبير سيطيحون فينا جميعاً بترول وغير بترول.

قلت لمحمود رياض والرفاعى: لماذا نجىء إلى الأمم المتحدة إذن؟ بماذا يفيدنا مجلس الأمن؟ هذا تضییع للوقت.

ابتسم محمود رياض مقاطعاً: بالضبط أنت بلسانك قلتها: نحن هنا فعلاً من أجل تضییع الوقت، أقولها لك جاداً.. يلزمنا وقت لإعادة بناء الجيش، نحن نعرف من البداية أن إسرائيل احتلت الأرض بقوة السلاح ولن تخرج منها إلا بقوة السلاح، وحتى أى قرار تأخذه من مجلس الأمن لن ينفذ القرار نفسه.. خذ مثلاً أحسن قرار فى العالم لا بد أن نقرأه بطريقتين.. نقرأه مرة من موقع الضعفاء فيصبح تنفيذه على حسابنا.. ونقرأه مرة من موقع الأقوياء فيصبح لصالحنا.. الكلام الجاد لن يكون هنا.. فى مجلس الأمن أو غيره، الكلام الجاد ستقوله قواتنا المسلحة فى ميدان القتال.. إلخ.. إلخ..

□□□

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل السابع

القرار ٢٤٢ والصياغات المراوغة

- الطرف الأقوى هو الذى سيفرض فى النهاية تطبيق القرار بالتفسير الملائم له
- ماذا دار فى اجتماعات محمود رياض مع يارنغ؟
- رياض: لا نقبل أن نتحدثوا عن اللاجئين وكأنهم ماشية
- إسرائيل مخطئة إذا اعتقدت أننا نقبل استعادة سيناء فقط ونترك الأراضى العربية الأخرى



كانت مناورات آرثر جولد بيرغ رئيس الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة مزدوج الأهداف. لقد كان يأمل فقط أن يحث محمود رياض وزير الخارجية المصري على أن يطلب هو من الدول غير دائمة العضوية عدم التقدم بمشروعها.. وبدلاً من ذلك.. يريد جولد بيرغ أن يبشر محمود رياض بمشروع قرار أمريكي تعرف مصر مقدماً ماذا يمكن أن يعبر عنه.

وهكذا بعد ثلاثة أيام فقط من ذلك الاجتماع العاصف، بينه وبين وزير الخارجية المصري عاد جولد بيرغ يجتمع مع محمود رياض من جديد. إنه اجتماع ٧ نوفمبر ١٩٦٧، وهو يضم الآن أيضاً عبد المنعم الرفاعي وزير خارجية الأردن.

وقد بدأ جولد بيرغ الحديث بأن قال لمحمود رياض: «لقد فهمت أنك طلبت من رئيس مجلس الأمن عقد جلسة خاصة..»

وبقاموس الأمم المتحدة فإن هناك مشروعاً رسمياً قد اكتمل، وتعرف به مصر. وتريد أن تطرحه للتصويت داخل مجلس الأمن، وفي العادة تجرى المشاورات لبعض الوقت أولاً، ولكن هناك مشروعاً محدداً أصبح مسجلاً في جدول أعمال مجلس الأمن: والآن يجنى جولد بيرغ يكشف أوراقه هو الآخر، فلهذه مشروع أمريكي يريد موافقة مصر والأردن عليه مسبقاً حتى يتقدم به هو الآخر إلى مجلس الأمن، وجولد بيرغ يريد أن يقنع الوزيرين - المصري والأردني - بأن تلك الصياغات المراوغة التي يقرأها عليهما تعطى للعرب ما يريدونه - الانسحاب الإسرائيلي الكامل.

ورد عليه محمود رياض قائلاً: قد نتفق نحن هنا على أن مشروعكم «هذا» يعني الانسحاب الكامل إلى خطوط ٤ يونيو، ولكن هناك رجلاً محايداً: ممثلاً للسكرتير العام للأمم المتحدة، سيقراً هذا القرار ليقوم بتنفيذه، لكنه سيجد نفسه أمام تفسيرات مشوشة.. إلا إذا كان لديه تفسير كامل، هذا لا يمكن أن يحدث إلا بوضعه في القرار..

ورد جولد بيرغ: أريد أن أكون صريحاً، إن سيناء هي جزء من مصر، لا شك في هذا.. غزة يجب أن تحل نهائياً، ولكن ليس معنى هذا أن تضم لإسرائيل، الضفة الغربية لا بد أن تعود إلى الأردن في التسوية النهائية، إن لنا مشاكلنا أيضاً مع إسرائيل، إسرائيل تريد المفاوضات المباشرة معكم، وتريد البقاء في الضفة الغربية. وتريد الملاحة في قناة السويس وثيران، ونحن نريد أن يكون الانسحاب جزءاً من التسوية..

قال عبد المنعم الرفاعي: يجب أن يكون الانسحاب واضحاً.. ونحن نأمل أن تؤدي هذه المناقشة إلى تعاونكم..

وقال محمود رياض: أنت قررت لي أكثر من مرة أن سيناء جزء من مصر، أعرف ذلك، أي كتاب مدرسي في الجغرافيا موجود فيه أن سيناء جزء من مصر، والجولان جزء من سوريا، والضفة الغربية جزء من الأردن: نحن هنا نتكلم سياسة وليس جغرافيا، فإذا لم تكن الصياغات واضحة.. فليكن ألا يكون أي شيء جزءاً من أي شيء.

اجتماع لورد كارادون ورياض

بعد هذا الاجتماع كانت آخر وسيلة مارسها جولد بيرغ مع محمود رياض هي من خلال اللورد كارادون مندوب بريطانيا في الأمم المتحدة، هكذا اجتمع الاثنان في يوم السبت ١١ نوفمبر ١٩٦٧، وبدا كارادون الحديث قائلاً: يجب أن يصدر قرار «من مجلس الأمن»: ومن أجل الحصول على نتائج لا بد من الحصول على موافقة أمريكا: لقد ذكر الملك «حسين» لنا إنه لا بد من وجود نص صريح عن الانسحاب- نؤيد هذا-، إذا وصلنا مع الانسحاب لا بد أن يكون هناك شيء صحيح لا بد أن نفهمه.. وأن نتحرك في هذا الاتجاه: نريد أن نتعاون بكل قوة.. أرجو أن تذكر لي موقفك بالنسبة لهذا القرار «الأمريكي» الأخير..

قال محمود رياض: موقفنا صريح ولا يتغير.

قال كارادون: «الأمريكان» قالوا وتعهدوا للملك «حسين» جولد بيرغ تعهد للملك بانسحاب إسرائيل من الضفة الغربية..

ورد محمود رياض: لا أعتقد أن كلمته تنفع.. «الأمريكان» يرفضون تفسير مشروعهم «كتابة»..

قال كارادون: أرجوك ألا تضع هذه الفرصة..

رد محمود رياض: أنا أرفض الحصول على شيء نافع.. ولكن «هذا» قد ينفجر في وجهي..

قال كارادون: «الأمريكان» لا يريدون تحديد صيغ معينة، ولكنهم يريدون ترك بعض الباب مفتوحاً..

رد محمود رياض بوضوح وصراحة: الأمريكيان يريدون ترك خريطة الشرق الأوسط لإسرائيل.. مشروع، القرار الأمريكي يعني هذا.

وفى النهاية قال كارادون: إن العقدة ستظل هى بين مصر والولايات المتحدة. وأضاف: إن تدخلنا بالصياغات التوافقية لا يمكن أن يبدأ إلا بعد اتفاقك أنت مع جولد بيرغ. رد محمود رياض: هذا مفهوم.. ولكن لا داعى أن تضغطوا أنتم على الأردن أكثر مما يجب.

القرار ٢٤٢

هكذا، وبعد شهرين، توالى مثل تلك الاجتماعات فى نيويورك بين ممثلى الدول المختلفة، لم تكن تلك الاجتماعات سوى مجرد جزء ضئيل جداً من الصورة فى الجانب الدبلوماسى من الصراع. إن مجلس الأمن يضم ١٥ دولة. من بينها خمس دول دائمة العضوية، وعشر دول أخرى غير دائمة العضوية وإنما يتم الانتخاب للعضوية بالتناوب كل سنتين، وللدول دائمة العضوية امتياز خاص واستثنائى اسمه حق النقض «الفيتو» فإذا وافقت ١٤ دولة مثلاً على مشروع قرار معروض على المجلس واعتضت عليه دولة واحدة دائمة العضوية وقالت «فيتو» يسقط المشروع تلقائياً ودون إبداء أية أسباب.. وإذا كان ممثلو تلك الدول يتفاوضون مع بعضهم فى نيويورك، فإن آلاف البرقيات والاتصالات والزيارات الأخرى كانت تجرى فى الواقع مع - عواصم بلادهم لبلورة موقف أو لمجرد صياغة فقرة أو تعديل كلمة، إن قراراً يصدره مجلس الأمن الدولى لن يكون نهاية العالم، ولكنه يمثل على الأقل إطاراً من الشرعية الدولية لا تريد أن تسجل على نفسها الرغبة البصريحة فى انتهاكها.

فى النهاية تقدمت بريطانيا. بطلب من الولايات المتحدة. لكى تطرح صياغات توفيقية يمكن أن تقبلها مصر والجانب العربى عموماً، لم تتعهد بها الولايات المتحدة فى نفس الوقت، وهكذا تضمنت الصيغة البريطانية الأخيرة تعديلات وإضافات جوهرية أهمها النص صراحة فى القرار على مبدأ «عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة» لأن هذا شرط جوهري بعد أن أصبحت الحكومة البريطانية تشعر بأن المشروع الأمريكى «ليست لديه أية فرصة فى النجاح» - على حد تعبير أبا اييان وزير خارجية إسرائيل الموجود حينئذ فى نيويورك.

ولأن مصر كانت ترى من البداية أن: المكاسب الإقليمية، الحقيقية التى تريدها إسرائيل هى تلك المتعلقة بالضفة الغربية لنهر الأردن. فقد اعتبرت النص على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة ضماناً إضافياً فى هذا الصدد. بعد أن: «قام آرثر جولد بيرغ مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة بإعطاء تأكيدات للأردنيين بأن الولايات المتحدة

ستعمل على عودة الضفة الغربية إلى السلطة الأردنية . وحينما قام جولد بول . الذى أصبح سفيراً للولايات المتحدة فى الأمم المتحدة فى سنة ١٩٦٨ . بزيارة الشرق الأوسط فى أواسط يوليو ، تم تفويضه بواسطة الإسرائيليين لكى ينقل إلى الملك حسين استعدادهم لإعادة الضفة الغربية ، بتعديلات طفيفة . إلى سلطته ، مقابل السلام .

لكننا نزال فى سنة ١٩٦٧ . وحينما صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كإطار دبلوماسى توافق عليه الولايات المتحدة مع الدول الأخرى لفترة ما بعد حرب يونيو فإن القرار ينص فى ديباجته على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة ، وهو المبدأ الجوهرى الذى يقوم عليه كل ميثاق الأمم المتحدة .

وفى بنده الأول ينص القرار على إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط يجب أن يتضمن المبدأين التاليين : «أ» انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التى احتلتها فى النزاع الأخير .

«ب» إنهاء جميع حالات الحرب أو الادعاء والاعتراف بـ واحترام - السيادة ووحدة الأراضي والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة : وبحقها فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من أعمال القوة أو التهديد بها . وفى بنده الثانى ينص القرار على : «أ» ضمان انلاحة الدولية فى الممرات الدولية المائتة فى المنطقة .

«ب» تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

«ج» ضمان الحرية الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة من خلال اتخاذ إجراءات تشتمل على إقامة مناطق منزوعة السلاح .

ثم ينص القرار فى البند الثالث على قيام السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين ممثل خاص سيصبح هو السفير السويدى جونار يارنغ « للاتصال بالدول المعنية لإيجاد اتفاق والمساعدة فى الجهود الرامية إلى تحقيق تسوية شاملة مقبولة بما يتمشى مع شروط هذا القرار ومبادئه .

غموض فى الصياغة

لقد كان هذا القرار من صياغة اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى الأمم المتحدة . وهى صياغة تعمدت بعض الغموض حتى يفسرها كل طرف على هواه ، فمن وجهة النظر العربية تصبح إسرائيل ملتزمة «بالانسحاب من كل الأراضي العربية المحتلة وبتحقيق تسوية عادلة لمشكلة

اللاجئين الفلسطينيين؛ تحددها قرارات سابقة للأمم المتحدة.. وذلك في مقابل قيام الجانب العربي بإعلان إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والسماح لبضائعها بالمرور في قناة السويس. أما من وجهة النظر الإسرائيلية فإن القرار ليس حلاً للتنفيذ، وإنما هو إطار لمفاوضات مباشرة تلتزم إسرائيل بعدها فقط بالانسحاب من «أراضٍ» احتلتها، وذلك حسب النص بالإنجليزية، وليس من «الأراضي» التي احتلتها حسب الصياغة باللغات الرسمية الأربع الأخرى «الفرنسية والروسية والأسبانية والصينية» وبالإضافة إلى ذلك فلا بد من اتفاقات إضافية تفصيلية بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن ينتهي باتفاقات سلام تعاقدية، أما التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين فيتحملها المجتمع الدولي، وليس إسرائيل بعدها فقط بالانسحاب من «أراضٍ» احتلتها، بتعبير «حدود آمنة» هو أن يكون لمصلحة إسرائيل وليس لمصلحة الطرفين، ومن ثم يستلزم تنازلات إقليمية عربية.. إلخ. ولم يكن ترجيح أى من التفسيرين يعتمد على شيء أكثر من توازن القوى الحقيقي في أرض الواقع، فالطرف الأقوى هو الذى سيفرض فى النهاية تطبيق القرار بالتفسير الملائم له. وكانت مصر على وجه الخصوص تعرف ذلك بقدر ما تفعله إسرائيل، ومن ثم فقد كان الشغل الشاغل لمصر فى تلك اللحظة هو تعديل ميزان القوى العسكرى بأسرع وقت، لأن القضية ستحسم فى ميدان القتال وليس فى دهاليز الأمم المتحدة.

القدس.. أين الأوراق السرية؟

لكن بقفزة مؤقتة إلى الأمام وبعدها وصلت بنا الحال إلى هذه الحالة غير المسبوقة مما أسميه «الفوضى التفاوضية» بين العرب وإسرائيل، أصبح لزاما التوقف قليلا لمراجعة كل ما يجرى، والمراجعة هنا لن تكون مفيدة إلا إذا عدنا إلى الأساسيات، وأول هذه الأساسيات هو أن إسرائيل قامت فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بحرب كبرى جعلتها تحتل سيناء وقطاع غزة والجولان والضفة الغربية، وفى ذروة إحساس إسرائيل بالنشوة من انتصارها العسكرى حاولت أشياء.. نجحت فى بعضها وفشلت فى البعض الآخر.

ومن بين أوجه الفشل أن إسرائيل كانت تحلم بأن تسفر مشاورات مجلس الأمن الدولى عن قرار يستبعد مطلقا أى التزام إسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة، وبالتنسيق مع الولايات المتحدة كان أول مشروع قرار امريكى رسمى لا ينص بالمرّة على كلمة انسحاب لكن الولايات المتحدة اكتشفت فى مشاورات الكواليس فى الأمم المتحدة وقتها أن مثل هذا

المشروع لن يحصل أبداً على الأغلبية اللازمة داخل مجلس الأمن. من هنا دخلت بريطانيا على الخط وتقدمت بالمشروع الذي سيصبح فيما بعد قراراً من مجلس الأمن برقم ٢٤٢. وفي جلسة مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ بتاريخ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وقف آرثر جولد بيرغ مندوب الولايات المتحدة ليعلن في المجلس: «بالنيابة عن حكومتى أتعهد لمجلس الأمن وللأطراف المعنية بوضع نفوذنا الدبلوماسي والسياسي وراء مشروع هذا القرار في تدعيم جهود ممثل الأمم المتحدة لتحقيق تسوية عادلة حتى يتمكن الجميع في المنطقة من العيش في سلام وطمأنينة»، ثم عاد المندوب الأمريكي ليعلن في جلسة مجلس الأمن رقم ١٣٨٢ بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ أنه يكرر التعهد نفسه من جديد أمام المجتمع الدولي. تلك هي الجلسة التي تم فيها رسمياً إقرار المشروع، ومن وقتها أصبح القرار ٢٤٢ أساس أي تسوية عربية-إسرائيلية.

وفي حينها اعتبره عرب ١٩٦٧، المهزومون لتوهم عسكرياً فضيحة بجلاجل، إن القرار ٢٤٢ قد لا يكون قراراً مثالياً، ولكنه يمثل الحد الأقصى لاي تنازلات عربية. لقد نص القرار على عدم جواز الاستيلاء على الأراضي عن طريق القوة وعلى التزامات متبادلة، وأهم الالتزامات هنا أن تنسحب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها مقابل التزام الأطراف العربية المعنية بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل.

ولكن عرب ١٩٦٧ وإن كانوا مهزومين إلا أنهم لم يكونوا ساذجين. فبادئ ذي بدء هم يعرفون أن وجود قرار من مجلس الأمن بالانسحاب الإسرائيلي الكامل لا يعنى بالضرورة أن إسرائيل ستانسحب فعلاً... ولو من قبيل الكسوف، ومن هنا قررت مصر مثلاً أن إعادة بناء قواتها المسلحة بالكامل ورفع تكلفة استمرار الاحتلال الإسرائيلي تدريجياً وصولاً إلى إخراجها بالقوة المسلحة هو الطريق الصحيح إلى التسوية، ولن تنزعج مصر حينذاك بالمرّة من حقيقة أن سوريا رفضت القرار ٢٤٢ جملة وتفصيلاً بينما قبلت به مصر والأردن وبدأتا فعلاً التفاوض مع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة حسب نص القرار ٢٤٢. كانت الفكرة هنا- من وجهة النظر المصرية- هي أن مصر تريد أساساً أن تكسب الوقت الضروري لتستكمل فيه إعادة بناء جيشها. خصوصاً أنها بدأت لتوها حرب استنزاف شهيرة ضد الاحتلال الإسرائيلي في سيناء.

والآن ندخل في الأوراق السرية التي تنشر هنا للمرة الأولى، فبالإضافة إلى المفاوضات غير المباشرة بين إسرائيل من ناحية ومصر والأردن من ناحية أخرى، التي تديرها الأمم

المتحدة. كانت هناك مفاوضات أخرى موازية تجرى بين مصر والولايات المتحدة على رغم انقطاع العلاقات الدبلوماسية بينهما رسمياً، وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩٦٨ اجتمع وزير الخارجية الأمريكي دين راسك مع وزير خارجية مصر محمود رياض. لقد جرى الاجتماع في نيويورك حيث كان الاثنان يحضران الدورة السنوية العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفي ذلك الاجتماع تقدم الوزير الأمريكي إلى الوزير المصري بمشروع رسمي من سبع نقاط. وفي المشروع تعرض الولايات المتحدة على مصر رسمياً، وبكلمات قاطعة محددة للمرة الأولى، انسحاب إسرائيل بالكامل من الأراضي المصرية مقابل إنهاء مصر لحالة الحرب مع إسرائيل وسماحها بالملاحة الإسرائيلية في قناة السويس بعد اكتمال الانسحاب الإسرائيلي، وفي الاجتماع تساءل محمود رياض عن مصير الضفة الغربية والجولان، فرد عليه دين راسك قائلاً: «إنني أتحدث الآن مع وزير خارجية مصر، وسأبحث الموضوع بطريقة مماثلة مع الأردن، أما بالنسبة إلى سوريا فسوف نبحث الموضوع معها حينما توافق أولاً على القرار ٢٤٢».

وفي تلك اللحظة رفض محمود رياض هذا الموقف الأمريكي في التو واللحظة ولكن دين راسك لم يقتنع بذلك الرفض وطلب من الوزير المصري أن يحمل هذا المشروع إلى القاهرة. ومن هناك يرسل إليه في واشنطن برد مكتوب.

وفي الأول من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٦٨ تلقت واشنطن من القاهرة الرد المكتوب رسمياً، وفي ذلك الرد يحدد وزير خارجية مصر (واسمها الرسمي حينئذ: الجمهورية العربية المتحدة) أسباب رفض القاهرة لتلك الصفقة الأمريكية على النحو الآتي، حرفياً: «إن التزامات الدول العربية، المنبثقة من عضويتها في جامعة الدول العربية وميثاق الدفاع المشترك الموقع من جانبها في إطار الجامعة، يجعل أي عدوان ضد أي منها عدواناً ضد جميع الدول العربية لهذا فإن إنهاء حالة الحرب من جانب الجمهورية العربية المتحدة يتطلب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية».

وهذا الموقف الأمريكي الرسمي شديد الأهمية لأنه آخر موقف سجلته الإدارة الأمريكية برئاسة ليندون جونسون قبل خروجه من البيت الأبيض. وجونسون كان هو ذاته شريك إسرائيل المتواطئ معها في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧. والمنطق الأساسي في الصفقة هو انسحاب إسرائيل بالكامل من سيناء مقابل أن تفصل مصر نفسها عسكرياً وسياسياً عن الدول العربية الأخرى ومصير أرضها المحتلة.

ثم نقفز في رحلة الملفات السرية إلى أوراق أخرى.

فمنذ حزيران ١٩٦٧ كان الزعيم الفرنسي فى السلطة- شارل ديغول حينئذ- يعلن رفض بلاده أن تكون التسوية بين العرب وإسرائيل احتكارا أمريكيا سوفيتيا، ومن هنا نادى ديغول علنا بأن التسوية يجب أن تكون محل تشاور بين الدول الأربع الكبرى، يقصد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا. ولكن رعونة جونسون وارتباطه بإسرائيل جعلاه يرفض فكرة ديغول متهمكا بأنه يعرف فقط بوجود دولتين كبيرتين فى العالم- وليس أكثر- هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

مع تسلم ريتشارد نيكسون مقاليد السلطة فى البيت الأبيض فى كانون الثانى (يناير) ١٩٦٩ خلفا لجونسون، اقر لتوه بفكرة ديغول. ففى نهاية المطاف تبقى فرنسا وبريطانيا حليفتين للولايات المتحدة ولهما مصالحهما المشروعة فى الشرق الأوسط. ومن هنا بدأ فى نيويورك ما سعى «المشاورات الرباعية»، وهى اجتماعات مغلقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا على مستوى ممثل كل منهم فى الأمم المتحدة (جورج بوش أصبح فى مرحلة تالية ممثل أمريكا فى تلك الاجتماعات). اجتماعات كانت تعقد بالتوالى فى منزل كل منهم حتى تكون بعيدة عن الأضواء والهدف منها أساسا هو تنفيذ القرار ٢٤٢ على أرض الواقع ضمن برنامج محدد وتعريفات محددة ومتفق عليها.

حتى سنة ١٩٧٠ تأكدت الولايات المتحدة أنه إذا استمرت فى تبنى الموقف الإسرائيلى فإنها ستصبح مغلولة تماما فى تلك المشاورات. أما الضاغط الأكبر فأصبح حرب الاستنزاف المصرية التى أصبحت بدورها انعكاسات إقليمية ودولية أوسع كثيرا من جبهة قناة السويس، هكذا، وبالتدريج، أصبح الموقف الأمريكى يتطور، أساسا بدماء المقاتلين المصريين برا وبحرا وجوا. وأيضا بحكم الموقف الذى يجمع بين باريس وموسكو ولندن فى مواجهة واشنطن وكانت مصر من جانبها تتلقى أولا بأول نسخة من محاضر تلك الاجتماعات المغلقة فى نيويورك على مستوى ممثلى الدول الأربع الكبرى، وهى تتلقاها من مصدرين أولا- من الولايات المتحدة ذاتها على رغم حقيقة انقطاع العلاقات الدبلوماسية. ثانيا- ومن الاتحاد السوفيتى. لابد أيضا أن الأردن كان يتلقى معلوماته الأمريكية لأنه على الأقر لم يقطع علاقاته الدبلوماسية مع الولايات المتحدة.

وفى هذا الإطار نستطيع قراءة الأوراق السرية التى تنشر هنا للمرة الأولى. والورقة الأولى هى محضر اجتماع ممثلى الدول الأربع الكبرى المذكورة فى نيويورك بتاريخ الثامن عشر من حزيران سنة ١٩٧٠ لقد نص قرار مجلس الأمن على وجود حدود آمنه أصبحت

إسرائيل تزعم أنها امتياز يخصصها ويسمح لها بالتالي بأن يكون انسحابها منقوصا. والآن تتفق الدول الأربع الكبرى على أن «الحدود الآمنة، يجب أن تكون: هي الخطوط القائمة قبل نزاع حزيران (يونيو) ١٩٦٧، أو خطوط هدنة ١٩٤٩، مع موافقة الأطراف على إجراء تعديلات طفيفة في حالات خاصة»، ثم في جلسة بتاريخ السابع من تموز (يوليو) ١٩٧٠ جرى تحديد معنى «التعديلات الطفيفة» على النحو التالي حرفيا: معايير تقرير التعديلات الطفيفة هي اعتبارات الأمن المحلي والقضاء على المعوقات التي تعرقل المواصلات الداخلية أو المراقبة العادية للحدود أو أية معايير أخرى يتفق عليها. ثم في الجلسة التالية بتاريخ التاسع من تموز (يوليو) ١٩٧٠ أضيف إلى ما سبق: «اعتبارات حسن سير العمل الإداري أو الاقتصادي».

وفي كل الأحوال فإن التعديلات الطفيفة المقصودة تنطبق فقط على حدود الضفة الغربية مع إسرائيل، ولأسباب إدارية وإنسانية بحتة. وفي نهاية المطاف فإن أى تعديلات طفيفة هنا يجب ألا تعكس ثقل الاحتلال العسكري.

ولا نريد الاسترسال هنا في رحلة الملفات السرية إنما المهم هنا أمران فأولا: حتى سنة ١٩٧٠ لم يكن هناك أى جدل في التزام إسرائيل بالانسحاب الكامل من سيناء وقطاع غزة والجولان والضفة الغربية. والجدل الوحيد الذي أقرت به الولايات المتحدة رسميا يتعلق بالضفة الغربية وهو جدل لا يتعلق بدوره بمبدأ الانسحاب الإسرائيلي الكامل وإنما فقط بتعديلات طفيفة وإدارية مثل حالة أن تكون خطوط هدنة ١٩٤٩ قد قسمت قرية واحدة إلى شطرين، وثانيا- أن الولايات المتحدة هي بذاتها التي أبلغت مصر والأردن بموقفها التفصيلي هذا، وبذلك القدر من التحديد.

نعود بعد هذه الإطلالة إلى الشغل الشاغل للمصريين وتركيزهم على تعديل ميزان القوى وأن القضية ستحسم في ميدان القتال وليس في دهاليز الأمم المتحدة.

عبد الناصر: كسب الوقت للإعداد العسكري

وطبقا لاجتماعات مجلس الوزراء في مصر: ففي جلسة ٧ ابريل ١٩٦٨ قال عبد الناصر: «في تقديري أن مهمة يارنغ لن تصل إلى اتفاق مشرف بالنسبة لنا، كما أنى أقرر أنه سيبقى حوالى سنة ونصف السنة، يعنى ١٨ شهرا. وفي الآخر يصل إلى لا شيء، في الواقع،

أحنا في حاجة إلى هذا الوقت لإعداد قواتنا المسلحة، أما بالنسبة إلى الرد على الموضوعات التي عرضها يارنغ. فإذا قلت له: «من حيث حق الحياة، فأحنا في مصر محتاجين في حاجة إلى هذا الحق مثل إسرائيل».

- من حيث الحدود فلا توجد مشكلة حدود بيننا وبين إسرائيل أصلا، إذ إن الحدود المصرية معروفة ومثبتة منذ مئات السنين.

- من حيث المرور في خليج العقبة، فإننا نحتفظ بحقنا في عرض ذلك على محكمة دولية.

- من حيث المرور في قناة السويس، فنحن موافقون على المرور في القناة بشرط أن تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بشأن الفلسطينيين.

- من حيث المناطق منزوعة السلاح، فنحن موافقون عليها بشرط أن تكون على جانبي الحدود.

- من حيث تواجد قوات طوارئ دولية، فنحن موافقون عليها بشرط أن تكون أيضا على الجانبين، هنا وهناك. وفي رأيي، أننا يجب أن نستفيد من مهمة يارنغ لكسب الوقت للإعداد العسكري لقواتنا المسلحة».

مهمة يارنغ أمام الطريق المسدود

وفي الحقيقة فقد كانت مباحثات جوناو يارنغ ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة تسير في طريق مسدود وتدور في حلقة مفرغة، ويبدو ذلك واضحا من خلال استعراض بعض محاضر اجتماعاته مع وزير الخارجية المصري محمود رياض، وهي وثائق تنشر لأول مرة.

في يوم ١٣ فبراير ١٩٦٨ اجتمع محمود رياض مع يارنغ ودار الحوار على النحو التالي:

جوناو يارنغ:.. (حديث عن قضايا إنسانية تتعلق بمدينة مصريين مفقودين في سيناء ونتائج اتصالات الصليب الأحمر مع إسرائيل بشأنهم...).

أمضيت يومين في القدس - الأحد والاثنين - و(سأطير) باكرا إلى عمان، إنهم كانوا يتناقشون في الحكومة عن ال Approval الذي كنا نبحثه سويا هنا. قلت لهم ما ذكرته لي في المرة الماضية، اجتمعت مع إيبان أمس، وبعد مغادرتي كان سيتم اجتماع بينه واشكول.

الجواب الذى قالوه لى . أعاد ذكر أنهم سيتعاونون معى فى مهمتى .. لا تغيير هناك .. إن إسرائيل مستعدة للتفاوض فى كل الأمور الموجودة فى القرار (٢٤٢) والتي يرغب احد الأطراف ذكرها.

ثم ذكر أن أشكول قال فى بيان ٨ / ١ / ١٩٦٨ أختار إسرائيل للقرار رغبة فى التعاون مع المجتمع الدولى . قال إنه يفهم أن مصر مستعدة لقبول القرار وأنها مستعدة (للتنفيذ) على أساسه .

المرحلة الثانية هى جمع الأطراف عن طريقى .. هذه هى الخطوات . محمود رياض : يبدو أننا مقدمون على مرحلة طويلة فيها اللعب بالألفاظ . ويبدو أننا لا نتقدم وأنه .. من ناحيتنا لا يمكننا أن نذكر أى شىء جديد أو أن نضيف إلى ما قلنا .. إلا إذا سمعنا منهم أنهم مستعدون لتنفيذ القرار ولا يحيلون الأمر إلى بيانات قالوها ، أو خطب أعلنوها ، وإذا صمموا على المفاوضات المباشرة فلن ينفع ، وأنا مصممون على التفاوض عن طريقك .
جونار يارنغ : هذا لن يقبلوه لأنه سيكون صعبا جدا .

المهم هو التنفيذ

محمود رياض : هذا موقفهم . ونحن نعتقد أنهم لا يريدون تنفيذ القرار . ولذلك هم يعملون على المفاوضات المباشرة . إلا فلا داعى أن يصمموا على هذا . على أية حال أنا لا أدخل فى مناقشة هذا الموضوع ، وأن الموضوع الهام الآن هو .. هل هم مستعدون لتنفيذ القرار أم لا ؟ . موقفهم غير واضح ، أما كيفية تنفيذ القرار فإننا كما ذكرت لك مستعدون للمناقشة معهم . وإن عليهم الآن أن يقدموا مقترحات التنفيذ .
جونار يارنغ : أليس هذا ما اقترحوه ؟ .

محمود رياض : لا .. هذا ليس للتنفيذ .. نحن كذلك لدينا أفكارنا عن التنفيذ . على أية حال هذا هو الموضوع الثانى . وأما الموضوع الأول فهو التنفيذ . التنفيذ هو ما يستعمل فى الأمم المتحدة .. هل نحن بصدد تنفيذ أم لا ؟ . إذا قلنا نحترم فقط فليس لهذه الكلمة مدلول معين سوى الاحترام للقرار . ولم نسمع منهم أى كلمة عن تنفيذه . وإن كل ما نسمعه منهم هو التفاوض . وذلك لأنهم لا ينون التنفيذ . والمفاوضات ستبحث فى وقت ما بعد أن يكون قد اتفقنا على كل شىء . وهذا ..

جونار يارنغ : التنفيذ الكامل إذا اتفق عليه يجب أن تتبعه مفاوضات بعد ذلك .

محمود رياض: هذه هي آراؤهم، ولنا نحن كذلك آراؤنا في كيفية التنفيذ.
جونار يارنغ: أهم شيء هو إنهاء حالة الحرب.
محمود رياض: كما قلت لك هذا يمكن إنهاؤه عن طريق الإعلانات، خاصة أنه ليس هناك شيء لنبحثه هنا، وكل ما يحدث إصدار بيانات على نفس اللغة التي أصدرها مجلس الأمن، وأن يودع هذا في المجلس، لغة القرار صريحة وجيدة، وبذا يمكن عمل هذا حتى في طريقك أنت، وحتى إذا وضعت في تقريرك أننا قبلنا القرار نكون قد قبلنا إنهاء حالة الحرب..
جونار يارنغ: وكذلك الملاحاة؟
محمود رياض: نعم، وسيكون هذا بمثابة التزام من ناحيتنا.. لكن القول بأنهم يحترموا القرار لا يعنى الالتزام بتنفيذه.
جونار يارنغ: هذا صحيح، لقد قلت لهم، لقد ذكرت لهم كلامك بكل وضوح.

لا تتحدثوا عن اللاجئين وكأنهم ماشية !

محمود رياض: هم في الواقع لا يلعبون فقط بألفاظهم، ولكنهم يلعبون بأقوالنا نحن، وهذا ذكاؤهم، وعلى هذا فلا يمكن أن أقول: إننا تقدمنا، بل نحن في نفس الموضع، إذا قالوا: إنهم يحترموا هذا من قبيل التلاعب بالألفاظ ولكن هناك فرقا بين respect وimplement. يجب أن نكون واضحين جدا. respect يعنى أن نجلس ونتفاوض ونتباحث في كل الأمور، ولكن عندما نبحث التنفيذ لا يمكن أن نقول إنهم تعهدوا، وبالطريقة هذه يكونون قد أخذوا كل ما جاء بالقرار كمبادئ فقط قابلة للمفاوضة.
الملاحاة مثلا ليست مسؤوليتي أنا أتفاوض على تنفيذ القرار، فإذا جئنا إلى هذا الموضوع مثلا وسألتني عن هذا الموضوع لا يمكنني أن أقبل هذا أو أقبل الكلام عن اللاجئين وكأنهم ماشية، يجب على الفلسطينيين أن يقولوا شيئا عن هذا، لا يمكن أن أناقش فيه، هذه مسئولية الأمم المتحدة، يجب مناقشتها في الأمم المتحدة ويجيء القرار من ناحيتها ولا يجيء مني أنا لأنها ليست مسؤوليتي أنا، الأمم المتحدة تقرر هي نفسها إذا كانوا يعودون أو لا، هذه ليست مسؤوليتي، ولا قوة لدى لإرغام اللاجئين بعمل حل معين، لماذا تضطلع مصر.. هل لان لديها بضع آلاف من اللاجئين؟ لا.. في كندا أكثر من هذا، إسرائيل هي المسئولة، ومع من؟ مع الطرف الآخر وهو الأمم المتحدة والفلسطينيون، وعلى هذا فهذه النقطة كما جاء في المجلس ليست مسؤوليتي، أما أن تحضر إسرائيل وتريد مناقشة

هذا الموضوع معي، فسأقول إنني لا دخل لي في هذا، يحب أن يعطيك السكرتير العام صلاحيات لمناقشة هذا معهم، أنا باعتباري عضوا في الأمم المتحدة أقول إننا...

جونار يارنغ: ولكن تنفيذ القرار يتضمن معالجة هذا الأمر..

محمود رياض: هذا القرار ليس موجها لي..

جونار يارنغ: every state in the area - الأربع دول.

محمود رياض: لماذا.. ولماذا لا تكون الدول الأخرى؟

جونار يارنغ: هل أخذوا دورا في الحرب...؟

محمود رياض: لبنان مثلا.. العراقيون حاربوا.. under command وعلى أية حال

نتكلم هنا عن قوات من الجزائر..

جونار يارنغ: ولكن لم تشترك هذه القوات..

محمود رياض: ولكن كانوا تحت قيادة اللاجئين سنقول رأينا. ولكن ليس معنى هذا أنها مسؤوليتي.. أنا لا أتهرب من المسؤولية.. وأنا سأقول طبعا رأيي فيما يجب عمله تجاههم.. يجب عودتهم إلى أوطانهم..

جونار يارنغ: يعطوا الفرصة لبلادهم..

محمود رياض: رأي مصر أن يعودوا..

جونار يارنغ: ولكن.. إذا رفضوا العودة؟

محمود رياض: بهذا يكونوا قرروا هم أنفسهم..

جونار يارنغ: نعم.. هذا حق كل شخص أن يقول كلمته..

محمود رياض: للأمم المتحدة أن تتخذ أي قرار، وهناك قرارات مثلا في هذا الشأن، ونحن، ولو أننا نعتقد أنهم يجب أن يعودوا حتما، إلا أننا نقبل قرارات الأمم المتحدة لأننا نصوت فيها، على أية حال، ما أقوله هو أن الموضوع ليس مسؤوليتي، ليس لأن إسرائيل هاجمتنا مثلا فنجد أنفسنا مطلوبا منا حل مشكلة اللاجئين. ولكن فيما يتعلق بالعدوان فأنا طبعا ملزم بحله، هناك أمران.. العدوان وهذا يصيبني مباشرة والنقطة الأخرى هي خاصة بفلسطين ومنها اللاجئين: أنا طرف مباشر للأول ولست طرفا مباشرا للثاني، ولذلك، فإذا قلت لي أن أتفاوض في الثاني لا يمكن. أنا لا أضمن أن تكون هناك تسوية نهائية.

كل ذلك أقوله لأنني أعتقد أنهم لا يريدون تنفيذ القرار، وإذن فإنهم يعملون على أن نبحث في كل هذه الأمور. والمهم هو قبول القرار، ونحن على استعداد لتنفيذ التزاماتنا

تحت القرار، ولذا يجب أن نعلم منهم أنهم مستعدون لتنفيذ القرار.. الانسحاب- اللاجئيين- يجب أن نسمع كيف سينفذونه.

جونار يارنغ: يجب أن نستمع منهم الآن عما إذا كانوا ينوون تنفيذ القرار ويوفون بالتزاماتهم في ظله.. وأن مصر مستعدة لعمل الشيء المماثل.

محمود رياض: عندما قلنا إننا مستعدون لتنفيذ القرار كنا نعني أننا مستعدون لتنفيذ التزاماتنا طبقا للقرار.

جونار يارنغ: وإذا تم هذا تجيء الخطوة التالية.

محمود رياض: سنتناقش سويا في كيفية تنفيذ القرار، ولهذا نريد أن يوضح كل طرق كيف يمكن تنفيذ هذا.

جونار يارنغ: أنا أعلم ما تريده إسرائيل في هذا، من أنها ستبحث مرة أخرى لتقول إنه يجب to have a discussion وأنتم تقولون إن هناك طرقا أخرى.

محمود رياض: لقد أعطيتك بعض الدراسات..

جونار يارنغ: ولكن هذا يتعلق بنقطة واحدة.

محمود رياض: نعم.

جونار يارنغ: هذا مفيد جدا well very good.

محمود رياض: هذه نقطة يجب أن نكون واضحين فيها تماما، وبهذا نتفادى مشاكل كثيرة في المستقبل، أعضاء المجلس الذين أقرروا القرار يجب أن يكونوا عالمين تماما بكل هذا، واضح عندما أقرروا القرار كان لابد في رأيهم أن القرار يجب تنفيذه وليس احترامه فقط.

غزة مثل سيناء

جونار يارنغ: هذا طبعا طبقا للميثاق، طبيعي أن قرار المجلس يجب تنفيذه. ولكن أعلم أن هناك أمورا أخرى لم تنته بهذا.. وهي حالات أنتم لستم بعبيدين عن بعض جوانبها. طبعا تشكون من أنهم لن ينسحبوا إلا على أساس أمور أخرى.

محمود رياض: الأمر أكثر من ذلك. ما نسمعه منهم كل يوم أنهم ينوون الاحتفاظ بأراضيها..

جونار يارنغ: هل قالوا هذا عن مصر؟

محمود رياض: أنا أتكلم عن الأراضي العربية، وإذا تكلموا عن مصر وتركوا غزة وهي تحت مسئوليتنا يكونون مخطئين.

جونار يارنغ: لقد قلت لي هذا ووضعتها في مذكراتي..

محمود رياض: نحن نعامل غزة كما نعامل سيناء دون أى شك ولا تردد.

جونار يارنغ: أظن أنه معروف أن إسرائيل يجب أن تترك غزة..

محمود رياض: إن مستقبل هذا القطاع سيكون للعرب أنفسهم الذين يسكنونه، ونحن لم نضمهم إطلاقاً، إننى أريد أن أذكر صراحة لأن «آرثر» جولد بيرغ تكلم عن أنه ليس هناك مشكلة عن الأراضي المصرية، ولم أرد عليه فى المرة الأولى، ولكن بعد ذلك ذكرت له صراحة الأراضي العربية، جولد بيرغ هو الآخر كان يلعب معى طول الوقت.. تكتيك.. عندما أتكلم عن الانسحاب أعنى الأراضي العربية كلها، لا أتكلم عن سيناء مثلاً.. لأنهم سيتركونها يوماً ما ونحن سنجبرهم على ذلك، وإذا اعتقدوا أننى مستعد للتفاوض عن سيناء ولا أتكلم عن الأراضي العربية الأخرى سيكونون مخطئين جداً، وإذا أرادوا أن يمكثوا سنه أخرى.. فليكن، لذلك عندما أتكلم عن الانسحاب أرجو أن يكون مفهوماً تماماً.. الانسحاب من جميع الأراضي.

هذا هو السبب فى أننى أريد منهم أن يتعهدوا بتنفيذ القرار، ليتخذوا مواقفهم أمام الرأى العام العالمى وأعضاء مجلس الأمن الدولى والدول الكبرى، نحن نريد أن نستمتع كذلك من هذه الدول إذا كانت تريد أن ترى القرار منفذاً، أو أنها تعتقد أنه «إعلان نوايا» وفى ضوء هذا نأخذ قراراً عن أنفسنا وهل نذهب ونجلس معهم ونوقع اتفاقية تسليم أو لا، يجب أن تكون هناك نهاية طبعاً، ولكن كيف يكون هذا.. لا أدري، ولكن لا يجب أن نخدع.

جونار يارنغ: أنت واضح تماماً، لقد قدمت هذا لهم بكل وضوح... وكل ما ذكرته لي اليوم هو ما أفهمته لهم، وعلى أية حال سأذكر لهم ذلك مرة أخرى.

محمود رياض: حسناً أن نجرب مرة أخرى، نحن نعلم أن أعضاء مجلس الأمن لهم وجهة نظرهم.. كيف سيتصرفون وفى أى اتجاه. نحن لن نخبر أياً منهم لاتخاذ قرار أو اتجاه معين. لكن الوقت سيأتى عندما نطلب من كل منهم أن يذكر شيئاً. هذه المرحلة صعبة طبعاً. نحن نعرف ذلك. هذا أمر ليس من الهين أن نراه مطبق.

جونار يارنغ: ليس سهلاً. هذا ما يمكننى أن اتفق عليه معك. لا أدري كيف سيكون الحل. لكن على أية حال فالأمر يستحق المحاولة مرة ثانية. هذا شيء مقنع.

الفصل الثامن

المراوغة الإسرائيلية تجمد القرار ٢٤٢

- كلمة .احترام. أو .يقبل. أو حتى (تنفيذ) كلها كلمات يجب أن تترجم إلى أعمال
- رياض ليارنغ: الإسرائيليون يتلاعبون بالألفاظ وكل همهم التوسع.
- لن نقبل بغير انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي العربية المحتلة.
- لا فرق بين المفاوضات المباشرة وغير المباشرة ومعاهدة الصلح تعنى معاهدة سلام.



كان واضحاً أن مهمة السفير السويدي جونار يارنغ مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة تدور في حلقة مفرغة وتسير في طريق مسدود بسبب المراوغات الإسرائيلية لعرقلة تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢. الأمر الذي جعل جمال عبد الناصر لا يعلق آمالاً عليها ويعتبرها محاولة كسب الوقت يضمن له الإعداد العسكري للقوات المسلحة، وكان واضحاً أن إسرائيل تسعى إلى عقد مفاوضات «مباشرة أو غير مباشرة» مع العرب وصولاً إلى إبرام معاهدة صلح هي في الحقيقة معاهدة استسلام، كما كان جلياً أن إسرائيل تعتمد إلى أسلوب المناورة والتلاعب بالألفاظ للتهرب من تنفيذ أي بند من القرار ٢٤٢.

ويبدو ذلك بوضوح من خلال محاضرات اجتماعات جونار يارنغ مع وزير الخارجية المصري محمود رياض في ٨ مارس ١٩٦٨ وهي وثيقة تنشر لأول مرة. جونار يارنغ: تقابلت مع الكبار وكذلك مع القوى الأوروبية ثم مع العراق ثم مع الهند.. وسوريا لم تقابلني. رحلتكم كانت أطول.

محمود رياض: حول البحر الأبيض كله تقريباً. دول بحر أبيض مهتمة بالقضية خاصة الإيطاليين الذين يريدون فتح القناة بسرعة.

جونار يارنغ: بواخراًهم كذلك.

محمود رياض: هل رأيت «يوثانت»؟

جونار يارنغ: كان مشغولاً جداً بموضوع فيتنام ولكنه لم ينس الشرق الأوسط. عقدنا أحاديث طويلة حوله. لقد قرأت الجرائد ولكني لا أدري بالضبط ماذا يحدث ولا أعتقد أن الوقت أيسر مما كنا عليه عند سفري.

محمود رياض: منذ سفرك لم يحدث أي تغير سوى ما فعله الإسرائيليون، ونحن لم نتعجب من ذلك. وهذا يعطى للآخرين أنهم يلعبون بالألفاظ وأن كل همهم هو التوسع وأن ما عملوه لم يكن غريباً لنا. وقد يكون كذلك بالنسبة لآخرين. لقد سمعوا بعض الأصوات. ولكن تفسيراتهم لا تقنعنا. إذا لم يكن للتفسير نتائج عملية فلماذا عملوه. على هذا الموقف منذ سفرك ضراً عليه هذا العامل الخطر، وهذا يزيد من يقيننا أن الإسرائيليين يستمرون.. يريدون زيادة أراضيهم والتوسع.. عندما كنت في باريس قالوا: إنهم يستغربون من تصريح رابين لأن ناصر لم تكن لديه نية مهاجمة إسرائيل وأن إرسال الفرقتين إلى سيناء لم يكن إلا

من قبيل الـ bluff لكى يقال إنه بجهوده أوقف هجوم إسرائيل على سوريا. هذا مهم جدا لأن الأمريكان يقولون لا نعرف من الذى بدأ الهجوم.. راسك قال هذا، وقال: إنه فى خلال بعض الأيام سنعرف هذا الأمر - كذلك فى إحدى مناقشاتي مع جولد بيرغ أراد أن يوهم أنه يعرف الحقائق عندما قال: إنهم يعرفون أنه كان لدينا بعض الخطط مهاجمة إسرائيل.

جونار يارنغ: لقد قرأت هذا التصريح.

محمود رياض: كل هذا لابد أن يعطى الحقيقة.. إننا لم نكن ننوى مهاجمة إسرائيل. وكذلك إن إسرائيل تريد التوسع، أمل أن تكون مقابلتكم مع الدول الكبرى فى نيويورك تؤدي بك إلى أن نخبرنا أنهم سيمارسون ضغطا على إسرائيل للانسحاب ولتنفيذ القرار. جونار يارنغ: الاتحاد السوفياتي له موقف خاص وليس فى نفس الموقف الذى يتيح له ممارسة أى ضغط، ولا أظن أننى أتمكن من إحضار أى أنباء منهم، تحدثت مع السكرتير العام بتطويل فى هذا الموقف وما يمكن عمله: مازلنا نفكر فى إعفائي من السفر الكثير وأن تكون فى مكان واحد. كانت هناك مناقشة بين بانث والإسرائيليين من رودس. قلت للسكرتير العام إننى أشعر أننى لم أتمكن من أن أحصل على رد من إسرائيل على سؤالكم حول تنفيذ القرار.. رد صريح على سؤال صريح من مصر. المشكلة الثانية أن إسرائيل مصممة على المفاوضات. وفى القدس يشعرون أننا إذا اجتمعنا فى مكان ما سيؤدي هذا إلى مفاوضات مباشرة. هذا طبعا ما لا تشعرون به، ولكن بين الأول والثاني هناك dead lock ناقشنا هذا، وأظن أننى مقتنع أنه لا يمكن أن استمر فى التنقل بين العواصم. ولذلك فإنى أريد اقتراح مكان ما للمقابلة.. أى بلد يكون مناسباً ولدى formula وأريد أن أسالك عنها لا أريد اسمها proposal ولكننى أود أن اعرف ما إذا كانت هناك إمكانية من قبولها أو لا. ولكننى أريد feel my way إذا كان يمكن قبولها فسيكون فى شكل خطاب إلى السكرتير العام، لا يعنى خطاب منى إليكم- وهذا لا يؤدي بكم إلى أن ترسلوا رداً على. فقط يكون هناك اتفاق agreement حوله. وبغير هذا لا أرى فى الواقع كيف يمكن الاستمرار. لم أتقدم بذلك إلى الإسرائيليين ولا أدري ماذا سيقولون عنه.

محمود رياض: هل تلقيت رداً من إسرائيل عما إذا كانوا يقبلون القرار؟

جونار يارنغ: كلا، لم أتلّق شيئاً منهم ولكننى أريد وضع السؤال فى هذه الصياغة.

محمود رياض: لقد رايتهم وقدمت السؤال لهم. وفى المرة الماضية تكلمت معهم.. فماذا

كان الرد؟

جونار يارنغ : كان هناك كلام كثير ولكن لم أتلق شيئا هاما وذلك قبل مقابلتي معك المرة الماضية، الآن أريد أن أتقدم بهذا لهم، لقد قلت لي وقتها إن القبول يكون خطوة إلى الأمام ولو أنها غير كافية.

مناورات إسرائيلية

محمود رياض: ما كنت أحاول أن أذكره لك في كل مرة أنه بالنسبة لنا الموضوع ليس موضوع ألقاظ لأن الألقاظ يجب ترجمتها إلى أفعال، ومع هذا فإن كلمة «احترام» أو «يقبل» أو حتى (تنفيذ) كلها كلمات يجب أن تترجم إلى أفعال، وإن هذه الأعمال يجب أن تكون واضحة لنا وللكل، وفي نفس الوقت الكل يجب أن يكون له حق أن يسألنا نحن ماذا نعني بقبولنا للقرار واستعدادنا لتنفيذه؟ نحن أمام موضوع سياسي، ولقد لاحظنا أن الإسرائيليين يرفضون تنفيذ القرار، لذلك لا يقولون بقبول القرار، لهذا فهم يمارسون المناورات واللعب، ونحن لا يمكن وغير مستعدين للعب وللاستمرار في هذا اللعب، ولا يمكن أن ننصح أنت ولا غيرك بالاستمرار في ذلك، ولذلك حاولت منذ البداية أن يكون موقفنا واضحا جدا، كما سألتك عدة مرات أن تعطيني أفكارك عن مهمتك.

كنت أحاول باستمرار تجنب الغموض حتى قبل إصدار القرار، قلت لكارادون: إن هذا الغموض سيعطيك الفرصة لإنهاء الموضوع من المجلس بسرعة، ولكن موقفنا موقف سياسي وهو لا يمكن أن نقبل بغير انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة، كذلك لا يمكن أن نوقع اتفاقية صلح معهم، قلت له كذلك إن هذا القرار سيدعو مبعوث الأمم المتحدة أن يعود إلى المجلس طالبا الشرح له والتفسير، وقلت له إذا كان الغموض قد ساعدك وقتئذ، ليكن، ولكن موقفنا هو كذلك، وعلى هذا فإذا نظرنا إلى الموقف الآن، وإذا نظرنا إليه بشكل عملي.. لدينا قرار من المجلس، قلنا إننا مستعدون لتنفيذ الحل الموجود في هذا القرار، ولأشرح لك كيف نحن مستعدون لعمل هذا، ولقد أجبنا عن الأسئلة التي وجهت إلينا، وقلنا إننا مستعدون لتنفيذه كله، لم نضع أي شروط، وهذا كان موقفنا.

حل للتنفيذ لا جدول أعمال

الطرف الآخر ينظر إلى القرار على أنه جدول أعمال للمناقشة وليس كحل للتنفيذ، والفرق كبير جدا.. طريقان مختلفان تماما. ومع هذا فبغير أن نجد أنفسنا على طريق واحد يجب أن نعرف أولا.. هل هذا القرار حل للتنفيذ. أو أنه جدول أعمال؟.

قد يقولون: إن الحدود الآمنة غير ممكن تحقيقها وكذلك فيما يتعلق بالملاحه، لا أظن أنه يمكن لى أن أقول وقتها: إننى سأفكر فيه عندما أريد، وعلى هذا، من ماضينا فلن يكون هناك الحدود الآمنة وكذلك الملاحه.. وعلى هذا فلا داعى إذن لى أن أعلن إنهاء حالة الحرب، هذا موقفنا وموقف العرب الآخرين، وفى النهاية يكون الموضوع وكل ما تطلبه إسرائيل هو عقد معاهدة صلح تعتمد على رغباتهم وأفكارهم، ونحن غير مستعدين للوصول إلى هذا، معاهدة صلح.. نقول: لا.. لا.. والمفاوضات معناها معاهدة صلح، وعندما يطلب منا أى شخص المفاوضات يكون هذا معناه توقيع معاهدة صلح، وهذه تختلف تماما عن «رودس» التى اقتضرت على اتفاقية هدنة، هذا ما يطلبه رئيس الوزراء.

لا فرق بين المفاوضات المباشرة وغير المباشرة

وعندما نقول لا معاهدة صلح، معنى هذا.. لا مفاوضات.. كذلك لا يجب أن نضحك على أنفسنا حول المفاوضات المباشرة وغير المباشرة، هذه المفاوضات مع الإسرائيليين لا معنى لها، ليس هناك أى فرق بين المفاوضات المباشرة وغير المباشرة إذ إن المهم فيها أنها تنتهى بتوقيع معاهدة صلح.

قد يقال: إن هذا غير مباشر مثلا، لكن رجل الشارع لا يفرق بين المباشر وغير المباشر، إننا سياسيون نعرف تماما أنه لا فرق، ولذا يعنى هذا أننا نضحك على الناس، على أطفال، روضة أطفال، الإسرائيليون يقولون (المفاوضات) المباشرة ثم يقال إنهم عملوا تنازلا بغير المباشرة، فى «رودس» كنا مع بعض لأننا وقعنا سويا على وثيقة. «بانس» كان يحاول شيئا عمليا ويسعدنا بالكلام معنا لتذليل العقبات، وهذا ما يعمل الجميع فى مختلف البجالات.

أريد أن نكون واضحين تماما. لا داعى للكلام عن مباشرة، ثم أصبحت غير مباشرة، إذ المهم هو لماذا نتفاوض؟ لعقد معاهدة صلح- وهذا ما يطلبه الإسرائيليون؟ ماذا يريدون؟ القرار؟ أنا مستعد لتنفيذه، لكنهم مصممون على عقد معاهدة صلح، فالتفاوض إذن يحتم على أن أوافق على ما يقولون، لا يمكن أن أرفض، عندما ذهبنا إلى «رودس» كانت تعليماتنا التوقيع، حقيقة مكثنا أربعين يوما. ولكن هذا من أجل تفاصيل الهدنة. ووقعناها.

إذا ذهبنا إلى قبرص مثلا فلا بد أن تكون هناك تعليمات- ماذا.. يعمل ماذا.. لا بد لى أن أذكر لمثلى.. إما أن يوقع معاهدة بعد المناقشات ومعنى هذا أن أوافق على شروطهم لأنهم على أرضى وعلى الشاطئ الآخر. وهذا لن يكون معاهدة صلح، ستكون معاهدة استسلام.

ونحن لا نرى أننا مضطرون لهذا الآن، الوضع في سنة ١٩٤٨ كان ربما يحتم عقد اتفاقية هدنة.. الآن.. حتى إذا وقعنا فإن الأهالي والمواطنين عندنا سيخرقونها ولن يقبلوا نتائجها، ما هو الموقف الصحيح إذن، يطلبون منا أن نتفاوض معهم من أجل معاهدة صلح؟ هذا مستحيل، لذا.. بكل صراحة.. لن تكون هناك معاهدة صلح، وبالتالي لن تكون هناك مفاوضات.

الذي أماننا الآن هو قرار ننظر إليه على أنه حل.. ونحن لا زلنا نصمم على الحل السلمى.. وأنه بالنسبة لنا هو تنفيذ قرار المجلس.. كيف؟ هذا موضوع آخر ونحن غير مستعدين لبحثه. لكن لسنا مستعدين إطلاقاً لعقد اتفاقية صلح، وكما قلت لك، وكما قلت للفرنسيين، إن هناك طرقاً عديدة لتنفيذ القرار في نيويورك. وفي قاعة المجلس، يمكنك أن تسأل الأعضاء الذين وافقوا على القرار، وأنا مصمم إنه حل حتى يقول لي أى شخص إنه ليس حلاً.. وعندئذ أكون حراً من أى التزام تحت هذا القرار. إذا كان القرار هو فقط جدول أعمال فأنا حر تماماً من جميع التزاماتي، إذا فكر الإسرائيليون أنهم أحرار من الالتزام، أكون أنا كذلك حراً من الالتزامات، إذا كان على التزامات لا بد أن يكون على الآخر كذلك التزامات، لا بد أن نعرف بالضبط ماذا نعمل.

كما قلت. يمكنك الذهاب إلى المجلس ونسأل الأعضاء.. هل كان هذا حلاً أو أنه جدول أعمال؟ هل حتى وإن كان حل طالبوا به الجميع أن ينفذوه ويحترموا أم لا، يجب سؤال الأعضاء والمجلس. إذا كان هذا للتنفيذ نطالبهم بالمساعدة ووضع برنامج للتنفيذ ونبحث طريقة التنفيذ و schedule التنفيذ، يمكننا أن نناقش هذا في المجلس.

يمكننا عمل هذا عن طريق مجلس الأمن. وبهذه الطريقة يكون لدينا ضمان الدول الأربع الكبرى من أجل تنفيذ قرارهم - قرار المجلس - التوقيع لا معنى له، إسرائيل لم تحترم توقيعها في «رودس»، مثال سئ.

مع هذا فإنهم قتلوا الاتفاقية ودفنوها، وهذا توقيعهم لا يحترمونه؛ لهذا لا يمكننا أن نكون مستعدين للتوقيع ثالث مرة بعد رودس ولوزان.

نحن مستعدون لتنفيذ القرار في مجلس الأمن، ويكون هذا طريقاً ويكون هناك الأعضاء الكبار وسيعطون الضمانات، وعن طريق السكرتير العام ومعاونتك يمكننا في المجلس الوصول إلى هذه النتيجة.

جونار يارنغ: هناك نقطة واحدة.. عندما قلت في السابق.. كلمات «احترام» و«قبول» كلمات غير كافية. الآن تقول أن كلمة implement ليست كافية.. وهذه زيادة عما قلته في الماضي.

محمود رياض: لقد قلت لك فى الاجتماع الماضى.. عندما تأتى كلمة accept سأطلب منك مرة أخرى أن تسألهم عن التنفيذ، وحتى عندما يقولون هذا، قلت لك إننى سأطلب مرة ثانية: ما معنى التنفيذ؟ لقد ذكرت لك ذلك.

لذا فإن ما قلته لك اليوم هو تريد لما قلته فى الماضى: هل كل ما تنظر إليه هو النظر إلى ورقة. كلا، نحن نريد الوصول إلى عمل. ولذا قلت إن الكلمات يجب أن تترجم إلى أعمال، ليس هناك جديد من ناحيتى. لقد طلبت منك أن تسألنى أنت أيضا كما تسأل الإسرائيليين.. لذلك سنتظر أفعالا، اننى لا أضيف شيئا جديدا.

جونار يارنغ: حسنا.. لدى الكلام بالضبط.. إذا أبدوا استعدادهم للقبول فسنتحرك وسنصل إلى السلام. وعلى هذا الأساس أنا حاولت المضى فى هذا الطريق. لقد دارت بيننا مناقشات طويلة، وأصبح لدى الشعور بأن الاحترام، والقبول، يقابل (التنفيذ). أما الآن فإن هذه نظرة إضافية.

محمود رياض: كل هذا إيضاح..

جونار يارنغ على أية حال كان الإسرائيليون سيسألون هم كذلك. وأنا اعتقد على أية حال أنهم يرون بمعاهدة صلح فى حين أن القرار لم ينص إلا على settlement ولو أنى أعتقد أن معاهدة صلح هى شكل من أشكال settlement وما ذكرته فى هذه الورقة كلمة accept لأننى إذا عدت مرة أخرى إلى موضوع التنفيذ تجنبت كلمة مفاوضات. وليس هناك معاهدة صلح، لا أدري ما إذا كان الإسرائيليون يقبلون هذا أم لا. ولكن ما ذكرته عن الذهاب إلى مجلس الأمن فهذا طبعا طريق جديد ويمكننى أن أتقدم باقتراح كهذا.. ولكن.. ماذا لو رفض الإسرائيليون.

محمود رياض: so what

جونار يارنغ: ولكن ما معنى so what؟ الطريق المسدود يستمر. هذا موقف واضح تماما.

حرب حقيقية

محمود رياض: هذه لم تكن لعبة رياضية، هذه كانت حربا، قتلا.. تدميرا.. إنها حرب فعلية حقيقية. هناك واجب وطنى يحتم علينا إخراج الأعداء، ونحن غير مستعدين لتوقيع معاهدة صلح مع الأعداء؛ إذا رفضوا يكونون راغبين فى وضع شروط ويتحملون هم المسؤولية. نذهب إلى المجلس ونواجه رأى العام العالمى بهذا الموقف. ولكن إخفاء رؤوسنا فى الرمال لن يخدم الموقف. تماما ولا يخفون نواياهم إطلاقا. الإسرائيليون يوضحون موقفهم تماما ولا

يخفون نواياهم إطلاقاً.. وهى توقيع اتفاقية صلح. كيف لنا أن ننكر تصريحات قاداته ؟ إنهم يقولون: «إن مباحثات يارنغ يجب أن تؤدي بنا إلى اتفاقية صلح». هذا واضح. نحن كذلك نقول: لا صلح. نحن ملتزمون بقرارات قمة الخرطوم، لقد قلت هذا عدة مرات، لن تكون هناك معاهدة صلح بيننا وبين إسرائيل، إذا حدث هذا فهو يعنى الاستسلام، نحن هنا نتكلم بصراحة، ما هو الحل فى هذا الطريق المسدود؟ إذا صمموا على موقفهم، ونحن على موقفنا، إذن لا داعى للاستمرار فى أية مناقشة، نحن على طرق مختلفة متوازية.. أو فى اتجاهات متعارضة.. وعلى هذا لا يمكن التقابل.

جونار يارنغ: التوازي لا يمكن أن يؤدي إلى تقابل.

محمود رياض: على الأقل.. التوازي يجعلنا نرى بعضنا، التوازي قد يؤدي بالتقابل.. اينشتاين.. من ملايين السنين..

جونار يارنغ: فى الفضاء الخارجى، قد؟

محمود رياض: الأمريكان يريدون تجنب مجلس الأمن لأسباب خاصة بهم، يمكننا تأجيل هذا شهرا، أنا لا أصمم على المجلس إذا كانت هناك إمكانية، ولكن.. أظن لا بد من الذهاب إلى المجلس فى يوم من الأيام، الجمعية العامة ستجتمع فى ابريل.. بدايته.. الموضوع على جدول الأعمال، لا يمكن تجنب الكلام عنه فى البيانات على الأقل، الدول الكبرى عليها مسؤولية خاصة، وإذا لم يريدوا تنفيذ هذه المسؤولية..

جونار يارنغ: لا بد أن يتخذوا القرار بأنفسهم، أنا لا يمكن أن أذهب إليهم وأطلب منهم عقد المجلس، لم أستخدم وقتى فى نيويورك للدعوة إلى هذا، هذا ليس من واجبى ولا بد لهم أن يتخذوا القرار، وكل ما على أن أعمله هو أن أشرح الموقف.. وأقول: إن هناك طريقا مسدودا، وكما قلت، ليس لدى أى اهتمام شخصى للاستمرار. وكذلك أعتقد أنه لا يمكن الاستمرار على هذا المنوال.. ليضيع الوقت من الطرفين..

محمود رياض: كنا نأمل أن يستجيب الإسرائيليون للقرار ويعلنوا عن موقفهم. أنا أتكلم من الناحية السياسية..

حدود ٦٧ أمانة

جونار يارنغ: هل لى أن أسألكم عن «الحدود الأمانة»؟ وكيف يمكن حل المشكلة فى ضوء هذا العنصر، وهذا فى حد ذاته تنفيذ للقرار فى أحد عوامله، كيف يمكن تنفيذ هذا من الناحية العملية؟ كيف يمكن عمله من ناحية المجلس؟

محمود رياض: إذا انسحب الإسرائيليون خلف حدود الخامس من يونيو (١٩٦٧) فمعنى هذا أنهم سيكونون خلف حدودنا الدولية الآمنة، وهم يعلنون هذا، كذلك الأمر بالنسبة لسوريا..

جونار يارنغ: لا يمكن لأحد أن يقول: إن الحدود السورية تكون آمنة.. كانوا يرددون هذا دائما..

محمود رياض: معنى هذا أنهم يريدون تغيير الحدود الدولية..

جونار يارنغ: كلا، نزع السلاح في بعض الأماكن..

محمود رياض: لا يجب أن نخلط بين الحدود الدولية وبين المناطق منزوعة السلاح. فبناءً على اتفاقية الهدنة هناك - وكذلك سوريا - لا علاقة بين الاثنين، ومع هذا، فإذا كنت تتكلم عن الحدود الآمنة بمعنى الحدود الدولية فهي هناك، إلا إذا أرادت إسرائيل تغيير الحدود الدولية، وهذا موضوع آخر.

جونار يارنغ: الحدود «المعترف بها» معناها الحدود الدولية، ولكن «الحدود الآمنة» لها معنى آخر، هنا يتم بحث موضوع أماكن نزع السلاح، وبتحديدها يمكن القول بأن هناك حدوداً آمنة، أليست هناك إمكانية الوصول إلى الهدف؟

محمود رياض: هل نحن نناقش الموضوع مناقشة منطقية.. أو أننا نناقش من وجهة نظر القوى إلى الضعيف.

جونار يارنغ: يمكن القول.. من الناحيتين يمكن أن تقولوا أنتم كذلك (٠).

محمود رياض: لقد سألت هذا السؤال لأنه من أجل موقف الإسرائيليين في شأن المرتفعات السورية.. ومتى يقولون: إنهم مطمئنون، يمكنهم القول بأننا نريد تأمين المنطقة.. بنزع السلاح أو بقوة أمم متحدة، ولكن في نفس الوقت إذا قيل هذا فنكون قد وافقنا على موقف إسرائيل، وفي هذه الحالة يمكن للإسرائيليين الدخول في هذه المناطق منزوعة السلاح ومهاجمة سوريا. (هذا ما حدث معنا في الهجوم من منطقة المعوجة سنة ١٩٥٦). المناطق منزوعة السلاح يمكن أن تهددها إسرائيل وعن طريقها تستطيع معاودة الهجوم، فمعنى هذا أن يتم نزع سلاح مناطق من الطرفين فيكون هذا.. عندما سألت من ناحيتنا فإن الحدود الدولية موجودة، وعن المناطق منزوعة السلاح فيمكن قبول هذا من الناحيتين. المهم هو..

وهكذا يمكن إتمامه في المجلس بسرعة جدا، أما تغيير الحدود فهذا يستدعى وقتا طويلا لأنه لا يمكن تنفيذه إلا عن طريق القوة أو الاتفاق، وعلى هذا فالحل سهل جدا عن طريق المجلس ويمكن أن يستمر مدة طويلة.

جونار يارنغ: نعم- بسيط جدا!- وأرجو أن يتم هذا في لحظات.. ولكن لدى شكوكي حتى خلال عدة أشهر.

محمود رياض: نحن نعرف هذا، نحن نعرف أنه سيتطلب أكثر من هذا.

جونار يارنغ: لا يمكنني التكهن بما يمكن عمله..

محمود رياض: يمكن عمله، ليس في لحظات طبعاً. ولكن في مدة قصيرة إذا أراد الأمريكان أن يضغطوا على إسرائيل وهو ما عملوه في سنة ١٩٥٦. إنهم لم يضغطوا وقتها على إسرائيل فقط، ولكن أيضاً على بريطانيا وفرنسا، كذلك في سنة ١٩٥٣ قام الأمريكان بتأخير إرسال شيك واحد فامتثلت إسرائيل.

جونار يارنغ: أنا اذكر تماماً (ما حدث سنة ١٩٥٦).. على رغم أنها كانت سنة للانتخابات الرئاسية في أميركا.. لا أظن أن هذا الحل ممكن الآن. سأقول طبعاً ما تقدم للإسرائيليين ثم نرى.. قد لا أحصل على أى رد إطلاقاً بشأن حل المشكلة.. إلا إذا حدثت معجزة.

محمود رياض: سأبعث برسالة إلى (محمد عوض التونى) لكى يبلغ يوثانت بالصورة كاملة.. ولكن لا نستمر فى دائرة مفرغة. الموقف يجب أن يكون واضحاً.

جونار يارنغ: ولكنك ذكرت لى من قبل أنني إذا تمكنت من الحصول على موافقة صريحة منهم، فيمكننا أن نستمر وانك مستعداً لمناقشة الخطوة التالية، ولقد سألونى عن هذه الخطوة التالية. وقلت لهم: إنكم تقبلون القرار كمجموع، وإننى لا أشك فى كلام مصر.

محمود رياض: هذا صحيح.

جونار يارنغ: لكن هناك تقييم إضافي جديد هو منى، وكيف وهذا يصل بنا إلى الخطوة التالية، وهو ما يسألنى الإسرائيليون عنه، لقد قلت لهم.. إعلان بإنهاء حالة الحرب. وإن له فائدة كبرى. (إنهم) يقولون إن هناك أموراً أخرى.. الانسحاب والملاحاة.. ويقولون: إن الإعلان لا يكفي، وإن إسرائيل تكون.. قلت لهم إن مصر تريد تنفيذ القرار فى مجموعه. محمود رياض: هذا ما قلته..

لا مرور بالقناة قبل حل مشكلة الفلسطينيين

جونار يارنغ : ولكن الإسرائيليين يسألون : هل ستمر سفن إسرائيل (من قناة السويس)؟

محمود رياض : لقد قلت لك صراحة.. حل موضوع اللاجئين (الفلسطينيين) سيسمح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى القناة. ما معنى ضمان حرية الملاحة فى القرار؟ إنها الآن مضمونة للجميع لذلك فإن إسرائيل هى المعنية..

جونار يارنغ : ولكن حل مشكلة اللاجئين (الفلسطينيين) يعنى عشر سنوات.. ومعنى هذا أن السفن الإسرائيلية لن تمر فى القناة قبل عشر سنوات.

محمود رياض : ولكن.. هل من الإنصاف أن يترك هؤلاء اللاجئين to suggest لمدة عشر سنوات بينما نسمح للسفن الإسرائيلية بالمرور فى القناة من باكراً؟ هذا الموضوع إنسانى. لذلك يجب فى الواقع معالجته مبكراً بالقدر الواجب : إذا فكرنا من الناحية الإنسانية. لماذا نتركهم يعانون عشر سنوات؟

جونار يارنغ : إننى أفكر من الناحية العملية..

محمود رياض : إذا فكرنا هكذا. فلننس القرار ولنتكلم بطريقة أخرى. المسائل العملية بالنسبة لإسرائيل هى التوسع ، (ليفى اشكول)، يتحدث عن ضرورة تهجير خمسة ملايين يهودى إلى إسرائيل.. وهو يعنيها. فلا بد لهم من التوسع..

جونار يارنغ : هل يريد خمسة الملايين نيويوركى.. هل هم مستعدون للذهاب؟ محمود رياض : فى سنة ١٩٤٨ كان هناك عدة آلاف..



**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل التاسع

وقف حرب الاستنزاف

- استعداد مصر لتحمل الثمن كان تعبيرا عن الإصرار على رفض الأمر الواقع الاسرائيلي
- تقرير المخابرات الإسرائيلية يقول:
- عبد الناصر يغلق الحجرة على نفسه كل يوم لدراسة كل التسجيلات العسكرية الإسرائيلية
- مصر ترفض مشروعا أميركيا بانسحاب إسرائيل الكامل من سيناء وغزة لأنه حل منفرد.



أدركت مصر أن مهمة جوناثان يارنج مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ تدور في حلقة مفرغة. لذلك كانت الأولوية المطلقة من وجهة النظر المصرية في تلك الفترة هي تعديل الخلل العسكري القائم منذ حرب يونيو. وكان جمال عبد الناصر في القاهرة يعمل ١٨ ساعة يوميا لتابعة التجهيزات العسكرية الجديدة. وسجلت تقارير المخابرات العسكرية الإسرائيلية أنه في خلال ستة شهور من حرب يونيو وجدت إسرائيل أمامها على الضفة الغربية لقناة السويس جيشا مصرية جديدا يعادل تقريبا حجم الجيش الذي واجهته إسرائيل في ٥ يونيو. وأصبح على إسرائيل أن تواجه هذا الجيش الجديد أمامها عبر قناة السويس. إن هذه الولادة السريعة كانت مجرد الفصل الافتتاحي في عملية انشئت مصر في نهايتها جيشا يبلغ حجمه ثلاثمائة ألف جندي، وبمجرد أن تلقت مصر المعدات الملائمة بدأ المصريون في إغارتهم المحدودة- ضد الاحتلال الاسرائيلي في سيناء- في ١٩٦٨. ولتتج تطوروا الى إعلان حرب الاستنزاف.

وكانت إسرائيل قد أصبحت مستفيدة من المزايا العسكرية الذي حققها الأمر الواقع الجديد في الجبهة المصرية بعد حرب يونيو. ففي الطيران مثلا كانت «المسافة بين المطارات المصرية ومراكز السكان الإسرائيلية تبيح لإسرائيل فترة إنذار اليكتروني تعادل أربع دقائق. والآن بعد أن أصبحت القوات الإسرائيلية على حافة قناة السويس ارتفعت تلك الفترة الإنذارية إلى ١٦ دقيقة».

مع ذلك فإن تلك الحقيقة العسكرية الجديدة أصبح لها وجه آخر. فبعد أن أصبح معظم الجيش المصري مرابطا في الضفة الغربية لقناة السويس في اشتباك بالمدفعية وإغارات القوات الخاصة عبر القناة. فإن هذا الالتحام المباشر يمكن المصريين في اللحظة المناسبة من التحرك إلى الهجوم الشامل في «أقصر وقت ممكن».

ومع شهر نوفمبر سنة ١٩٦٨. بعد سنة ونصف من حرب يونيو ١٩٦٧. أصبح المصريون الذين أعادوا إنشاء جيشهم وأعادوا تسليحه من الاتحاد السوفيتي. يحسون بأنهم وصلوا إلى درجة من القوة تسمح لهم بشن حرب استنزاف كبرى. في هذا الشهر شنوا هجوما ضخما بالمدفعية على القوات الإسرائيلية التي فاجأها الهجوم.. وسقط ١٨ إسرائيليا قتلى. وكان رد الفعل الاسرائيلي هو شن هجوم بقوات الكوماندوز في العمق «المصري» في نجع

حمادى بوادى النيل . مدمرين بعض المنشآت الكهربائية . وبما أبرز للمصريين ضعفهم الأساسى أمام هجوم تقوم به قوات إسرائيلية متحركة . إن صدمة هذا الهجوم أقيمت للرئيس جمال عبد الناصر بأنه ليس . بعد . كامل الاستعداد . ومن ثم قام بتأجيل حرب الاستنزاف حتى شهر مارس ١٩٦٩ ، وخلال فترة التقاط الأنفاس التى أدى إليها قراره . ركز الإسرائيليون كل جهودهم فى إقامة خط دفاعى ، يكون هو الإجابة التى تتطلبها مثل هذه الحرب ... وهو ما سعى فيما بعد بـ خط بارليف .

الواقع أنه من وجهة النظر المصرية فقد كانت المهمة العاجلة فى إعادة بناء القوات المسلحة هى أولا إعادة بناء خط دفاعى قوى فى الضفة الغربية لقناة السويس . ولم يكن هذا يتم فى ظروف عادية ، فإذا كانت مصر تعد جيشها لتحرير سيناء بقوة السلاح . فإن إسرائيل تريد أيضا إصابة مصر أولا بأول باليأس الكامل من إمكانية الحل العسكرى . وهكذا سارت المرحلة الأولى من حرب الاستنزاف المصرية بجولات . وجولات مضادة . تعبر عن الهدف السياسى المتناقض لكل من الطرفين .

لقاء عبد الناصر وبودجورنى

وكانت نقطة الضعف البارزة الأولى التى تعانى منها مصر من البداية هى أن سماء مصر أصبحت مفتوحة تماما أمام الطائرات الإسرائيلية بعد أن خرجت من حرب يونيو بمطاراتها العسكرية مدمرة وشبكة إنذارها الجوى محطمة بالكامل . وفى مباحثات عبد الناصر مع الوفد السوفياتى برئاسة بودجورنى . قال لهم بصراحة فى جلسة ٢٢ يونيو ١٩٦٧ : «إن مهمة إخراج إسرائيل من سيناء هى مسئوليتنا بالكامل وليست مسئوليتكم . أما الدفاع الجوى عن أراضى الجمهورية فهذا ما نطلب مشاركتكم فيه .» ولكن السوفيات ظلوا مترددين تماما بشأن المخاطر الدولية لمثل تلك المشاركة . بحيث إنهم لم يتخذوا بشأنها قرارا جاسما إلا بعدها بسنتين ونصف السنة .

وأصبحت إسرائيل تلمس من تطور العمليات العسكرية المصرية أداء عسكريا موريا جديدا ومختلفا بالرة . لم تكن تتوقعه بمثل تلك الكفاءة المتزايدة فى مثل هذا الوقت القصير .

وكان من بين التفسيرات التى وضعتها المخابرات الإسرائيلية : «إن تصميم جمال عبد الناصر على أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة قد قوى من قيام السوفيات بإعادة بناء قواته وتقديم الدعم الضرورى لتحقيق ذلك . وهكذا فى أعقاب حرب ١٩٦٧ مباشرة بدأ

جمال عبد الناصر فى دراسة أسباب النجاء الاسرائيلى ، وخلال فورة النصر فى إسرائيل أذاع كل القادة الإسرائيلىين وصفا لانتصاراتهم فى المعركة ، وجاء ناصر بتسجيلات لكل ما أذيع ، وأغلق على نفسه حجرة ، وظل يستمع إليها لأيام طويلة حتى يقوم بتقييم العوامل الرئيسية التى جعلت من الجيش الاسرائيلى تلك القوة الضاربة الفعالة. وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة هذا التفسير ، فإن دراسة أسباب هزيمة ١٩٦٧ والاستعداد للمواجهة العسكرية الحتمية القادمة ، كانت مهمة جميع القيادات فى تلك الفترة ، من جمال عبد الناصر إلى أصغر جندى فى القوات المسلحة ، ولم تكن حرب الاستنزاف التى شنتها مصر ضد الاحتلال الإسرائيلى بلا ثمن . ولكن استعداد مصر لتحمل الثمن كان بدوره تعبيرا عن الإصرار الصلب على رفض الأمر الواقع الاسرائيلى ، وفرض أمر واقع مضاد بقوة السلاح..

الانهيار الذى لم يحدث

وكان كل هذا يجرى فى ظل ظروف سياسية واقتصادية صعبة.. أعطت أساسا لكى تقامر السياسة الاميركية فى تلك الفترة على انهيار مصر من الداخل ، إن لم يكن لأسباب عسكرية وسياسية ، فعلى الأقل لأسباب اقتصادية. ويتذكر الدكتور محمد حسن الزيات ، وكان يشغل فى تلك الفترة منصب المتحدث الرسمى المصرى المكلف بشرح موقف مصر للصحافة الأجنبية أولا بأول ، أن مراسل جريدة «النيويورك تايمز» فى القاهرة صارحه ذات مرة وهو يقول له بين الجد والهزل : «أرجوك يا دكتور.. لقد أرسلنى رؤسائى إلى القاهرة لكى أتابع مظاهر التملل بين الرأى العام المصرى من أعباء الحرب.. فإذا أصبحت أنا أول من ينشر خبر انهيار مصر من الداخل وقبولها لطلبات «الرئيس» جونسون فإن هذا سيضمن لى أكبر ترقية صحفية فى حياتى».

رسالة إلى الملك فيصل

فى تلك الفترة كانت السعودية تحاول استخلاص موقف محدد من الولايات المتحدة الاميركية للالتزام بالانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى العربية ، وخصوصا بالنسبة للضفة الغربية المحتلة ، وهكذا تلقى الملك فيصل فى ١٢ ابريل ١٩٦٨ مذكرة من السفير الاميركى بالسعودية تقرر أن الولايات المتحدة تتعهد : «بالتأييد الدبلوماسى والسياسى

الكامل لقرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧... وهي تؤمن بأن يقدم الأساس الذي يحقق السلام بشرط أن تخلص جميع الأطراف في تطبيق القرار بنصته وروحه» ومعنى القرار واضح: ففي مقابل الانسحاب الاسرائيلي يجب أن يكون هناك اتفاق بشأن حالة السلام Agreement on a state of peace تقوم على المبادئ التي أحتواها قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر.. وأن نفوذ الولايات المتحدة يمكن أن يستخدم بطريقة أفضل إذا حدث تقدم نحو التسوية، ويفضل أن يكون ذلك تحت إشراف السفير يارنغ».

أما بالنسبة للانسحاب الإسرائيلي، وهو ما تود السعودية أن تعرفه، فإنه: «ما زال موقفنا من الانسحاب هو ما سبق أن عبرنا عنه للملك حسين في نيويورك في ٣ نوفمبر ١٩٦٧، وهو في حين أننا لا نستطيع ضمان أن كل شيء يعود للأردن أو أن بعض التصحيحات الإقليمية لن تكون مطلوبة لإقامة الحدود الدائمة، إلا أننا مستعدون لاستخدام نفوذنا للوصول إلى أفضل الترتيبات الممكنة للأردن».. و: «في حين أنه يجب أن يكون هناك انسحاب للقوات (الإسرائيلية) فإنه يجب أن تنسحب إلى حدود آمنة ومعترف بها، وليس بالضرورة إلى خطوط الهدنة القديمة وغير المناسبة; Rather than necessarily to the old and inadequate armistice lines.. و: «يجب أن يكون هناك مع ذلك تصحيحات تعويضية نتيجة التغيير في هذه الخطوط، ونحن نؤمن بأن هذه التصحيحات يجب أن تكون في الحد الأدنى المناسب للأمن المتبادل والمبررات الاقتصادية».. «We believe these adjustments must be the minimum compatible with mutual security and economic needs» ثم: «إن مستقبل القدس يجب ألا يحدده إجراء إسرائيلي انفرادي، ولكن يجب أن يحل بطريقة مرضية لمصالح الأديان الثلاثة والمجتمع الدولي، ونحن مستعدون لاستخدام نفوذنا بهدف إعداد تسوية واستطلاع لترتيبات يمكن القيام بها لحماية المصالح الدولية، ومن أجل دور سياسي واقتصادي وديني مناسب تقوم به الأردن في المدينة المقدسة».

انسحاب كامل من سيناء

وقد مضى شهر نوفمبر من قبل، والآن يمضي شهر أبريل من عام ١٩٦٨. والولايات المتحدة لا تتحرك حتى لتنفيذ تلك التعهدات المراوغة بشأن الضفة الغربية والقدس، لكن الشيء الوحيد المحدد الذي كانت إدارة الرئيس جونسون مستعدة لتقديمه، كان يتعلق

بسيناء والأرض المصرية.. فقط. وهكذا اجتمع دين راسك وزير الخارجية الأميركي بمحمود رياض وزير الخارجية المصري في نيويورك في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٦٨ ليقدم إليه مشروعاً أميركياً من سبع نقاط هي:

- ١ - انسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية بالكامل.
 - ٢ - إنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل.
 - ٣ - يتبع ذلك فتح قناة السويس للملاحة الإسرائيلية.
 - ٤ - حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس سؤال كل لاجئ بطريقة سرية وبصفة شخصية عن مدى رغبته في العودة إلى إسرائيل، وفي حالة رفضه فله أن يختار أى بلد يريد أن يذهب إليه دون أن يشكل هذا ارتباطاً مسبقاً على تلك الدول.
 - ٥ - تواجد قوات دولية في شرم الشيخ، على ألا تنسحب إلا بقرار من مجلس الأمن أو الجمعية العامة.
 - ٦ - تفهم حول مستوى التسلح في المنطقة.
 - ٧ - توقيع مصر على وثيقة تتضمن هذه الالتزامات، وكذلك إسرائيل.
- وبداية كان هناك شك في الظروف التي تقدم من خلالها إدارة جونسون هذا العرض، ففي التاسع من أكتوبر أعلن الرئيس جونسون عن موافقته المبدئية على إمداد إسرائيل بطائرات فانتوم أميركية لأول مرة، وتمثل الفانتوم في ذلك الوقت أحدث الطائرات المقاتلة القاذفة الأميركية ذات الإمكانيات المتطورة والمدى البعيد الذي ينطلق بسيطرة إسرائيل الجوية إلى آفاق جديدة تدعم استمرار احتلالها للأراضي العربية، وكان طبيعياً أن يتصاعد هذا بمستوى الغضب ضد الولايات المتحدة في أنحاء العالم العربي، «وأملاً في احتواء ردود الفعل العربية السلبية لصفقة الفانتوم» جاء اجتماع دن راسك بمحمود رياض وتقديمه هذا العرض المحدد.

اجتماع راسك ورياض

وبمجرد أن تقدم دين راسك بعرضه الرسمي هذا. قال له محمود رياض: «إن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ يقضى بانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة وليس من الأراضي المصرية وحدها.

وأجابه دين راسك قائلاً: إنني الآن أتحدث مع وزير خارجية مصر...

قال محمود رياض: هذا صحيح، ولكن التزاماتنا العربية تحول دون أن ندخل في أى حل منفرد مع إسرائيل، تاركين الأردن وسوريا خلفنا.

رد وزير الخارجية الأميركي بقوله: إننا نرى أن على كل دولة عربية أن تستقل بنفسها في مناقشة موقفها بدون أن تربط موقفها بالدول العربية الأخرى. ففي هذه الحالة نستطيع أن نعالج كل مشكلة على حدة. فيكون هناك حل مصرى إسرائيلى. وأردنى إسرائيلى. وسورى إسرائيلى، وهكذا، فعندما نجمع الحلول الثلاثة معا في النهاية نكون قد وصلنا إلى التسوية الكاملة، لقد بدأت الاتصالات بكم لأن إسرائيل لا ترغب في الاحتفاظ بالأراضي المصرية، بالنسبة للأردن فهو قادر على أن يتكفل بنفسه، وقد كان من الممكن أصلا ألا يواجه الأردن مشكلته الحالية لو أنه امتنع عن التدخل في يونيو ١٩٦٧.

وهنا قاطعه محمود رياض قائلا: إنه سوف يكون عملا غير أخلاقي من جانبنا لو أننا ركزنا الحل على الانسحاب الاسرائيل من سيناء وتركنا وراء ظهورنا باقى الأراضي العربية المحتلة، وأحب أن أذكرك بأن الأردن وسوريا قد دخلتا الحرب بعد أن بادرت إسرائيل فعلا بالعدوان على مصر في ٥ يونيو ١٩٦٧، ولذلك فإنه من غير المقبول أن نسعى لإيجاد حل لأنفسنا مع إسرائيل وترك الآخرين، لقد قلنا للملك حسين إنه يستطيع ألا يقيد نفسه بنا، ولكننا في نفس الوقت لا نستطيع أن نقبل لأنفسنا التحلل من التزاماتنا للدول العربية.

قال دين راسك: ولكنى أتيت لك بانسحاب كامل من الأراضي المصرية..

رد محمود رياض: لا خلاف حول أهمية انسحاب إسرائيل من سيناء. وهذا يفرضه عليها اتفاق الهدنة الذى وقعته معنا في سنة ١٩٤٩ وقرار مجلس الأمن في نوفمبر ١٩٦٧. واعقراضى ينصب فقط على مطالبتنا بإنهاء حالة الحرب من جانبنا بينما القوات الإسرائيلية لا زالت تحتل الأراضي العربية، ونحن على استعداد لإعلان إنهاء حالة الحرب بمجرد انسحاب إسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة، فإلى جانب الاعتبار الأخلاقي هناك التزام قانوني تقتضيه اتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين بقية الدول العربية.

قال دين راسك: إننى نيابة عن الولايات المتحدة أستطيع أن أتقدم باقتراح مماثل إلى الأردن، ولكننا لا نستطيع أن نفعل نفس الشئ مع سوريا طالما أنها ترفض قرار مجلس الأمن، على أية حال، لماذا لا ترسل لى ردك على مقترحاتى في مذكرة بعد عودتك إلى القاهرة. يمكنك أن تضيف على النقاط السبع أى نقاط تقترحها..

ويبدو أن دين راسك كان يأمل في تغيير محمود رياض لموقفه بعد أن يعود إلى القاهرة ويعرض المشروع على الرئيس جمال عبد الناصر، لذلك كرر طلبه بتلقى رد مكتوب منه بعد عودته إلى القاهرة.

اجتماع مغلق برئاسة عبد الناصر

وفى القاهرة كان جمال عبد الناصر يحضر اجتماعا مغلقا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي جرى فى السادس من نوفمبر ١٩٦٨ ، ومحضره «سرى للغاية». إن عبد الناصر شرح للمجتمعين أبعاد الموقف السياسى وتناول العرض الأمريكى الجديد ورد دين راسك عليه طبقا للبرقية الواردة من نيويورك.

وطبقا لمحضر الجلسة، علق جمال عبد الناصر بقوله : « لو ركزنا الحل على انسحاب إسرائيل من سيناء، وتركنا وراء ظهورنا باقى الأراضى العربية المحتلة.. فإنه يعتبر خيانة منا لأشقائنا العرب. ووزير الخارجية «محمود رياض قال لدين راسك إننا أوضحنا للملك حسين أنه يستطيع أن يحل مشكلته (بشأن الضفة الغربية) إذا شاء دون أن يقيد نفسه بنا، ولكننا فى نفس الوقت لا نستطيع أن نحل أنفسنا من التزاماتنا إزاء الدول العربية».

وأضاف جمال عبد الناصر قائلا : «كنا قد طلبنا من الملك حسين أنه ما يقطعش علاقاته مع الولايات المتحدة الاميركية، وبعد زيارته الأولى لنا هنا قلنا له : إنه يستطيع أن يتخذ أى خطوة من الخطوات مع أميركا فى سبيل حل مشكلته والجلء عن الضفة الغربية، وقلنا له : إن أحنا ها نؤيد هذه الخطوات ولن نقف ضده.

«وسافر الملك حسين إلى الولايات المتحدة وقابل جونسون مرتين وتكلم معه، وبين له أنهم ماشيين مع الغرب ومع السياسة الغربية، ولكن كل هذا لم ينفع فى أى شىء، وأميركا مشيت فى سياستها اللى هى تبنى كامل لسياسة إسرائيل».

وقال جمال عبد الناصر : إن مصر قبلت قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لسبب أساسى وهو حاجتها إلى الوقت اللازم لإعادة بناء القوات المسلحة ولكنه شخصيا لا يؤمن بجدوى ذلك القرار لان اللغة الوحيدة التى تفهمها إسرائيل هى القوة.

وأضاف جمال عبد الناصر قائلا : «فى الحقيقة إن أحنا ملتزمين على أساس أننا لا يمكن أن ننهى حالة الحرب (مع إسرائيل) طالما أن هناك شبر من الأراضى العربية محتل بإسرائيل، وحتى لو تعهدنا أمام مجلس الأمن بإنهاء حالة الحرب سيكون معلقا بالجلء»

الكامل أو الانسحاب الاسرائيلي الكامل من كافة الاراضى العربية المحتلة بما فى ذلك القدس، طبعا هذا الكلام تعرفه إسرائيل لان أحنا قلناه ليارنج».

أما بالنسبة لما ينص عليه القرار ٢٤٢ فمن حق كل دولة فى أن تعيش. فإن تأييد أميركا المستمر لإسرائيل يجعل العرب هم المهددين وليس العكس، أما بالنسبة لنص قرار مجلس الأمن على حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية ومنها قناة السويس، فقد قرر جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع المغلق موقف مصر قائلا: أننا «نربط هذا باللاجئين (الفلسطينيين) وخصوصا أن الاثنين جايين فى فقرة واحدة، فإذا حلت مشكلة اللاجئين تحل مشكلة قناة السويس، لأنه تبقى المشكلة كلها أتحلت ويبقى الفلسطينيون لهم الحق فى أن يعودوا إلى بلدهم».

وعن الموقف العسكرى على جبهة القتال قال جمال عبد الناصر أننا: «استكملنا الدفاع ولكن لم نستكمل مقومات الهجوم» وهذا سيتطلب وقتا وجهدا.



**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل العاشر

العروض الإسرائيلية والرفض المصرى

- نحن نؤمن بأن مصر ليست ماضيا انتهى أمره، ولكنها مستقبل نشترك جميعا فى صنعه. ودورنا العربى هو قدرنا ولا رجعة عنه
- مصر ترفض عرضا إسرائيليا بإعادة سيناء بلا شروط مقابل دعوة أشكول لزيارة القاهرة
- معارضة مصرية تواجهه عبد الناصر..
- لماذا لا نترك العرب والفلسطينيين لشأنهم ونحل مشكلة سيناء؟
- أشكول: نهر مصر المشار إليه فى العهد القديم هو نهر العريش وليس نهر النيل
- لماذا أحال عبد الناصر رئيس الأركان المصرى إلى التقاعد؟



فى نفس الاجتماع المغلق الذى ترأسه عبد الناصر يوم ٦ نوفمبر ١٩٦٨ لأعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الإشتراكي، والذى كانت تعتبر نصوص محضره سرية للغاية، ثارت مناقشة هامة حينما علق العضو أحمد العماوى على معنى التزام مصر الأخلاقى برفض الحل المنفرد والارتباط بالتسوية الشاملة القائمة على انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضى المحتلة وبحقوق الفلسطينيين، قائلا: «الدول العربية تحملنا عبء قضية فلسطين بالكامل، وإنى أرى أنه يجب أن نتحمل نصيبنا فقط من هذه القضية وليست كلها، ويجب على الدول العربية أن تتحمل نصيبها أيضا. لأن ما نشعر به أن الدول العربية كلها تلقى العبء كله على كاهل الشعب المصرى، ونحن بدورنا نتحمل كافة التضحيات».

ورد جمال عبد الناصر بقوله: «فى الحقيقة أنا أعتقد أن هذا الدور هو قدرنا لعدة أسباب، لأن مصر هى أكبر دولة عربية».. وفى حوار مع الفريق محمد فوزى وزير الحربية قال له: إنه على رغم الجهود القائمة لعمل جبهة شرقية. من سوريا والعراق والأردن. إلا أن الخطط العسكرية المصرية لا بد أن تقوم على أساس أن مصر ستحارب وحدها، وأنه قام بإقناع السوفيت مؤخرا بهذا المنطق بصعوبة.

وقال جمال عبد الناصر: «إن الشعوب العربية هى فى طبيعتها أيضا عندها موقف أخلاقى يتساوى مع الموقف الأخلاقى بتاعنا».. والناحية الأخرى هى: «هل نقبل أن أحنا نتفاهم على الجلاء عن سيناء، ونسحب القدس والضفة الغربية، وننهي حالة الحرب؟.. هل حتى هذا الشعب (المصرى) يقبل أن تكون الضفة الغربية محتلة، بينما تنسحب إسرائيل من سيناء وتنتهى مصر حالة الحرب معها قائلة إنها تعتقد أنها تنفذ قرار مجلس الأمن؟».

إن شهر نوفمبر ١٩٦٨ شهد على هذا النحو خلاصة السياسة الأمريكية فى ظل رئاسة ليندون جونسون، ورد مصر عليه، فالسياسة الأمريكية قامت أولا على جنى ثمار حرب يونيو سياسيا من خلال «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط» وحينما لم تأت بوادر النجاح بالسرعة المطلوبة أصبح الهدف هو إحراج مصر سياسيا بتقديم عرض إليها لا تستطيع أن ترفضه.. على حد تعبير والت روستو فى مذكرته السرية للرئيس جونسون فى اليوم الثالث لحرب يونيو. والآن. قبل أن تنتهى رئاسة جونسون بشهرين ونصف فإنه يعرض على

مصر استرداد سيناء بالكامل، وحق العودة للفلسطينيين. مقابل إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والانفصال عن الأردن وسوريا.

وطوال هذا كله كان الضغط العسكري على مصر مستمرا من خلال الاحتلال الإسرائيلي من ناحية، وعرقلة بناء القوات المسلحة المصرية بأى ثمن، وإمداد إسرائيل بالمزيد من الأسلحة التى تضمن لها السيادة العسكرية فى المنطقة كلها من ناحية أخرى.

وبعد أن عرفت إدارة جونسون بإصرار جمال عبد الناصر على التسوية الشاملة، ورفضه «الجزرة» التى تعرضها عليه، فإن تكرار استخدام «العصا» معه ربما يجعله يلين، أو يجعل الشعب المصرى يرتعد، ومن هنا تم فى أواخر ديسمبر ١٩٦٨، التوقيع على صفقة بخمسين طائرة فانتوم أمريكية أف-٤ إلى إسرائيل، على أن تتسلم إسرائيل ١٦ طائرة منها فى أواخر ١٩٦٩، والباقي فى سنة ١٩٧٠، ولتخفيف الآثار المتوقعة فى العالم العربى ضد الولايات المتحدة، اقترنت الصفقة ببضع دبابات تنوى إدارة جونسون بيعها إلى الأردن. بينما قرر ليفى اشكول رئيس وزراء إسرائيل أن الرئيس جونسون أعطاه تقريبا حق الفيتو «الاعتراض» لو أراد.. فلا تحصل الأردن حتى على تلك الدبابات الرمزية...

وكانت تلك الصفحة الأخيرة التى أنهى بها ليندون جونسون رئاسته للولايات المتحدة. لقد نجحت السياسة الأمريكية فى حرب يוניو، ونجحت فى ضمان استمرار الأمر الواقع الجديد، لكنها لم تنجح مطلقا فى أى من الأهداف الأخرى التى تستلزم عملية إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.

نيكسون وروجرز.. وكيسنجر

مع العشرين من شهر يناير ١٩٦٩ أصبح هناك رئيس جديد فى البيت الأبيض الأمريكى، حيث أصبح ريتشارد نيكسون رئيسا لأربع سنوات تالية، وكان من بين الوجوه التى جاء بها إلى إدارته.. ولیم روجرز كوزير للخارجية.. وهنرى كيسنجر كمستشار له لشئون الأمن القومى.

وكان هنرى كيسنجر. كيهودى صهيونى أمريكى متعصب تماما لإسرائيل مثل سلفه فى نفس المنصب- والت روستو- يتحرق لهفة ليصبح مساهما فى صياغة وتشكيل السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط، ولكن الرئيس الجديد نيكسون جعل هذا الجزء بالذات مدينا فى انتخابه لأصوات اليهود الأمريكيين. أو لأموالهم، كغيره من الرؤساء

السابقين، بالإضافة إلى أنه كان عميق الخبرة بالشؤون الدولية، ولم يكن يثق كثيرا في قدرات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.. كل تلك العوامل تجعله على طرفي نقيض من سلفة ليندون جونسون.

وأذكر وقتها أنني بعثت من نيويورك بمقال نشرته لي «أخبار اليوم» انتهت فيه إلى أن السياسة الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط لابد أن تكون أفضل في ظل رئاسة نيكسون. لسبب بسيط. وهو أنها في عهد جونسون وصلت إلى أسوأ ما يمكن أن تصل إليه. ومن البداية بادر نيكسون بإيفاد مبعوث شخصي له إلى المنطقة. وهو وليم سكرانتوم. ليجتمع مع الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة. مبشرا بسياسة أمريكية جديدة تقوم على التوازن Even handed policy والخطوة التالية حينما أعلن في فبراير ١٩٦٩، عن «سياسة جديدة للولايات المتحدة للامساك بزمام المبادرة. إننا لن نجلس لننتظر حدوث شيء آخر».

أما الخطوة الثالثة التي اتخذها نيكسون. فهي مبادرته في ٦ فبراير ١٩٦٩ بالموافقة على اقتراح سابق للرئيس الفرنسي شارل ديغول بضرورة عدم انفراد الولايات المتحدة بالتصرف في أزمة الشرق الأوسط (كما كانت تصر سياسات جونسون من قبل) ولابد أن ياتي الحل نتيجة مشاورات تعقدتها الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة- الاتحاد السوفياتي- فرنسا- بريطانيا). ووافق نيكسون على أن تبدأ تلك المشاورات من خلال مندوبي الدول الأربع في مجلس الأمن. مؤكدا في نفس الوقت تأييده الكامل لمهمة جوناو يارنغ ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة.

أشكول يعرض القدوم إلى القاهرة وإعادة سيناء

بعدها بأحد عشر يوما فقط أذاع ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل تصريحات مثيرة، فرد على سؤال يقول: «الرئيس ناصر يتهم بأن هدفكم هو إسرائيل الكبرى. من النيل إلى الفرات. ماذا نستطيع قوله لإقناعه بأن الأمر ليس كذلك؟».

ورد أشكول: من الصعب أن أقول مرارا وتكرارا إننا مستعدون لمناقشة مشاكلنا مع ناصر. إنني مستعد للسفر إلى القاهرة غدا. إنني لا أريد أن أتحدث كمنتصر. إنني أريد أن أزيل من ذهنة تلك الفكرة السخيفة المضحكة عن إسرائيل الكبرى. إنه لا يستطيع أن يقيم سياسته على جملة تفود بها أفراد لا يمثلون شيئا سوى أنفسهم. فحتى الإنجيل لا يستخدم تلك

الجملة. إن «نهر مصر» المشار إليه في «العهد القديم» ليس هو النيل ولكنه نهر العريش. وهو مجرى طينى طوله أميال قليلة داخل سيناء. إننى أستطيع أن أضمن كلمتى لناصر بأن إسرائيل الكبرى لم تكن مطلقاً هى سياستنا. إننى مستعد لمقابلته فى أى مكان وأى وقت. ولن أنازع فى الإجراءات. ولا فى جدول الأعمال. ولا فى شكل المائدة.

ثم سأل اشكول: أى تنازلات تصرون عليها فى مقابل الانسحاب من الأراضى العربية؟ هل تصرون على نزع سلاح شبه جزيرة سيناء ووجود عسكري دائم فى شرم الشيخ؟

رد أشكول: إننا لا نصر على شيء، جربونا وسوف تفاجأون بدرجة الأخذ والعطاء التى نحن مستعدون لها. ففي شرم الشيخ يجب أن نكون فى موقف «يسمح لنا» بحماية المرور إلى خليج ثيران- مينائنا الخلفى. إننا لا نستطيع الاعتماد على وعود من أطراف خارجية. ونحن لا نستطيع كبد أن نعيش بغير معاهدة سلام. أما بالنسبة لمرتفعات الجولان. فإننا ببساطة لن نعيدها. نفس الشئ بالنسبة للقدس. هنا لا يوجد مرونة على الإطلاق.

و(حينما ستجنى جولد ماثير فيما بعد رئيسة للوزراء بعد وفاة اشكول. فإنها تكرر نفس النعمة. قائلة إنها مستعدة للذهاب إلى القاهرة فوراً لو أن الرئيس جمال عبد الناصر دعاها إلى ذلك.. الخ).

سياسة العصا والجزرة

لم يكن فى هذا العرض الاسرائيلى المحدد سوى إعلانه. فإسرائيل تريد بأى ثمن إخراج مصر من الصراع العربى الاسرائيلى لأن أطماعها العاجلة هى فى الاراضى العربية الأخرى. إسرائيل مستعدة للانسحاب الكامل من سيناء. وإعطاء قطاع غزة لإدارة الأمم المتحدة. وهى لا تطلب بالمرّة نزع سلاحها. والمقابل الوحيد الذى تريده هو إعلان مصر بإنهاء حالة الحرب. بمفاوضات مباشرة لو تيسر.

كان الموقف الأمريكى من البداية يسير فى نفس الاتجاه. فمصر. ومصر وحدها. تستطيع استرداد سيناء. وقطاع غزة. وبغير قتال. بل إن الولايات المتحدة لا ترى أن على مصر أن تعترف بإسرائيل. أو أن تجرى معها مفاوضات مباشرة- طبقاً لرسالة الرسمية ليندون جونسون إلى الرئيس اليوغوسلافى تيتو فى أغسطس ١٩٦٧

ولم يكن سبب هذا الموقف كرم مفاجئ نحو مصر. أو تعديل فى الأهداف الأصلية من عملية «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط» فحرب يونيو كانت تستهدف أن تبدأ إعادة رسم

الخريطة من مصر، أما ومصر تقاوم ومصممة على الحل العسكري وتمضى فيه متحملة كل التضحيات، فلا بأس أن تبدأ العملية من دولة عربية أخرى.. لكى تنتهى بمصر بدلا من أن تبدأ بها، ومفتاح هذا كله هو أن تقبل مصر حلا منفصلا لمشكلة أراضيها المحتلة، وتفك ارتباطها بالقضية المحورية، وبالعالم العربى.

وطوال سنة ١٩٦٩ سيتبلور هذا فى استخدام سياستى «العصا والجزرة» مع مصر قبل أن تستقر المواقف عند نقطة جديدة مختلفة.

استئناف حرب الاستنزاف

لقد استأنفت مصر فى ٨ مارس ١٩٦٩ حرب الاستنزاف ضد الاحتلال الاسرائيلى فى سيناء فى مرحلة جديدة تعكس التطور الجديد فى الإمكانيات العسكرية والقيادات العسكرية المصرية، لقد أصبح الجيش فى معظمه من حملة المؤهلات العليا والمتوسطة، ولم تكن نوعيات الأسلحة الجديدة تحتاج إلى مستوياتهم التعليمية فقط، ولكن كل ما يرتبط بتلك الأسلحة، وفى بند واحد فقط، وهو بند السائقين اللازمين للدبابات والسيارات والعربات المدرعة، كان الجيش الجديد يحتاج إلى أربعين ألف سائق مثلا، وهؤلاء يحتاجون إلى المدربين والفنيين وكل الخدمات الأساسية الأخرى، وأصبح الجيش يمد مقاتليه بنشرة دورية عن أبعاد الموقف السياسى، ويعد لهم برامج مكثفة لتعلم اللغة العبرية، وينقل إليهم الدروس المستفادة من عمليات القتال الجارية أولا بأول وأصبح الضباط يسبقون جنودهم فى البذل والتضحية.

ففى يوم ٩ مارس ١٩٦٩ ورد إلى القاهرة خبر صاعق، ففى اليوم السابق كانت مصر قد بدأت مرحلة جديدة فى حرب الاستنزاف ضد الاحتلال الاسرائيلى فى سيناء، لخمس ساعات متواصلة استمرت المدفعية المصرية من غرب قناة السويس تقصف التحصينات والتشكيلات العسكرية فى شرق القناة، تطور قالت عنه وكالات الأنباء إنه يعكس قفزة جديدة فى قدرات مصر العسكرية، والآن فى اليوم التالى، يجى الرد الاسرائيلى المضاد بالقصف الشامل لمواقع الخط الأمامى المصرى، فى أحد تلك المواقع على حافة قناة السويس مباشرة جاءت الإصابات محددة: اثنان من الجرحى وشهيد واحد. أما الشهيد فهو الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية، تكهرب الناس جميعا، تكهربوا مرتين. مرة لأن إرادة القتال تزداد قوة وصلابة فى لهيب المواجهة.. نضرب..

فننضرب.. فننضرب من جديد، ومرة لأن أكبر رأس فى العسكرية المحترفة المصرية الجديدة استشهد بين جنوده، وفى المواقع الأمامية من الجبهة حيث كان، فى الخندق الأول فى النسق الأول» لقوات الجيش الثانى فى مواقعها الغربية من الإسماعيلية ضمن مروره اليومى على القوات المصرية بامتداد خط الجبهة كله.

لم يكن عبد المنعم رياض منذ بدايته ضابطا عاديا، كان عاشقا للعسكرية المصرية مؤمنا بأنه لا حياة لمصر بغير جيش قوى يحميها، والجيش القوى الذى يستعد لحرب قادمة وليس لحرب سابقة، يعنى التبحر فى العلم العسكرى، فى المعرفة، فى المزيد من المعرفة، يعنى أن يطلب قائد من جنوده بقدر ما يعطيه لهم، يعنى أن يصبح القائد قدوة بسلوكه وليس بكلماته، يعنى أن نتعلم دائما، حتى من العدو، يعنى ألا تقول لجنودك، تقدموا.. ولكن تقول لهم اتبعونى، يعنى أن يتفاعل القائد مع سلاحه وجنوده ومرؤوسيه، يعنى أن يؤمن بأن مصر ليست ماضيا انتهى أمره، ولكنها مستقبل نشترك فى صنعه.

وعبد المنعم رياض كان أول دفعته فى التخرج وكان تخصصه الدفاع الجوى وكان يزداد تواضعا كلما ارتفعت رتبته، وفى إحدى المرات مثلا عاد العقيد محمد على فهمى (أصبح مشيرا فيما بعد ورئيسا لأركان الحرب) من بعثة تدريبية فاتصل به اللواء- وقتها- عبد المنعم رياض يسأله: عندك وقت أشوفك لأعرف منك الجديد الذى خرجت به؟ رد عليه محمد على فهمى بود ومحبة: دقائق سيادة اللواء، وأكون فى مكتبك، لكن عبد المنعم رياض قاطعه قائلا: أنا الذى سأجئ إليك يا أخى فى مكتبك لأتعلم، فالمعرفة ليس فيها عقيد ولواء، فيها معلم ومتعلم وأنا يا محمد أريد أن أتعلم.

تلك- وغيرها كثير- حكايات عرفناها عن عبد المنعم رياض فيما بعد، أما فى تلك اللحظة- لحظة الخبر الصاعق- فكل ما اكتشفناه، وبأثر رجعى، هو أن عبد المنعم رياض بصفته رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الجديدة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ كان يقوم بالعشرات من الزيارات المفاجئة للضباط والجنود فى جبهة القنال، زيارات سرية لا يعلن عنها فى حينها ولا بعدها، الآن، فى صدفة درامية، نكتشف أن الفريق عبد المنعم رياض استشهد وضباطه فى الخط الأمامى على حافة قناة السويس مباشرة بينما هو يتابع على الطبيعة النتائج الفعلية ليوم جديد من حرب الاستنزاف.

فى المكاتب والبيوت، فى الأتوبيسات والشوارع، فى القرى والمدن اهتز المصريون جميعا بنوعين من الشاعر متلازمين فى خط واحد، هناك أولا الشعور بالذنب. لقد قسونا على

العسكريين كثيرا وطويلا بعد هزيمة يونيو، لكن عبد المنعم رياض باستشهاده هذا أعاد الاعتبار إلى العسكريين جميعا، هذا النوع الجديد من العسكريين الذين يقع على أكتافهم إعادة الاعتبار للعسكرية المصرية وإعادة بناء القوات المسلحة.

أما الشعور الآخر فهو الغضب، أقصى درجات الغضب، في هذه المرة أصبح الغضب قوة إيجابية تماما، كنا نصر منذ يونيو ١٩٦٧ على أن الانتصار الإسرائيلي مجرد صفحة في كتاب لكنه ليس آخر كتاب، وإسرائيل تريد من انتصارها أن يصبح النهاية، نهاية مصر أو حتى بداية النهاية، الآن يصر المصريون على أن استشهاد عبد المنعم رياض هو نهاية البداية، نهاية النظر إلى الخلف وبداية التطلع إلى الأمام، التطلع إلى تحرير الأرض، كل الأرض العربية.

ربما تكون هذه قفزة سريعة إلى الأمام نعود بعدها، ولأن الحدث لم يكن مصريا وإنما عربيا، فعندما التقيت بالعماد أول (الفريق) مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري في مكتبه وجدت صورة عبد المنعم رياض تفاجئني في برواز خاص يضعه مصطفى طلاس على مكتبه، وعندما سألته قال: هناك سببان، أحدهما موضوعي والآخر شخصي، أما الموضوعي فهو أن استشهاد عبد المنعم رياض لم يكن واقعة مصرية، هو واقعة عربية، ففي حالة البلبلة والانهزامية واليأس التي حاولت إسرائيل فرضها علينا بعد ١٩٦٧ كان عبد المنعم رياض شعاعا مضيئا في الظلام، هذا عسكري محترف، ومتبحر في العلم العسكري، يتابع القتال من الخندق الأمامي وهو يعرف مسبقا أنه في بؤرة الخطر، أقصى درجات الخطر.

مثل هذا السلوك لا يفعله إلا شخص مؤمن بجنوده وضباطه. مؤمن بجيشه، ببلده، بعروبته وبأن إرادة النصر يجب أن تبدأ من الرأس، ولو أخذتك الآن فجأة إلى مكتب رئيس أركان حرب الجيش السوري، أو حتى في أية كلية عسكرية في بلد عربي يحترم نفسه، فسوف تجد صورة عبد المنعم رياض باعتباره العملة الذهبية التي يقاس عليها الأداء العسكري المحترف.

أما السبب الشخصي - مازلنا مع كلمات مصطفى طلاس - فهو أنني شاركت في جنازة عبد المنعم رياض مبعوثا من سوريا، لقد وصلت إلى القاهرة متوقعا أن تكون جنازة عسكرية تقليدية أعود بعدها في المساء إلى دمشق.

في القاهرة وجدت أن الرئيس جمال عبد الناصر قرر أن تصبح جنازة عبد المنعم رياض عسكرية وشعبية معا، أنه هو نفسه في المقدمة. ومع أنني عشت في القاهرة من قبل إلا إنني في ذلك اليوم فوجئت بأن شوارع القاهرة وميادينها اتسعت فجأة لكي تضم مئات الآلاف من المصريين خرجوا بعقوية يشاركون في الجنازة.

فى إحدى النقاط ذاب عبد الناصر من بيننا وسط الناس وهم جميعا يتدفقون إليه ، كل واحد حريص على الاقتراب منه ليقول له : البقية فى حياتك يا ريس . ولا يهملك يا ريس ، الثأر يا ريس ، معك ثلاثين مليون عبد المنعم رياض ياريس .. الخ .
توقف مصطفى طلاس لحظة قبل أن يضيف : تطلعت حولى فوجدت أن طاقم الحراسة الخاص بالرئيس عبد الناصر ذاب هو الآخر وسط الناس ، تطلعت من جديد فوجدت رؤساء أركان الحرب القادمين من الدول العربية للمشاركة تحولوا هم أيضا إلى مواطنين يغمرهم الانفعال .. مددت كلتا يدي يميننا وشمالا لأقول لهم ، فلتتشابك أيدينا معا لتصبح طاقم حراسة للرئيس . نحيط بالرئيس . نحمى الرئيس .

فى المساء ذهبنا إلى الرئيس جمال عبد الناصر نستأذنه فى العودة إلى بلادنا واقتربت من الرئيس ، لأقول له : سيادة الرئيس .. هذا التفاعل الذى شاهدناه اليوم من الشعب المصرى هو أكبر عزاء لك فى استشهاد عبد المنعم رياض ، قاطعنى عبد الناصر قائلا : لا يا طلاس ، أنا ذهبت إلى الجنازة لمشاركة الناس وليس لتقبل العزاء فى رياض ، العزاء الوحيد عندى ، وعند عبد المنعم رياض ، وعند كل العسكريين المصريين ، هو تحرير الأرض . كل الأرض . لا أتكلم هنا عن سيناء فأمرها محسوم . أتكلم عن القدس . قبل الجولان ، هى القدس يا طلاس . قالها عبد الناصر بوجه من الجرانيت وعينين من النيران .. وهكذا تحولت جنازة عبد المنعم رياض فى القاهرة . التى اشترك فيها الرئيس جمال عبد الناصر وممثلين عن الدول العربى . إلى مظاهرة وطنية عارمة وغاضبة اجتاحت العالم العربى .. تصر على الثأر رغم كل التضحيات .
نعود .. فطوال سنة ١٩٦٩ أصبحت هناك مشاورات دولية بين جميع الأطراف . فالولايات المتحدة من جانبها تدير حوارا ثنائيا مباشرة مع الاتحاد السوفيتى . وحوارا آخر مع الاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا . وحوارا منقطعا مع مصر . إن إسرائيل تريد تحييد مصر ، ومصر تريد تحييد الولايات المتحدة ، والولايات المتحدة تريد تحييد الاتحاد السوفياتى . ولكن وسط تلك الشبكات المتقطعة من الحوارات . كان الحوار الأهم الذى يفرض نفسه على كل الحوارات الأخرى هو حوار المدافع فى جبهة قناة السويس .

مذكرة رابين

إن إسحاق رابين سفير إسرائيل بواشنطن يكتب إلى حكومته فى إسرائيل أن حرب الاستنزاف التى يشنها المصريون عبر قناة السويس . لها تأثير مباشر فى المباحثات السوفيتية الأمريكية ..

وألح السفير على حكومته بضرورة العمل على «سحق» رغبة مصر في المضي في حرب الاستنزاف، فطالما استمرت تلك الحرب، فإن الولايات المتحدة ترى أن مركزها في الشرق الأوسط يتدهور بشكل ثابت ومنتظم. وكلما زاد التآكل أصبح الأمريكيون مبالين إلى- ومقتنعين ب- وقف خسائرهم في المنطقة عن طريق التوصل إلى تفاهم مع الاتحاد السوفيتي، فطالما أن هذا الاستقطاب مستمر، حيث الاتحاد السوفيتي يتبنى مطالب مصر والعرب، والولايات المتحدة تتبنى مطالب إسرائيل، والمصريون مستمرون في القتال، فإن النتيجة هي تصاعد العداء ضد المصالح الأمريكية في العالم العربي، وفي مايو ١٩٦٩ وقع انقلاب عسكري في السودان أعلن من الدقية الأولى تضامنه الكامل مع مصر، وسرعان ما سيقبفه انقلاب مماثل في ليبيا، والاتحاد السوفيتي يحقق مكاسب سياسية وإعلامية بامتداد المنطقة بعد أن كان أحد أهداف حرب يونيو هو إخراجه بالكامل.. الخ.

وهكذا، ففي أوائل يوليو ١٩٦٩ قررت الولايات المتحدة إيفاد جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية إلى موسكو لإجراء مشاورات جديدة مع السوفيات. وكانت علاقات السفير الإسرائيلي إسحاق رابين مع كبار المسؤولين في واشنطن تجري على مستويين، فهناك مستوى رسمي تسجل فيه المواقف في محاضر مكتوبة، ولكن هناك مستوى آخر غير رسمي أكثر صراحة مما تسمح به المحاضر المكتوبة المسجلة.

سيسكو يتحدث بصراحة

وخلال أحد تلك الحوارات غير الرسمية، وأثناء تناولهما الغداء معا قبل سفر سيسكو إلى موسكو، قال وكيل وزارة الخارجية الأمريكي للسفير الإسرائيلي رابين: - إن مصالحنا في الشرق الأوسط لا تتركز على إسرائيل وحدها، إن التزامنا المعنوي والعملي نحو إسرائيل لا يعتمد بأي شكل إلى شيء تريد إسرائيل أن تفعله، ودعني أخبرك بصراحة: إذا أصبحت الصداقة مع إسرائيل هي كل ما يتبقى للولايات المتحدة في الشرق الأوسط فإن هذا سيصبح نكسة وكارثة للسياسة الأمريكية، وعلينا أن نبحث عن حل سياسي لأنه الشيء الوحيد الذي يؤدي إلى تأمين مصالحنا في المنطقة.

وحاول السفير رابين أن يشرح للمسئول الأمريكي أنه من وجهة النظر الإسرائيلية لا يوجد تناقض بين المصالح بعضها وبعض - يقصد صدور بيانات عربية بإنهاء حالة الحرب يتم إيداعها في الأمم المتحدة- ولكن إسرائيل تريد التوصل إلى اتفاق ملزم يتحمل فيه الأطراف

التزامات متبادلة ، ولكي يدوم السلام لا بد أن يكون له مضمون عملي قائم على الحدود المفتوحة وحرية تنقل الأشخاص والسلع وعلاقات دبلوماسية بين إسرائيل والدول العربية المعنية. وقاطعه جوزف سيسكو قائلا: «إن الولايات المتحدة لن تود ما هو أفضل من ذلك ، ولكن ، طالما أن العرب يرفضون مثل هذه الإمكانيات برمتها فيظل السؤال هو: ما هو الحد الأدنى الضروري لوضع نهاية للصراع؟ إننا لا نستطيع إرغام المصريين على أن يحبوكم ، وبقدر ما يعيننا الأمر فإن أى حل أقل من هذا النوع من السلام الذى تصفه ، سيكون كافيا ، فبالنظر إلى الظروف القائمة ، يجب علينا أن نكون واقعيين». ولم تكن هذه «الظروف القائمة» التى يقصدها المسئول الأمريكى سوى حرب الاستنزاف المصرية.

إنزال إسرائيلى فى «الزعفرانة»

وهكذا بدأ السفير الإسرائيلى فى واشنطن يمطر حكومته فى إسرائيل بضرورة توجيه ضربات ساخنة إلى المصريين ترغمهم على وقف حرب الاستنزاف ، وخصوصا من خلال عمليات عسكرية خاصة يمكن استخدامها دعائيا على نطاق واسع لإحباط الإصرار المصرى على المضى فى الحرب.

وفى هذا السياق مثلا فإن إسرائيل قامت فى فجر التاسع من سبتمبر ١٩٦٩ «بإنزال مجموعة سرية مختلطة بتسع دبابات برمائية على شاطئ خليج السويس الغربى قرب نقطة حدود الزعفرانة ١٠٠ كيلو متر من جنوب السويس ، وقضى على أفراد نقطة الحدود ، خمسة أفراد ، وقطع طريق السويس/ الفردقة المار بحذاء الشاطئ وخط التليفون الهوائى ، ولعدم وجود قوات فى هذه المنطقة أخذ العدو يصور فيلما لقواته الهابطة على الشاطئ ، واستمر هكذا ٦ ساعات ، وعادت قواته من حيث أتت». وخلال ساعات ستروج إسرائيل لتلك العملية المسرحية فى العالم كله بعد أن أطلقت عليها اسم «عملية غزو مصر».

وفى ذلك اليوم كان جمال عبد الناصر فى زيارة سرية للجبهة حتى يحضر مشروعا تدريبيا للفرقة ٢١ المدرعة المشكلة حديثا ، وفى حوالى الساعة العاشرة صباحا جاء اللواء عبد الغنى الجمسى مدير الاستطلاع إلى موقع التدريب فى الكيلو ٥٢ بطريق القاهرة السويس الصحراوى ، وابلغ الرئيس جمال عبد الناصر بنزول مجموعة سرية برمائية إسرائيلية فى الزعفرانة ، ولم يكن لديه معلومات أخرى ، وبعد التداول مع الفريق محمد فوزى وزير

الحربية واللواء احمد إسماعيل رئيس هيئة أركان الحرب أمر الرئيس بتكليف اللواء أحمد إسماعيل ومستشارة السوفيياتى بالتوجه فورا إلى الزعفرانة رأسا لاستطلاع الموقف وحسمه . مع إخطاره بما يجرى على وجه السرعة.

إحالة رئيس الأركان للتقاعد

ولم يستطع عبد الناصر مواصلة حضور المشروع التدريبى فعاد إلى القاهرة فى الثانية والنصف ظهرا ، وفى السادسة مساء علم جمال عبد الناصر بأن اللواء أحمد إسماعيل رئيس الأركان كان يتابع ما يحدث فى الزعفرانة من مكتبه بالقاهرة ، بينما توجه المستشار السوفيياتى مباشرة من الكيلو ٥٢ إلى الزعفرانة لكى يعود فى السادسة مساء ويقدم تقريرا إلى وزير الحربية ، وشعر عبد الناصر بغضب شديد فقال لوزير الحربية : هو المستشار الروسى ينفذ أوامرى ورئيس الأركان يفضل البقاء فى المكتب؟ .. إن رئيس الأركان لا يصلح للاستمرار فى تحمل المسؤولية .. شوف لك واحد آخر.

وفى تلك الليلة صدر قرار بإحالة أحمد إسماعيل إلى المعاش . بينما كان جمال عبد الناصر يغلى من الغضب وهو يتابع استغلال إسرائيل الدعائى حول العالم لتلك العملية ، وفجأة شعر «وهو جالس خلف مكتبه وكأن خنجرا حادا يغوص فى صدره نافذا من ظهره متوسطا مكانا بين الرئتين ، وعندما استدعى الأطباء قرر الجميع أن عبد الناصر يعانى من نوبة قلبية حادة وأن عليه أن يستريح تماما وأن يبتعد عن العمل . بل ويبقى فى فراشة سبعة أسابيع كاملة».

وفى القاهرة تم تكتم إصابة عبد الناصر بتلك النوبة القلبية الأولى ، ونشر أنه مصاب بالإنفلونزا ، ولم يسمح له الأطباء بالعمل إلا فى أول نوفمبر بعد منعه نهائيا من التدخين . أما فى إسرائيل فقد كانت الاستجابة مستمرة لنصائح رابين المتلاحقة من واشنطن ، خصوصا وأن إسرائيل تسلمت أول دفعة من طائرات الفانتوم قبل أيام.

الحق والقوة

فى الجانب العسكرى كان هناك التفكير منصبا من «رجال اليوم السابع» على خط بارليف : الذى أقامته إسرائيل على الجانب الآخر لقناة السويس . ولكى يتم العبور بالقوات إلى سيناء كان لابد من البحث عن حلول .. إنه يشبه عمارة من سبع طوابق .. مطلوب أن

يسوى بالأرض.. كيف يحدث ذلك، وبأى نوع من المتفجرات؟ وخلال أى مهلة زمنية؟ إن هذا الساتر الرملى ليس عمارة ولا يضم أى فراغات ولا حتى أعمدة أو سقف بحيث لو جرى نسف أسفلها ينهار عاليها.. أبدا.. هو مكبوس كبسا بالرمال والأتربة.. وهناك طائرات فوق الرؤوس لمنع الاقتراب منه. وقذائف مدفعية من بعيد مسلطة على كل من يقترب منه.. والفشل فى إنجاز الهدف هذا لا يعنى فقط موت كل من يفكر فى العبور ولكنه يعنى أيضا إصابة القوات المعدة للعبور بالشلل.. ويعنى ببساطة استمرار إسرائيل فى احتلال الأرض المصرية.

تلك كانت واحدة من مئات المعضلات التى يواجهها المخططون المصريون من القوات المصرية بعد الهزيمة المروعة فى ١٩٦٧، لقد أصبحت قناة السويس مانعا مائيا يفصل بين الاحتلال الإسرائيلى وبين القوات المصرية الجديدة التى يتم إعادة بنائها بتضحيات جسيمة ودماء من الشهداء وإرادة فولاذية استعدادا ليوم العبور ومحو الهزيمة واسترداد الأرض. قناة السويس طولها ١٦٠ كيلو متر وبعرض ٢٠٠ متر وعلى مسافات متباعدة أقامت إسرائيل سلسلة من التحصينات القوية على الضفة الشرقية لقناة السويس، وإذا كانت حرب الاستنزاف المصرية قد دمرت «خط بارليف» هذا فى معظمه، إلا أن إسرائيل سرعان ما أعادت بناءه.

لكن فيما بين تلك النقاط الحصينة أقامت إسرائيل شيئا آخر، فعلى حافة القناة مباشرة أقامت حائطا مرتفعا من الرمال بارتفاع عشرين مترا كوقاية إضافية. وقاية ضد القناصين المصريين على الضفة الغربية. والأهم من ذلك وقاية ضد أى محاولة مصرية للعبور إلى الشرق بمدركات ودبابات.. الأفراد يمكن التعامل معهم لكن العبور بمدركات ودبابات.. بدا وكأنه مستحيل.

لكن «رجال اليوم السابع» كانوا قد شطبوا من قاموسهم مبكرا كلمة مستحيل. ومع أن حرب الاستنزاف كانت لها جبهة قتال محددة هى خط قناة السويس إلا أن المواجهة سرعان ما أصبح لها بمرور الوقت جبهات شتى. هناك مثلا غارات إسرائيلية فى العمق المصرى بهدف ترويع المدنيين فى قراهم ومدنهم. هناك أيضا توحش يومى ضد كل محاولة تتقدم بها مصر لإعادة بناء جيشها.

لكن قناة السويس ذاتها أصبحت عقبة كبرى. فى نهاية المطاف هدف مصر من كل ما تفعله هو إعداد قواتها المسلحة للحظة عبور القناة إلى الشرق بدءا من تحرير الأرض..

فى تلك اللحظة ليس المطلوب عبور أفراد أو مقاتلين فقط ولكن أيضا عبور مدرعات ومدفعية ثقيلة ودبابات.. إذن المطلوب إقامة كبار- جسور مائية فيما بين ضفتى قناة السويس- ثقيلة تتحمل عبور مركبات ثقيلة. وطوال عام ١٩٦٩ بدأت مصر سرا فى إجراء تجارب لإقامة هذا النوع من الكبارى، وحتى تكون التجارب أقرب إلى الطبيعة فقد اختيرت مناطق محددة على نهر النيل لإجراء التجارب فيها للوصول إلى الإجابات المطلوبة: أى نوع من الكبارى نحتاج إليه؟ كم من الوقت يستغرق تركيبه؟ كم معدل الحمولات التى يمكن أن ينقلها خلال الساعة؟.. الخ.

لكن هذا ليس كل شيء.. فبافتراض أن الكوبرى أقيم والدبابات عبرت فوقه فإنها سوف تجد على الجانب الآخر حائطا سميكاً أصم مرتفعاً من الرمال تغوص فيه وتدفن داخله إن لم يكن بفعل القذائف الإسرائيلية فهو بفعل الرمال ذاتها، وهذا هو الهدف الأصلى من إقامة هذا الحائط الرملى السميك الكبير المرتفع بامتداد قناة السويس.. كيف يمكن إذن فتح ثغرة فى هذا الحائط الرملى بعرض يكفى لعبور الدبابات والمدافع الثقيلة؟

أصبح هذا السؤال شديد الإلحاح والسرية معاً، الذى يواجهه «رجال اليوم السابع» لقد جربوا الديناميت والمواد الأخرى شديدة الانفجار والتجريف اليدوى والقذف المدفعى لكن بلا حل يناسب قصر الوقت المتاح لحظة العبور المستمر لقذائف العدو.

فى النهاية خرجت فكرة: لماذا لا نجرب القذف بالمياه؟

هى فكرة استثنائية بقدر بساطتها. لكن الفكرة نشأت من مشروع آخر بدا للعالم فى أوله مشروعاً استثنائياً قبل أن يحوله المصريون إلى حقيقة.. وخلال شهر يوليو ١٩٦٩ تلقى المهندس صدقى سليمان، رجل السد العالى الشهير.. تعليمات من جمال عبد الناصر بأن ينسق فوراً مع محمد فوزى وزير الحربية لعمل تجارب فعلية اختباراً للفكرة فى أرض الواقع. واختير موقع محدد فى منطقة اسمها «الخطاطبة» لكى يقيم فيه سلاح المهندسين بالقوات المسلحة ما يشبه خط بارليف والساتر الرملى فى سيناء، وجئ بالمعدات المطلوبة من أسوان على وجه السرعة وجلس مندوبوا سلاح المهندسين ووزارتى الرى والسد العالى يتابعون التجربة الأولى.

نعم الفكرة مدهشة وتنفيذها استغرق ساعة وربما من أجل عمل فتحة كافية تسمح بمرور دبابة. ولكن التعليمات جاءت سريعة: كرروا التجربة باستخدام كبارٍ حقيقية على نهر النيل ومدرعات ودبابات حقيقية.

هكذا تكررت التجربة وكان النجاح أكبر، والوقت جرى اختصاره إلى ٥٥ دقيقة. لكن يجب استبدال الموتورات الضخمة ومولداتها الكهربائية بنوع خاص من الطلمبات الكهربائية يكون أخف وزنا وأسهل نقلا عبر قناة السويس، بعد بحث ودراسة في نفس الموقع ومن خلال خبرات مهندسي الري والسد العالي تبين أن تلك الطلمبات توجد في أحد مصدرين: ألمانيا (الغربية) أو بريطانيا وبشرط عدم الإيحاء مطلقا بالمهمة الحقيقية لتلك الطلمبات. والآن يريد رجال اليوم السابع، استخدامها في هدف آخر يحولها إلى مدافع مائية، أو قذائف مائية تسحب المياه من قناة السويس ذاتها لكي تسلطها على الحائط الرملي المرتفع في الضفة الشرقية لقناة السويس فتذوب الرمال أمام قوة الدفع وتتساقط إلى قناة السويس.

من يومها أصبحت فكرة مدافع المياه هذه واحدة من أسرار الدولة العليا المحظور تناولها أو الحديث عنها إلا في الدائرة الضيقة تماما بين رئيس الجمهورية ومدير سلاح المهندسين، إن تجارب إقامة كبرى العبور على نهر النيل استمرت، لكن فكرة «مدافع المياه» اسكت هس، الحرب أسرار وأرواح المقاتلين أمانة.



**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الحادى عشر

التوحش الإسرائيلى

□ قنابل إسرائيلية على عتبات المصريين بمليون

استرلينى.. يوميا

□ رابين يعترف: اعتبرونى فى إسرائيل مجنونا لكن تأثير

حرب الاستنزاف المصرية أشعرنى بالرعب

□ كيسنجر يطلب من إسرائيل تدمير الجيش المصرى

بالكامل

□ الطيران الإسرائيلى يتحول إلى مدفعية طائرة لإسقاط

عبد الناصر

□ نيكسون وروجرز يفجران قنبلة سياسية: على إسرائيل

أن تنسحب من سيناء وغزة والضفة الغربية



فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٩ بعث إسحاق رابين ببرقية سرية إلى جولدا مائير رئيسة الوزراء قال لها فيها: «إن مجلس الأمن القومى (الأمريكى) يدرس تأثير العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد مصر، ويعطى الأمريكيين اهتماما بالغاً لتأثيرها المحتمل فى زعزعة استقرار نظام جمال عبد الناصر، لقد بدأت تظهر الخطوط التالية من التفكير: إن استمرار العمليات العسكرية الإسرائيلية (ضد ناصر) بما فى ذلك الغارات الجوية من المرجح أن يؤدى إلى نتائج بعيدة المدى، فسوف يؤدى هذا إلى إضعاف مكانة عبد الناصر، وهذا بدوره سيؤدى إلى إضعاف مركز السوفيات فى المنطقة، وبعض المصادر أخبرتنى بأن عملياتنا العسكرية هى أكثر نسمات الهواء تشجيعاً التى تمتعت بها الإدارة الأمريكية مؤخراً».

ولم تكن بعض المصادر، التى يشير إليها إسحاق رابين فى برقيته إلى رئيسه سوى هنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى، والذى كان يقدم للسفير الإسرائيلى نصائحه غير الرسمية أولاً بأول.

وكانت وحدات الكوماندوز المصرية قد بدأت منذ منتصف إبريل ١٩٦٩ تقوم بانتظام بعبور قناة السويس والهجوم على المواقع الإسرائيلية.. وتزايدت خسائر إسرائيل بشكل مزعج خلال تلك الفترة، وفى يوليو ١٩٦٩ قرر الإسرائيليون إدخال سلاحهم الجوى فى المعركة، فانطلقت ميزة المبادرة إلى إسرائيل، وأصبحت حرب الاستنزاف هى حرب استنزاف مضاد.

وكانت الحكومة الإسرائيلية على حد تعبير غولدا مائير رئيسة الوزراء، متأكدة من أن كل هذا يجرى استعداداً للمرحلة السابقة مباشرة على الهجوم المصرى الشامل لتحرير سيناء.. وكما سجلت غولدا مائير فيما بعد فإن «الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تمنع الحرب الشاملة التى أعلنها ناصر نفسه ليلاً ونهاراً باعتبارها الهدف النهائى لحرب الاستنزاف، وكانت هى أن نرد الضرب، ونضرب بقسوة المنشآت العسكرية المصرية، وبقصف الأهداف العسكرية المصرية، وليس فقط فى خط وقف إطلاق النار، ولكن داخل مصر ذاتها- وحينما يكون ذلك ضرورياً- أن نصل برسالتنا إلى عتبات أبواب كل المصريين من خلال الإغارة فى عمق الأراضى المصرية...» ومن ثم فقد بدأنا. فى تمليل، قصفنا الإستراتيجى الانتقامى فى العمق. مستخدمين طائراتنا كمدفعية طائرة، ووثاقين من أن

الشعب المصرى بعد أن يسمع تلك الطائرات فوق المطار العسكرى قرب القاهرة. سوف يفهم أنهم لن يستطيعوا الحصول على النقيضين: الحرب لنا.. والسلام لأنفسهم!

وتلقت غولدا مائير برقية سرية عاجلة أخرى من سفيرها فى واشنطن يقول لها فيها: «إن على المرء أن يكون أعمى وأصم وأبكم إذا لم يحس إلى أى درجة تحبذ الإدارة (الأمريكية) عملياتنا العسكرية (ضد مصر). وهناك احتمال متزايد بأن تصبح الولايات المتحدة مهتمة بتصعيد نشاطها العسكرى الذى يستهدف إضعاف مكانة (جمال) عبد الناصر، وبعض الدوائر تفكر فى إمكانية قيام إسرائيل بتدمير الجيش المصرى بالكامل من خلال هجوم واسع النطاق، وبالتأكيد لن يفزع أحد من مثل هذه الإمكانيات، وفى اللحظة الحالية لم يتم التعبير عن هذه الأفكار بشكل رسمى.

ولكن لدى انطباع بأنه مع تطور الظروف فإن الولايات المتحدة سوف تأخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار الجاد، وبناء على ذلك فإن الرغبة فى إمدادنا بأسلحة إضافية تعتمد على الإسراع بتصعيد نشاطنا العسكرى ضد مصر بأكثر مما نعتمد على تقليده».

ومرة أخرى فإن «بعض الدوائر» الأمريكية التى يشير إليها إسحاق رابين فى برقيته لم تكن سوى هنرى كيسنجر- الذى يحث إسرائيل بشكل منتظم على شن «هجوم واسع النطاق» يستهدف «تدمير الجيش المصرى» بالكامل.

الخارجية الأمريكية تتحفظ

وبالطبع لم تكن إسرائيل من البداية تريد أكثر من ذلك.. لو استطاعت. وبالطبع فشلت فى تحقيق هذا الهدف، بل إنه برغم غارتها الجوية ولجونها إلى حرب استنزاف مضادة وضرب المدنيين فى العمق المصرى بوحشية لإحباط إصرار المصريين على القتال، فإن الجيش المصرى ليس مستمرا فقط فى حرب الاستنزاف، ولكنه يزداد إصرارا وضراوة كل يوم، برغم كل التضحيات، وفى أواخر تلك السنة سوف يصبح ما تلقىه إسرائيل على الأهداف المصرية من القنابل يوميا حسب تقرير الخبراء العسكريين ما قيمته مليون جنيه استرلينى. وجزء كبير منها يتم إلقاؤه على «عتبات كل المصريين» على حد تعبير جولدا مائير.. دون جدوى.

وإسرائيل لا تستطيع من البداية التحرك بغير إشارات أمريكية محددة. لكن السفير الإسرائيلى فى واشنطن يرى إشارات متناقضة، فالإشارات التى يلمح بها هنرى كيسنجر

بشكل منتظم، ولكن غير رسمي: هي اسحقوا المصريين حتى ترغموهم على وقف حرب الاستنزاف: لكن هناك إشارات أخرى من وزارة الخارجية الأمريكية هي أن هناك خطأ تفترق عنده مصالح الولايات المتحدة عن مصلحة إسرائيل، وفي الظروف العادية لن يظهر هذا الافتراق، ولكن في ظروف ملتزمة تخلقها حرب الاستنزاف المصرية. وتضامن من الرأي العام في العالم العربي، وثورة جديدة في السودان منذ ٢٥ مايو تتجه إلى مصر. وثورة أخرى في ليبيا تسقط النظام القائم الموالي للغرب وتتجه إلى مصر وتطلب إغلاق القاعدة العسكرية الأمريكية هناك فوراً، وتقلص مقاييد النفوذ الأمريكي لدى النظم التي بقيت تتعامل معه على استحياء، وتنامي معاكس للنفوذ السوفياتي: فإن الحسابات تختلف، إن إسرائيل ستظل تستمع في واشنطن إلى كلمات معسولة، ولكن يجب عليها في النهاية أن تمتثل.

رسالة من روجرز

وفي ٩ نوفمبر ١٩٦٩ تلقت مصر رسمياً من وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكي عرضاً أمريكياً جديداً، ما يزال يتحدث أساساً عن الإنسحاب الإسرائيلي الكامل من سيناء وحدها، ولكنه يضيف الآن فكرة وجود جدول زمني للتنفيذ وترتيبات آمنة بالنسبة لقطاع غزة: وشروطاً للتسوية العادلة للاجئين الفلسطينيين يتم الاتفاق عليها في اتفاق نهائي بين الأردن وإسرائيل. وهذا المشروع الأمريكي الجديد. في حالة موافقة مصر عليه. سيتم تسجيله كوثيقة تقوم كل من مصر وإسرائيل بإيداعها في الأمم المتحدة.

ولكن روجرز في رسالته التي تبلغ محمود رياض بالمشروع يقول له: «إنني أعرف أنك مهتم بالطريقة التي ستأخذ فيها في الاعتبار الجوانب الأخرى من التسوية العربية الشاملة، وإنني أستطيع أن أؤكد لك أنه ليست لدينا نية لمحاولة فصل الجانب الخاص بمصر عن الأجزاء الأخرى، فنحن مثلكم نرى التسوية باعتبارها تسوية كلية لا تتجزأ». وجاء رد مصر بعدها بأسبوع لا يحتمل رفضاً.. ولا قبولاً، فقط: ما تزال مصر في انتظار الموقف الأمريكي المحدد بالنسبة للأراضي العربية المحتلة الأخرى.

وكلما اشتدت إسرائيل رائحة موقف أمريكي يتبلور داخل الإدارة: كانت تسرع على الفور إلى استشارة ممثلها الخاص داخل الإدارة- هنري كيسنجر- ومن خلاله عرفت إسرائيل بأن الولايات المتحدة أخطرت الاتحاد السوفياتي مقدماً بالمشروع الخاص بمصر.

رابين يلح

وبعث إسحاق رابين في ٢٥ أكتوبر برقية جديدة إلى حكومته يكرر فيها إلحاحه على تغيير مسار الحرب، وركزت على أن أهدافنا لا يمكن تحقيقها من خلال تقييد قصفنا المضاد لمنطقة قناة السويس. إن علينا أن نقوم بغارات جوية تخترق عمق مصر (أكثر وأكثر) ونضرب الأهداف العسكرية في قلب مصر. فهذه هي الطريقة الوحيدة لإغراء المصريين بوقف الحرب. أكثر من ذلك فإن قيامنا بتوجيه ضربة قاصمة ضد جمال عبد الناصر سوف يساعد مكانة أميركا في الشرق الأوسط على أن تطفو من جديد، ومن ثم يوقف تراجعها في المباحثات مع الاتحاد السوفيت.

ويقول إسحاق رابين أيضا: إنهم في إسرائيل اعتبروا أنني على وشك أن أفقد عقلي، إنني لم أكن صقرا، ومع هذا فما أنذا أطالب بشن هجمات على أهداف تقع في عمق مصر، ولكن اقتراحاتي هذه لم يكن لها أى علاقة بكوني صقرا، فقط.. كنت أرى إلى أين تقود حرب الاستنزاف (المصرية) أميركا.. وشعرت بالرعب.

ولم تكن الحكومة الإسرائيلية في داخلها بأقل شعورا بالرعب بسبب حرب الاستنزاف من سفيرها في واشنطن، إن أنباء الهجوم الشامل للقوات المسلحة المصرية لا يبدو أنه اكتمل بعد، وستظل هناك دائما ثغرات في نظام الدفاع الجوي المصرى تستطيع إسرائيل من خلالها تصعيد غارتها في عمق مصر، لكن المشكلة هي في النتائج السياسية التي يمكن أن تقترب على ذلك، فمصر لا يبدو عليها أنها ستدعن مطلقا مهما صعدت إسرائيل من حرب الاستنزاف المضاد، وبالتالي سيضطر الاتحاد السوفيتي إلى إمداد مصر بأسلحة جديدة تؤدي إلى تصعيد معائل، وهذا بدوره سيضعف من تدهور المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، ما يجعل الولايات المتحدة مضطرة إلى التبكير بمواجهة لحظة «الاختبار الصعب» بين مصالحها وبين دعم الغزوة الإسرائيلية في المنطقة، وهذا العامل بمفرده كان كفيلا بجعل الحكومة الإسرائيلية منقسمة على نفسها، وعليها أن تختار بين نوعيين من الرعب: حرب الاستنزاف المصرية.. واحتمالات التراجع الأمريكي.

خطة روجرز

وفي ٩ سبتمبر ١٩٦٩ جاءت قنبلة سياسية. أو «صاعقة» على حد تعبير إسحاق رابين، كانت إسرائيل تحس بوادرها منذ ستة أسابيع على الأقل.. لقد خرج وزير الخارجية

الأمريكي ولیم روجرز لکی يعلن عن مشروع أمريكي للتسوية سيعرف فيما بعد باسم «خطة روجرز».

وكما تبين فيما بعد، فإن وزير الخارجية الأمريكي روجرز طلب من مساعديه البحث عن أي منبر عام يعلن منه المبادرة الأمريكية الجديدة، وفي يوم ٩ سبتمبر لم يكن هناك سوى اجتماع لشؤون تعليم الكبار في واشنطن كان من المقرر أن يذهب إليه موظف صغير من الخارجية الأمريكية لکی يلقي بكلمة احتفالية.

وبدلاً من «الموظف الصغير من الخارجية» قرر وزير الخارجية أن يذهب إلى الاجتماع بنفسه، وهناك ألقى بقبلة المبادرة الأمريكية الجديدة، وفي خطابه أعلن روجرز بوضوح «أن على إسرائيل أن تنسحب إلى حدودها السابقة على (حرب) ١٩٦٧ في صحراء سيناء، مقابل اعتراف من مصر وإنهاء حالة الحرب، وتناول روجرز أيضاً تسوية أكثر شمولاً في الشرق الأوسط تتضمن مفاوضات بين إسرائيل والأردن بشأن الضفة الغربية ومستقبل القدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين».

ويقول أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل: «إن خطة روجرز كانت إعلاناً أمريكياً صريحاً وقاطعاً بضرورة انسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧ بالنسبة لمصر والأردن في إطار تسوية سلمية، وفي أحسن أحوالها فإن تلك الخطة تسمح بتعديلات طفيفة (بالنسبة للضفة الغربية)، وهكذا أضعف من قوة إسرائيل التفاوضية في أية مفاوضات تدريجية لاحقة حول الحدود، وحتى أولئك الذين كانوا أبعد ما يكونون عن كونهم متطرفين بالنسبة للأراضي استاءوا من هذا الضغط. إن التوازن الدبلوماسي، الذي كان يميل ضدنا دائماً، أصبح الآن غير مستقر بطريقة مثيرة لليأس... فخطة روجرز كانت بلا شك واحدة من الأخطاء الكبرى في الدبلوماسية الدولية خلال فترة ما بعد الحرب».

صدمة في إسرائيل

أما غولدا مائير فقد اعتبرت خطة روجرز هذه «كارثة لإسرائيل بحيث إن أي حكومة إسرائيلية تتبنى وتنفذ مثل هذه الخطة سترتكب بذلك خيانة لبلدها».

إن «خطة روجرز» هذه لم يتم إبلاغ إسرائيل بها مسبقاً سواء بشكل رسمي أم غير رسمي، كما لم يعرف بها مسبقاً مؤيدي إسرائيل في الكونجرس وقد تسببت في أن يسود إسرائيل شعور بالصدمة. وأصبح هناك في إسرائيل شعور بالأزمة، وتم استدعاء مجلس

الوزراء الإسرائيلي إلى اجتماع طارئ في اليوم التالي مباشرة حيث قرر رفض مبادرة روجرز رسمياً.

هكذا بدأت تتدفق على البيت الأبيض فوراً احتجاجات عنيفة من الرسميين الإسرائيليين ومن قيادات اليهود الأمريكيين، فعلى الرغم من أن الجزء الواضح المحدد فيما أعلنه روجرز هو الذى يتعلق بمصر.. هو ليس موقفاً أمريكياً جديداً.. إلا أن إشاراتة الإجمالية للصفة الغربية، وغير المحددة بعد، هى إشارة بالخطر.

وبعد أن كرر مجلس الوزراء الإسرائيلى فى ١٦ ديسمبر رفضه القاطع لخطة روجرز فى بيان جديد، تقرر أن يسافر أبا ايّبان وزير الخارجية فوراً إلى واشنطن لى يبلغ موقف إسرائيل ويفهم ما يجرى وراء الكواليس.

وفى اجتماع إيبان مع وزير الخارجية الأمريكى وليم روجرز احتج الوزير الإسرائيلى بأن هذه المبادرة تحسم بشكل قاطع موضوع الحدود مع مصر بغير أن تتناول طبيعة السلام الذى تريده إسرائيل كمقابل، أين هو، مثلاً، الحديث عن الحدود المفتوحة أو العلاقات الدبلوماسية وحرية انتقال السلع والأشخاص؟!

وهنا بادره جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الذى كان حاضراً الاجتماع قائلاً: إن هذا السلام الذى نتحدثون عنه (مع مصر).. لم يعد متاحاً الآن that peace is not attainable now

وكان المعنى واضحاً تماماً، إن ما رفضته مصر بجيش محطم فى يونيو ١٩٦٧، لن تقبله الآن مطلقاً وجيشها يقاتل فى حرب استنزاف كبرى، ولم تكن القضية بالنسبة لمصر من البداية هى حل منفرد، ولكن تسوية شاملة تقرر انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة.. وحقوق الفلسطينيين.

وفى مقابلة أبا ايّبان مع وزير الخارجية روجرز سأله الوزير الإسرائيلى عن الموقف الأمريكى، الآن، بالنسبة للصفة الغربية، ورد روجرز بأنه على الرغم من أن الإدارة الأمريكية لم تقرر بعد ما إذا كانت ستتعامل مع الأردن فى الوقت الحاضر، إلا إنه: «ربما سنفعل شيئاً فى هذا الخصوص على أساس نفس الخطوط الإرشادية التى اتبعناها بالنسبة لمصر».

وقال إيبان: إننا على اتصال مع الأردن ونفضل الاستمرار فى اتصالنا بغير تدخل الولايات المتحدة، ونحن نتحدث مع الأردنيين بشأن التغييرات الإقليمية (التي نريدها)

وخصوصا في وادي الأردن، وعلى الرغم من أن اقتراحاتنا ليست مقبولة بعد من جانب الأردن، إلا أن الولايات المتحدة لو أعلنت الآن أن موقفها هو انسحاب إسرائيل من كل الأراضي، بما في ذلك الأراضي في الحدود الأردنية، فإن هذا سيضع نهاية لاتصالاتنا. وحتى لا يكون هناك أي لبس، فقد سلم وزير الخارجية الإسرائيلي إلى وليم روجرز خطابا رسميا من حكومته تطلب فيه من الولايات المتحدة استبعاد القضية الأردنية، من جدول مباحثات مندوبي الدول الأربع الكبرى في نيويورك. وتسلم وليم روجرز الرسالة الرسمية الإسرائيلية بلا تعليق.

مواجهة في واشنطن

وكما هي العادة ذهب وزير الخارجية الإسرائيلي، ومعه سفيره إسحاق رابين، يستغيثان برجل إسرائيل في الإدارة الأمريكية - هنري كيسنجر-. وعقب أحد تلك الاجتماعات فوجئ السفير إسحاق رابين باستدعائه إلى اجتماع مع إيليو ريتشارد سون وكيل وزارة الخارجية الأمريكي، ويصف رابين ما حدث بقوله: «في الاجتماع وضعني ريتشارد سون أمام أمر واقع، فبغير التشاور معنا، قدمت الولايات المتحدة في نفس هذا اليوم وثيقة تفصيلية عن النزاع الأردني الإسرائيلي في مباحثات الدول الأربع الكبرى، وعلى الفور شعرت بشحوب حقيقي، فهذه الوثيقة الأخيرة تضاهي إلى حد كبير المشروع الأمريكي لحل الصراع بين مصر وإسرائيل، إنها تطالب إسرائيل والأردن بإجراء مباحثات تحت إشراف السفير يارنغ، وتتعهد بأن تكون الحدود بين الدولتين متطابقة بدرجة أو بأخرى مع خط الهدنة لسنة ١٩٤٩... وبالإضافة إلى ذلك فإن كلا الجانبين سيناقشان مستقبل القدس على أساس أن تبقى المدينة موحدة تحت إدارة بلدية واحدة، ولكن الأردن هو الذي سيطر على النصف الشرقي من المدينة».

ويعلق رابين قائلا: لم يكن هناك حتى مجرد تلميح من الاعتذار في لهجة ريتشارد سون، لقد استشظت غضبا وقلت له: لم يحدث مطلقا في أي من قراراتها (السرية) أن وافقت الحكومة الإسرائيلية على الانسحاب من الضفة الغربية... وحتى بالنسبة لسيناء ومرتفعات الجولان فإن انسحابنا إلى الحدود الدولية هناك شروط باتخاذ ترتيبات أمنية ترضى إسرائيل. ثم فوق هذا كله، كيف أفسر لحكومتى حقيقة أنه منذ يومين فقط كان وزير خارجيتنا يتحدث مع وزير خارجيتكم، ولم يتم إخطاره بمضمون هذه الوثيقة؟... إنني لا أستطيع أن أفهم هذا. كما أنني لا أستطيع أن أفسره لحكومتى!

قبل القمة العربية بيوم واحد

ولكن وزير الخارجية الإسرائيلي أبا إيبان كان يفهم ما يجري بأفضل من سفيره في واشنطن، فالسر في تلك العجلة الأمريكية لتوضيح الموقف هو أنه: «في واشنطن كانت هناك خشية من أن مؤتمرا للزعماء العرب في الرباط في ديسمبر سوف يتبنى قرارات معادية للمصالح الغربية. ولنسح الإضرار بالمصالح الأمريكية قررت وزارت الخارجية، في ظل وليم روجرز، أن تعمل لفترة استرضائية للعالم العربي».

والذي حدث هو أن الولايات المتحدة سلمت الأردن الجزء الخاص بها في يوم ١٩ ديسمبر، أي قبل المؤتمر بيوم واحد من انعقاد مؤتمر مقرر للقمة العربية في الرباط سيبدأ أعماله في اليوم التالي مباشرة. وفي نفس الوقت قامت الولايات المتحدة بإخطار الاتحاد السوفياتي بمضمون «الوثيقة الأردنية» ليقوم بإبلاغه إلى مصر، وعلى وجه السرعة. لأنه كانت هناك خشية أمريكية من أن تطالب مصر القمة العربية بالرباط بموقف أكثر صلابة في دعم مجهودها الحربي، خصوصا وأن النظاميين الجديدين في ليبيا والسودان مرتبطان مع مصر في علاقة وثيقة. ولم تكن التقديرات الأمريكية تعرف أن اجتماع القمة هذا في الرباط سيدخل في مناقشات جانبية جعلت عبد الناصر ينصرف بعد الجلسة الأولى مغادرا الرباط إلى ليبيا، وبانصراف عبد الناصر، لم تتخذ القمة قرارات على الإطلاق.

نص رسالة روجرز إلى محمود رياض

منذ يونيو ١٩٦٧ ظل الصدام بين السياستين الأمريكية والمصرية يدور حول نقطة جوهرية وأساسية: أن الولايات المتحدة تعرض على مصر انسحاب إسرائيل كاملا من سيناء وحدها، منفصلا عن مصير الأراضي العربية المحتلة الأخرى.. بينما مصر ترفض هذا الحل المنفرد وتصر على أن تأتي الضفة الغربية والجولان قبل سيناء في أية تسوية سلمية. وفي التاسع من نوفمبر ١٩٦٩ وقع أول تغيير جوهري في السياسة الأمريكية بسبب حرب الاستنزاف الدامية التي أعلنتها مصر ومضت فيها على رغم كل التضحيات. في هذا اليوم تلقت مصر رسالة من وزير الخارجية الأمريكي وليم روجرز. وكان أهم فقراتها هو أن الوزير الأمريكي يسجل رسميا لأول مرة استجابة حكومته لإصرار مصر على الربط بين سيناء والأراضي العربية المحتلة الأخرى.

إن هذه الرسالة، التي يتم نشرها هنا، أصبحت فيما بعد هي الخطوة الأولى لطرح ما سمي بعد ذلك «خطة روجرز».. ولم ترد مصر على هذه الرسالة بالقبول أو الرفض فوراً، إلى أن تلقت الأردن رسمياً الجزء الخاص بالضفة الغربية بعد شهر، وهو ما اعتبرته إسرائيل أكبر خيانة أمريكية لها منذ قيامها في الشرق الأوسط وهذه الرسالة تلقاها دونالد بيرجس الوزير المفوض ورئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة «حيث كانت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وأمريكا مقطوعة رسمياً منذ حرب يونيو ١٩٦٧».. وبدوره قام بنقلها فوراً إلى السفير صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية، وهي بالطبع موجهة إلى محمود رياض وزير الخارجية.. والنص الكامل لهذه الرسالة- الذي ينشر هنا لأول مرة- يمضي على النحو التالي:

«القاهرة- ج. ع. م.

٩ نوفمبر ١٩٦٩

صاحب السعادة،

لي الشرف أن أنقل إليك نص رسالة من وزير الخارجية تلقيتها في السابعة والنصف من صباح اليوم.

عزيزي السيد الوزير

«لقد طلبت من الوزير بيرجيس أن ينقل إليك من خلال السفير جوهر النص الحالي لما آمل في أنه سيكون ورقة عمل مشترك بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. لقد طلبت أيضاً من الوزير بيرجيس أن يشرح لحكومتمكم بالكامل المنطق الذي تقوم على أساسه ورقة العمل الأمريكية السوفيتية المشتركة».

«إنني أبعث إليك بهذه الرسالة المختصرة بروح المحادثة الصريحة التي جرت بيني وبينك في نيويورك، لقد شعرت خلال تلك المحادثة بأنه يوجد قدر كبير من التفاهم بيننا، خصوصاً بالنسبة للمصاعب التي تواجهها كل من حكومتينا في السعي إلى السلام في الشرق الأوسط، وإذا أدركنا جميعاً الفرص القائمة، فإنني على ثقة من إمكانية إحراز تقدم لصالح كل شعوب الشرق الأوسط، إنني آمل أيضاً بأنه سيكون من الممكن في الأيام المقبلة إقامة علاقات أفضل بين حكومتينا».

«وبناء على ذلك فإنني ألهج على أن تعطي حكومتكم لمشروع ورقة العمل الأمريكية السوفيتية أقصى درجات الاهتمام والتعاطف، إنها تمثل جهداً متوازناً أو محاولة ملاقة الاهتمامات الرئيسية لكلا الجانبين».

«إنى أعرف أنك مهتم بالكيفية التى سيمكن بها مراعاة الجوانب الأخرى من التسوية العربية الإسرائيلية الشاملة.. وأستطيع أن أؤكد لك بأنه لا توجد لدينا النية لمحاولة فصل الجانب المتعلق بـ ج. م. ع عن الأجزاء الأخرى.. فنحن نرى التسوية كما ترونها، تسوية متكاملة وشاملة، إن المطلوب هو استجابة إيجابية من حكومتكم للورقة الأمريكية السوفيتية المشتركة.. على أساس الفهم بأن القوى الكبرى تستطيع حينئذ المضى من غير إبطاء للتركيز على الجوانب الأخرى من التسوية، وكما تعرف، فلا يمكن أن يتم أى تطبيق إلا حينما يكون هناك اتفاق على كل عناصر المشروع المتكامل».

«اننى أتطلع إلى تلقى استجابتك»

المخلص

«توقيع» وليام روجرز

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الثانى عشر

القرارات المصرية

- نوعيات الطائرات الأمريكية أتاحت لإسرائيل تحويل المدنيين فى العمق المصرى إلى رهائن
- عبد الناصر يسافر سرا إلى موسكو ويهدد السوفيات بالاستقالة إذا لم يتحركوا فورا
- قرار لمجلس السوفيات الأعلى بحماية العمق المصرى
- ٢٦٤ طائرة إسرائيلية تهاجم مصر لمدة ٨ ساعات
- إسرائيل أعدت عام ١٩٦٨ خطة «الغزالة» التى طبقتها عام ١٩٧٣ فى «الدفرسوار».



حينما تشاورت الأردن مع مصر بشأن الجزء الخاص بها من خطة روجرز، كان من رأى مصر أنه طالما إن إسرائيل أعلنت رسميا رفض خطة روجرز فإنها بذلك تتجرد من قيمتها العملية، ولن توقف مصر حرب الاستنزاف إلا إذا كانت الولايات المتحدة أكثر جدية فى موقفها، ومثل تلك الجدية لا تتحقق حينما تسمح الولايات المتحدة لإسرائيل بمثل هذا الرفض العلنى الصريح، وعلى أية حال، وتلك كانت النصيحة المصرية. فإن على الأردن أن يستمر فى النقاش مع الأمريكيين.

إما بالنسبة لإسرائيل فإن السفير إسحاق رابين حينما بعث إلى حكومته بمضمون «الوثيقة المصرية» و«الوثيقة الأردنية» فإنه اقترح على حكومته فى نفس الوقت ألا تدخل مع الحكومة الأمريكية فى مناقشة تفصيلية حول الورقتين، وبدلا من ذلك فإنه يقترح أن تبعث رئيسة الوزراء جولدا مائير برسالة موجزة إلى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون. تعبر فيها عن استغرابها مما يجرى ورفضها الورقتين جملة وتفصيلا، وكذلك فإن السفير يقترح على حكومته شن حملة إعلامية متصاعدة داخل الولايات المتحدة ضد وزير الخارجية روجرز وتلك المبادرة الأمريكية التى تعرف باسم «خطة روجرز».

وفيما بعد زعم كيسنجر فى مذكراته أن روجرز لم يحصل على موافقة سابقة على خطابه من نيكسون أو منه هو، ففى اليوم (٩ ديسمبر ١٩٦٩) على الأقل، اغتصب روجرز حق كيسنجر فى اغتصابه، وكان كيسنجر مقتاظا وغاضبا ومهتاجا بينما هو ومساعدوه يقرأون سطورا سطورا التقرير الاخبارى عن خطاب روجرز بينما يتوالى وروده على آلات التيكروز فى البيت الأبيض.

وقد يكون هذا كله حركات مسرحية (من كيسنجر). إن (جوزيف) سيسكو يتذكر أن خطاب روجرز تم إرساله إلى البيت الأبيض قبل الإدلاء به، وأن كيسنجر لم يوافق على نص الخطاب فحسب، بل إنه وضع تعليقات واقتراحات للتغيير بشأن المضمون. ويضيف سيسكو قائلا: إننى لا أعرف ما إذا كان كيسنجر لم يعرض الخطاب على الرئيس مقدما بحيث إنه حينما تأتى الاحتجاجات المتوقعة من إسرائيل - حيث كان توقيت الإدلاء بالخطاب متروكا لروجرز - فإن كيسنجر يستطيع أن يقترح على نيكسون حينئذ القول بأن روجرز أدلى بخطاب بغير موافقته المسبقة. ومثل تلك المناورة تفسر أداء كيسنجر المتقن

أمام مساعديه عند ورود التقارير الأولى عن الخطاب وفشله فى التسليم فى مذكراته بأن مقترحات روجرز الأساسية، إن لم يكن توقيتها، قد حصلت على بركاته. والواقع أن كيسنجر كان أول من يعرف أن خطة روجرز تلك قد حصلت على الدعم الكامل من نيكسون، وسوف تؤكد الأحداث فيما بعد التزام الولايات المتحدة بها رسمياً واستمرار الرئيس نيكسون فى بلورتها لكى تقترب من مفهوم التسوية الشاملة لأنه الأكثر تمثيلاً مع حماية المصالح الأمريكية بالشرق الأوسط.

كيسنجر: لا تهاجموا الرئيس

وفى حينها ذهب السفير إسحاق رابين إلى كيسنجر يستشير، ولأن مشورات كيسنجر المطلوبة ستتم بشكل غير رسمى، وربما ضد الموقف الرسمى الأمريكى ذاته فقد طلب رابين الانفراد بكيسنجر بعيداً عن مساعديه، وقال له كيسنجر: «إن ما حدث قد حدث، وأصبحت الوثيقتان (المصرية والأردنية) ملزمتين للإدارة الأمريكية، ولكننى أتوسل إليك: لا تهاجموا الرئيس (نيكسون) تحت أى ظرف من الظروف! إن هذا سيكون معناه مواجهة مع الولايات المتحدة، وهو آخر شئ تستطيع إسرائيل أن تتحمله، لقد أعطى الرئيس لروجرز يداً مطلقة، ولكن، طالما أن الرئيس لم يلتزم علناً، بعد، بهذه الخطة. تظل أمامكم فرصة للعمل. إما كيف تتصرفون، فهذا شأنكم، ماذا تقولون لروجرز: أو ضده، هو أيضاً أمر عليكم أن تقرروه، ولكنى مرة أخرى أنصحكم: لا تهاجموا الرئيس نيكسون!». وبالطبع كان إسحاق رابين يبعث إلى حكومته تلك المعلومات أولاً بأول: «بأسرع ما توقعت جاء الرد من القدس: تعال إلى إسرائيل فوراً، لقد غادرت واشنطنون فى ١٠ ديسمبر، وخلال أسبوع عدت إلى واشنطن بموافقة (من الحكومة) على شن حملة علنية ضد «خطة روجرز» ورسالة من مائير إلى الرئيس نيكسون».

لكن رحلة إسحاق رابين العاجلة إلى إسرائيل فعلت أيضاً شيئاً آخر. لقد رجحت كفة ذلك الفريق الإسرائيلى الذى يرى أن وقف هذا التغيير فى السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط لن يتم إلا بوقف حرب الاستنزاف المصرية. ووقف الحرب لن يتم إلا بتوجيه ضربات ساحقة ترغم عبد الناصر على إعادة التفكير فى جدوى استمرار الحرب، حتى لو كان هذا يعنى أن تتحمل إسرائيل مخاطر جديدة كانت تتردد حتى الآن فى الإقدام عليها. لقد جاء رابين إلى الحكومة الإسرائيلية للتشجيع ضد مصر من دائرة يعرفها بشكل وثيق.

وفى تلك النقطة يقول أبا أيبان: «لقد كان العنصر الحاسم فى المناقشة هو حماس سفيرنا فى واشنطن للمدخل المتشدد (فى التعامل مع الأزمة القائمة). إن (إسحاق رابين) كان يمتطنا ببرقيات تحثنا على التصعيد (العسكرى) ضد مصر وباقى الدول العربية، وكان من الواضح أن هناك بعض الناس فى واشنطن (ويقصد هنرى كيسنجر ووكالة المخابرات المركزية) قد يكون رد فعلهم متعاطفا مع هذا السلوك، إن هذا التحليل كان مغريا، ولكننى لم أكن مؤمنا بأنه يتمشى مع الحقائق الدولية، وأدت معارضتى لتحليل رابين بعد ذلك إلى سحابة من التوتر فى السياسات الداخلية استمرت لبعض الوقت. مع ذلك فإن مناصرة رابين القوية ساعدت بالتأكيد فى ضمان أغلبية (داخل مجلس الوزراء) تؤيد القيام بهجمات جوية أكثر تركيزا وكثافة عبر القناة».

ولكن الأمر فى هذه المرة كان يتجاوز هذا النطاق.. كثيرا.

٢٦٤ طائرة إسرائيلية فى يوم واحد

فى ليلة ٢٣ / ٢٤ ديسمبر (١٩٦٩) قامت قوات الكوماندز الإسرائيلية المحمولة جوا بطائرات الهليكوبتر بغارة ناجحة على محطة رادار مصرية تقع خلف وحدات النسق الأول للقوات المصرية بخليج السويس عند رأس غارب. وقامت بفك الجهاز ونقله كاملا بعد مقتل أفراد طاقمه، مما أحدث ثغرة واسعة فى الدفاع الجوى المصرى. أصبح ممكنا لإسرائيل بعدها اختراق المجال الجوى المصرى والقيام بالهجوم الشامل الذى يستهدف «تدمير الجيش المصرى، مرة واحدة وحاسمة توقف تماما ضغوط الحرب على الإدارة الأمريكية. وفى ٢٥ ديسمبر مباشرة، وكان عبد الناصر موجودا فى ليبيا، قامت إسرائيل بسلسلة مستمرة من الغارات الجوية الكثيفة ضد مصر استخدمت فيه ٢٦٤ طائرة، بينما كان مجموع الطائرات التى استخدمتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ لا يتجاوز ٢٢٠ طائرة. وفى ذلك اليوم استمرت الغارات الجوية الإسرائيلية على المواقع المصرية المختلفة، من الثامنة صباحا حتى الرابعة والنصف عصرا بلا توقف، قاذفة بآلاف الأطنان من القنابل الزمنية وغير الزمنية. واعتبارا من ٧ يناير سنة ١٩٧٠ بدأت طائرات الفانتوم الإسرائيلية بشن موجة أكبر كثافة وطموحا من الغارات الجوية فى العمق المصرى، مُسقطه قنابلها فى مناطق تبعد عن القاهرة مسافة أقل من ١٢ ميلا، فيما اعتبر إسحاق رابين أن «هذا التاريخ هو نقطة تحول».

فمن يومها فصاعدا بدأت الإدارة الأمريكية تتحرر تدريجيا من الشعور بالاكبتاب لكونها تساند الطرف الخاسر في الشرق الأوسط ونتيجة لذلك تخسر مكانتها في المنطقة. وحينما دعانى (جوزيف) سيسكو إلى الغداء فى ١٢ يناير لم يكن فى موقف يسمح له بأن يقر بأن عمليات إسرائيل الجوية هى محل ترحيب مماثل فى الولايات المتحدة، إنه لم يكن محتاجا أن يقول، فهو يعرف أننى أعرف.

ومن حيث إن هذا التصعيد الإسرائيلى الشامل، وبسلسلة الغارات الجوية فى العمق المصرى التى بدأت فى ٧ يناير ١٩٧٠ كانت نقطة تحول، فهو بالفعل أصبح كذلك، وما يقصده رابين هو أن المصريين أصبحوا شبه عراة من وجود نظام فعال للدفاع الجوى. والطائرات الإسرائيلية تخترق الأجواء المصرية بكثافة وتركيز ونجاح يضاعف حجم الخسائر المصرية، ومن هنا أصبح على إسرائيل أن تهنى نفسها، فقد تجمد الحديث عن خطة روجرز، وتدعيم موقف كيسنجر داخل الإدارة الأمريكية من أن لغة القوة ضد مصر وعبد الناصر هى التى ستوقف التدهور فى المكانة الأمريكية بالشرق الأوسط. هذا صحيح جزئيا، لكن القصة لم تتوقف عند هذا الحد، فالحرب تجرى بين طرفين. وإذا كان هذا هو ما يريده طرف وينجح فيه مبدئيا. فإن الأمر يتوقف على نوع ردود الفعل التى سيقوم بها الطرف الآخر.

اجتماعات عسكرية سرية لعبد الناصر

وبعكس ما توقع إسحاق رابين وهنرى كيسنجر وفريقاهما داخل الحكومتين الإسرائيلية والأمريكية، فإن فكرة الرضوخ للأمر الواقع لم تخطر على بال جمال عبد الناصر والشعب المصرى مطلقا.

فأولا: بادر جمال عبد الناصر إلى عقد ثلاث اجتماعات سرية على مستوى عال فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى أيام ٦ و ٧ و ١٠ يناير (١٩٧٠) وحضر المستشارون السوفييات الاجتماعيين الأخيرين منها. وكان جمال عبد الناصر يريد فى تلك الاجتماعات أن يستمع صراحة وبتفصيل إلى قادة القوات المسلحة وهم يشرحون موقف قواتهم، وسألهم عبد الناصر صراحة: هل فى الإمكان الاستمرار فى حرب الاستنزاف. أو أنها أصبحت سلاحا ذا حدين بعد التصعيد الذى تستغل فيه إسرائيل تفوقها الجوى؟.

وكان تقدير الرئيس جمال عبد الناصر أن إسرائيل تعتقد أننا سنعبّر القناة المصرية فى صيف ١٩٧٠. وهدفهم هو منع القوات المسلحة من عبور القناة. وهذا لا يأتى إلا بالسيطرة

الجوية لإسرائيل وضرب وسائل الدفاع الجوي في النسق الأول والنسق الثاني ، ثم المطارات وبذا يضمنون عدم عبور القوات المصرية القناة.

من هنا ففي خلال سنة ١٩٦٩ وحدها قامت إسرائيل «بحوالى ٢٥٠٠ طلعة جوية لضرب وسائل الدفاع الجوي وقواته وقوات الجبهة» فى مقابل «٢٩٠٠ طلعة جوية للحماية قام بها الطيران المصرى ، وكانت خسائر مصر من الطائرات ٢٣ طائرة فى مقابل ١٤ طائرة للعدو».

ثم «استمع الرئيس جمال عبد الناصر خلال هذه الاجتماعات الثلاث إلى جميع القوات المسلحة ، حصل منها الرئيس بنفسه على استعداد القوات المسلحة فى تصعيد العمليات العسكرية بروح قتالية عالية لأن الظروف قد تضطرننا إلى العبور (الشامل) هذا العام ، كما انتهى الرئيس إلى ضرورة الضغط على الاتحاد السوفياتى لاستكمال النقص المزمع فى الدفاع الجوي ووسائله ومعداته ، خاصة الصواريخ ، وكذا استكمال عدد الطيارين والطائرات المتطورة وطائرات الردع».

إسرائيل تتوقع عبورا مصرية

والواقع إنه منذ سنة ١٩٦٨ «بدأ أعضاء القيادة (العسكرية) الإسرائيلية يضعون فى اعتبارهم بشكل جاد تصور الهجوم المصرى» الشامل لتحرير سيناء بقوة السلاح ، لقد أدركت إسرائيل مبكرا أن «الخطة المصرية كانت تقوم على أن يؤدى قصف المدفعية إلى تدمير أكبر ما يمكن من خط بارليف فى المرحلة الأولى من حرب الاستنزاف ، وبمجرد أن يتم تدمير التحصينات الإسرائيلية بدرجة كبيرة ، تقوم المرحلة الثانية على سلسلة من حالات العبور بواسطة الكوماندوز المصريين لفترات قصيرة من الوقت ، والمرحلة الثالثة تتضمن عمليات أوسع نطاقا فى العمق بامتداد القناة ، بينما المرحلتان الرابعة والخامسة ستكونان عملية عبور شاملة بهدف احتلال قطاعات الضفة الشرقية لقناة السويس».

وبطبيعة الحال كان هدف إسرائيل فى كل مرحلة من حرب الاستنزاف هو إحباط مصر حتى لا تنتقل إلى المرحلة التالية فى تصعيد الحرب ، مع ذلك ، وبرغم الخسائر فى المعدات والأرواح ، كان التصميم المصرى مستمرا ومتزايدا فى الخطط الموضوعة.

وهكذا فمنذ سنة ١٩٦٨ أصبحت إسرائيل متأكدة تماما من حتمية الهجوم المصرى الشامل لتحرير سيناء بمجرد استكمال القوات المسلحة لاستعداداتها. من هنا : وقاد

الجنرال جافيتش القوات الإسرائيلية ضمن ألعاب الحرب (الافتراضية) بينما الميجور جنرال موردخاي جور الذى عين فيما بعد رئيسا لأركان حرب القوات الإسرائيلية فى أعقاب حرب يوم كيبور، تصرف كقائد (مفترض) للقوات المصرية، وفى تلك الألعاب قام جور بالعبور بطول الجبهة كلها، متقدما على كل المحاور الرئيسية، وناشرا القوات المحمولة بطائرات الهليكوبتر فى العمق حيث يوجد خطة الجبهة الإسرائيلية- بالضبط كما فعل الجيش المصرى فعلا بشكل محدود بعدها بخمس سنوات.

إن إسرائيل إذن بدأت منذ ١٩٦٨ تتصور الشكل الذى سيتخذه الهجوم المصرى الشامل فى سيناء، حتى تضع مقدما الخطط اللازمة لمواجهة حينما يحدث.

مناورات بدون جنود

ومن الملفت أن مصر كانت هى أيضا تفعل نفس الشيء، فحينما قامت قيادات القوات المسلحة المصرية بوضع خططها الأولى لعبور قناة السويس فى هجوم شامل لتحرير سيناء، كان لا بد أن تتصور أيضا كيف سيأتى رد الفعل الاسرائيلى المحتمل حتى تتحسب له مقدما، إن هذا هو ما يسميه العسكريون «مناورات بدون جنود». وهى تعنى أن تنقسم القادة إلى فريقين، فريق يمثل الطرف المهاجم ويتصرف بإمكانياته الفعلية، وفريق يمثل الطرف المدافع ويتصرف بما يعلمه عن إمكانياته الفعلية متقمصا أفكاره وأساليبه، وهكذا يدخل الاثنان فى مباراة عقلية هدفها أن يتنبه الطرف الأول إلى نقاط ضعفه الحقيقية، ونقاط قوة العدو المحتملة، فتراجع الخطط الموضوعة حينئذ لمواجهة أقصى قدر من المفاجآت والاستعدادات لها مسبقا.

فى مرحلة تالية (٧٠- ١٩٧١) وضع القادة المصريون تصوراتهم الفعلية للكيفية التى سيأتى بها رد الفعل الاسرائيلى عسكريا ضد الهجوم المصرى الشامل حينما يتقرر تنفيذه، إن إسرائيل تختار أضعف النقاط فى الجبهة الممتدة بطول ١٧٠ كيلو مترا بطول قناة السويس، لكى تشق ثغرة تحاول منها العبور إلى الضفة الغربية لقناة السويس. ثم تلتف محاولة ضرب الجيش المصرى من خطوطه الخلفية. ويومها أبلغ المستشار السوفياتى الذى كان يحضر تلك المناورات، أو البروفة العملية، بمعلومات حصل عليها السوفيات من وجود خطة إسرائيلية لهذا الغرض فعلا. كان اسمها منذ سنة ١٩٦٨ «خطة الغزالة»... ثم تعدلت فيما بعد إلى «الغزالة - ٢».

وكما هو معروف فإن هذا الذى قامت به إسرائيل فعلا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ووقتها لم تواجه مصر تلك الثغرة الإسرائيلية فى الحال كما هو مقرر، لأن القوات المخصصة لتلك المهمة وتدربت عليها عدة مرات كان قد جرى التفريط فيها فى مهمة عسكرية أخرى!

رحلة سرية إلى موسكو

لكننا الآن ما نزال فى شهر يناير سنة ١٩٧٠ ، وكل من الطرفين ، بعد أن استقرأ نوايا الآخر ، أصبح يريد منعه من التطور إلى مرحلة تالية ، لقد تأكدت إسرائيل بالفعل من نوايا المصريين . وكل تركيزها الآن هو على أن ترغم المصريين على أن ينكفئوا على أنفسهم عسكريا ، فلا يفكروا أبدا فى الانطلاق إلى مرحلة الهجوم الشامل الأخير . وفى تلك اللحظة (يناير ١٩٧٠) أصبحت يد إسرائيل تبدو هى العليا بشكل واضح ، خصوصا ضد أجهزة الدفاع الجوى المصرى ، بما جعل جمال عبد الناصر يعقد اجتماعاته السرية الثلاث مع قادة القوات المسلحة لكى يتأكد أولا من صلابة تصميمهم على استمرار حرب الاستنزاف وتطوراتها.

بعدها قرر جمال عبد الناصر على الفور أن يطير إلى الاتحاد السوفياتى فى رحلة سرية . هى التى قدر لها فيما بعد أن تصبح نقطة التحول الفاصلة فى الشرق الأوسط . وليس «نقطة التحول» التى يهنئ سفير إسرائيل فى واشنطن نفسه عليها وهو يتناول غدائه مع جوزيف سيسكو يوم ١٢ يناير.

واستمرت رحلة عبد الناصر السرية إلى موسكو من ٢٢ إلى ٢٥ يناير ١٩٧٠ ، ومن الجلسة الأولى حدد جمال عبد الناصر مطالبه للقادة السوفيات مقررا إنه يريد ردا قاطعا وفوريا الآن . وقبل أن يعود إلى القاهرة . وبمجرد أن انتهى عبد الناصر من حديثه ، أبدى ليونيد بريجنيف على الفور تخوفه من أن تؤدى بعض الخطوات التى يطلبها جمال عبد الناصر إلى مضاعفات دولية خطيرة أهمها احتمال وقوع مواجهة حادة بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة.

عبد الناصر يهدد بالاستقالة

وعند هذا الحد : «تعهد الرئيس عبد الناصر تصعيد المباحثات وتوتيرها . لدرجة أنه هدد أمام القادة السوفيات بترك الحكم لزميل آخر يمكنه التفاهم مع الولايات المتحدة

الأمريكية، إذ إن الشعب فى مصر يمر الآن بمرحلة حرجة، فإما نسلم بطلبات إسرائيل.. وإما أن نستمر فى القتال، وإن دفاعنا الجوى فى الوقت الحاضر لا يتمكن من منع غارات إسرائيل على العمق المصرى، واسترسل الرئيس عبد الناصر فى طلب وحدات كاملة من الصواريخ سام- ٣ بأفرادها السوفيت وأسراب كاملة من الميج- ٢١ المعدلة، بطيارين سوفيت، وأجهزة رادار متطورة للإنذار والتتبع بأطقم سوفيتية، وبرر الرئيس عبد الناصر طلبه هذا بأن الزمن ليس فى صالحنا لأن تدريب الأطقم المصرية والطيارين المصريين على الأسلحة الجديدة سوف يستغرق وقتا طويلا، كما أن مدى عمل الطائرات القاذفة المقاتلة الموجودة لدينا لا يمكنها من الوصول إلى عمق إسرائيل مثل طائرات سكاي هوك والفانتوم التى تضرب عمق مصر حاليا.

إن ما يطلبه عبد الناصر فى هذه المرة شىء بسيط تماما بقدر أهميته الكاملة، ففي يونيو ١٩٦٧ طلب عبد الناصر من السوفيات المشاركة فى حماية العمق المصرى حتى يتفرغ العسكريون المصريون لإعادة بناء قواتهم المسلحة، ويومها سحب السوفيات موافقتهم على طلبه بعد ٢٤ ساعة فقط، ولم يعترض عبد الناصر لأن حجم الهزيمة كان ما زال ماثلا للعيان، أما الآن، فى سنة ١٩٧٠، فهناك جيش مصرى آخر غير ما يتشكك فيه السوفيات فى سنة ١٩٦٧، والعسكريون المصريون مصممون على استكمال مهمتهم لتحرير الأرض، ولكن ماذا عن حماية المدنيين فى العمق المصرى؟ إن الولايات المتحدة. من خلال نوعيات الطائرات التى أمدت إسرائيل بها. قد أتاحت لإسرائيل عمليا تحويل المدنيين فى العمق المصرى إلى رهائن تتوحش ضدهم كلما زاد الضغط العسكرى المصرى عليها فى جبهة القتال، والآن.. إما أن تمتلك مصر نفس المقدرة الابتزازية ضد المدنيين فى إسرائيل بأن يعطيها السوفيات طائرات مقاتلة قاذفة طويلة المدى مثل الفانتوم الأمريكية.. وأما أن تمتلك مصر مستوى من الدفاع الجوى يوفر حماية كاملة للمدنيين فى العمق المصرى، هذا.. أو ذاك.. أو كلاهما معا، والمهم، أن جمال عبد الناصر لن يعود إلى القاهرة إلا بقرار سوفيتى واضح ومحدد.. يستطيع هو على أساسه أن يشكل سياسات المستقبل.

اجتماعان للقيادة السوفيتية

وكان القرار الذى يطلبه عبد الناصر هو على مستوى من الخطورة بحيث لا يمكن أن ينفرد باتخاذ «الترويك» السوفيتية فى الاجتماع.. ليونيد بريجنيف السكرتير العام، واليكسى

كوسيجين رئيس الوزراء، ونيكولاى بودجونى رئيس الدولة، وهكذا، فخلال الساعات القليلة التالية جرى استدعاء مجلس السوفييت الأعلى، وكذلك اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الحاكم، إلى اجتماعين طارئین لاتخاذ أول قرار من نوعه منذ الحرب العالمية الثانية. وبعد ٢٤ ساعة من ذلك اللقاء المتوتر العاصف بين عبد الناصر والترويكاء، السوفيتية الحاكمة. «دعى الوفد المصرى لجلسة مباحثات صباح يوم ٢٥ يناير ١٩٧٠ حيث قرر الرئيس بريجنيف أمام الحاضرين موافقة اللجنة المركزية ومجلس السوفيات الأعلى على طلب الرئيس عبد الناصر. وقال إنها أول مرة يخرج فيها جندى سوفيتى من الاتحاد (السوفيتى) إلى دولة صديقة منذ الحرب العالمية الثانية».

قرار مجلس السوفيات الأعلى

وقرأ بريجنيف قرار مجلس السوفيات الأعلى وينص على: أولا: إمداد مصر بفرقة سوفيتية كاملة للدفاع الجوى تتكون من ٣٢ كتيبة صواريخ سام-٣ بأجهزتها ومعداتھا وأطقمھا السوفيتية، على أن تصل إلى موانئ مصر فى خلال شهر واحد، وأن تعمل تحت القيادة المصرية لأغراض الدفاع الجوى عن العمق المصرى.

ثانيا: إمداد مصر بخمس وتسعين طائرة ميج-٢١ معدلة، بأطقم سوفيتية كاملة لها من القيادة والطيارين والفنيين. وكذلك بأجهزتها ورادارتها للإنذار والتوجيه، وتوضع هى الأخرى تحت القيادة المصرية للمساهمة فى الدفاع الجوى عن العمق المصرى، على أن تصل إلى مصر خلال شهر واحد، وذلك بالإضافة إلى خمسين طائرة سوخوى-٩ وأجهزة أخرى. ثالثا: إمداد مصر بأربعة أجهزة رادار متطورة طراز «ب-١٥» لرفع كفاءة الإنذار الجوى فى شبكة الدفاع الجوى المصرى.

واتفق جمال عبد الناصر مع السوفيات بعد ذلك على شيئين، فمهمة الوحدات السوفيتية المقاتلة تقتصر فقط على حماية العمق المصرى، وذلك لفترة مؤقتة تعود بعدها إلى الاتحاد السوفياتى بمجرد أن تنتهى تدريبات الأطقم المصرية التى تحل محلها.

فى نفس الوقت تلتزم مصر بإقامة مواقع الكتائب الجديدة من صواريخ سام-٣. وهى ٣٢ موقعا فعليا بخلاف المواقع البديلة والمواقع الهيكلية للتمويه، خلال أربعين يوما كحد أقصى. كما أن السوفيات والمصريين سيعملون فورا لتنفيذ خطة تكفل أقصى درجات السرية بالنسبة لهذا التطور الجديد وخطواته العملية.

الفصل الثالث عشر

قنبلة ذرية على مصر

- وزير خارجية إسرائيل: إننا نعمل بتركيز شديد لإسقاط عبد الناصر
- إنذار أمريكي للقاهرة: وقف حرب الاستنزاف في الحال أو يتلقى الاقتصاد المصري ضربات جوية قاضية
- من رئيس الولايات المتحدة إلى رئيس الاتحاد السوفيتي: سنستمر في تقديم الأسلحة إلى إسرائيل.. ومصر هي المسئولة
- من رئيس الاتحاد السوفيتي إلى رئيس الولايات المتحدة: سنضطر إلى مد الدول العربية بما يمكنها من الرد على المعتدى المتغطرس
- فرنسا تختلف مع أمريكا وتدين الغارات الإسرائيلية ضد مصر



بمجرد عودة عبد الناصر إلى القاهرة من موسكو بعد ظهر ٢٥ يناير دُعى مجلس الوزراء إلى جلسة طارئة في اليوم التالي. حيث تم اعتماد ١١٠ ملايين جنيه من بند الطوارئ ليبدأ فوراً بناء التجهيزات الجديدة، بمتوسط إنفاق ثلاثة ملايين جنيه يومياً. فيما أصبح سباقاً مع الزمن من ناحية، وسباقاً لضمان السرية من ناحية أخرى.

ولم يكن الأمر يتعلق بمجرد مواقع وتجهيزات جديدة. وإنما هذا كله يجري وسط غارات جوية إسرائيلية مركزة، واستطلاع جوى لا يتوقف. وآلاف من المهندسين والجنود والعمال يتم حشدهم، ودفعات جديدة منهم تحل محل من يستشهدون، ومئات أخرى من الاحتياجات، لدرجة أن إنشاء النطاقات الوقتية بين القاهرة وغرب القناة احتاج إلى ملايين من شكاثر الرمل اضطرت مصر إلى استيرادها من الهند وباكستان والصومال في وقت واحد وبسرعة، على حد تعبير الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية.

وبالرغم من اتخاذ وسيلة الأمان فى الإنشاءات.. وزيادة طلعات المظلات الجوية من طائرات ميج-٢١ إلا أن العدو اكتشف اقتراب النطاقات الدفاعية للصواريخ سام-٣ إلى منطقة غرب القناة فبدأ يركز على ضرب المواقع تحت الإنشاء التى تبنى بالاسمنت المسلح أو الحوائط مسبقة الصنع التى كانت تنقل من مصانع غرب القاهرة. وكانت قنبلة واحدة زنة ١٠٠٠ رطل تلقى على الموقع قبل تجفيفه فتبطل استخدام الموقع نهائياً ونضطر إلى اختيار موقع أخسر قريب ونبدأ فى إنشاء موقع جديد، وبدأ الصراع بين لواءات الصواريخ سام ٣ والمدفعية ٢٣ م... وطيران العدو فى معارك تحولت بعد ذلك إلى معارك صواريخ سام-٣.

وفيما بعد. حينما ستظهر النتائج عملياً فى ميدان القتال، فإن التقييم الإسرائيلى سيصبح هو أنه: «فى تلك النقطة جاءت نقطة تحول كبرى فى الشرق الأوسط من وجهة النظر التاريخية بزيارة ناصر السرية إلى موسكو. وما تلاها من وصول معدات وأطقم سوفيتية إلى مصر».

أما قبل أن تظهر تلك النتائج. فإن إسرائيل مستمرة فى غاراتها فى العمق المصرى بطائرات الفانتوم الأمريكية دون عقاب مصرى مؤثر. بينما المسئولون الإسرائيليون يعلنون صراحة أن هدفهم هو إسقاط نظام جمال عبد الناصر فى مصر.

وفى الثالث من يناير ١٩٧٠ أعلنت جولدا مائير أنها لا ترى فرصة للسلام ما دام عبد الناصر فى الحكم، وبالتالى فان إسقاط عبد الناصر والنظام كله الذى يمثله يجب أن يسبق أى حديث عن السلام.

وشرح أبا اييان بما يفيد أن «بعض الجهات الأمريكية- يقصد كيمسجر ووكالة المخابرات المركزية- تعاتبنا على موقفنا السلبي فى الوقت الحاضر وتقايسنا عن العمل الايجابى فى مصر، وقد طلبوا منا أخيرا أن نركز جهودنا فى الفترة المقبلة على ما يؤدى إلى إسقاط عبد الناصر شخصيا».

وكتبت جريدة «النيويورك تايمز» الأمريكية فى ١٨ يناير أن إسرائيل قررت إعطاء أولوية للحرب النفسية (ضد مصر) وأن الهدف من هذه الحرب النفسية مزدوج: أولا- إيصال الحرب إلى الشعب المصرى.. وثانيا- تقويض القيادة المصرية وخلق انقسامات داخلية مما يؤدى إلى نتائج ملائمة بالنسبة لإسرائيل.

وفى حديث دار بين أحد الصحفيين الغربيين وأبا اييان وزير الخارجية الإسرائيلى سأله الصحفى عن سبب تركيز إسرائيل وأمريكا على جمال عبد الناصر شخصيا؟.. فقال أبا اييان: «إننا نعمل بتركيز شديد لإسقاط عبد الناصر لأننا مقتنعون بأنه بعد سقوطه سيهدأ الموقف مع مصر وسيتغير لصالحنا».

وفى ٢٩ يناير ١٩٧٠ نشرت النيويورك تايمز الأمريكية تصريحاً جديداً لموشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يقول فيه: «إن أحد أهداف الغارات فى العمق ضد مصر هو مواجهة المصريين بحقيقة الحرب، إننا نقول للمصريين: الآن انظروا هنا، إن قادتكم لا يفعلون بكم أى خير». ونفس النغمة كررتها جولدا مائير رئيسة الوزراء فى تصريحها لجريدة «لوموند» الفرنسية يومى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٠.

تحذير أمريكى لمصر وسوفيائى لواشنطن

وفى الثانى من فبراير وجهت الولايات المتحدة تحذيراً ضمنياً إلى مصر، ورد فى رسالة من الحكومة الأمريكية سلمها دونالد بيرجس القائم بأعمال رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة، حيث توجه الحكومة الأمريكية نصحتها إلى القاهرة بأن تعلن «فى الحال» قبولها بوقف إطلاق النار كما حدده قرار مجلس الأمن فى يونيو ١٩٦٧، وفى هذه الحالة يجب على مصر «ألا تربط قرار وقف إطلاق النار بالانسحاب الإسرائيلى». أما إذا لم تقبل مصر

ذلك «فإن الغارات الإسرائيلية في العمق المصري سوف تستمر، وربما بصورة أكبر مدى وبتزايد ليشمل أهدافا تضر بالاقتصاد المصري بصورة أساسية». ويومها تجاهلت القاهرة تماما هذا التحذير الأمريكي، وبالطبع لم تفكر لحظة واحدة في الأخذ «بالنصيحة» الأمريكية بقبول وقف إطلاق النار بلا قيد أو شرط. لقد كان لدى القاهرة تفسيرها الخاص لتلك الرعونة الأمريكية المفاجئة. فقبل يومين اثنين - أى في ٢١ يناير ١٩٧٠ - وجه رئيس الوزراء السوفيتي اليكسي كوسيجين رسالة غير معلنة إلى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون اتسمت لهجتها بتحذير غير مألوف من السوفيات من «استمرار إسرائيل في مغامراتها» بقصف أراضي مصر والدول العربية الأخرى، لأن هذا يعنى أن الاتحاد السوفيتي «سوف يكون مضطرا إلى العمل على أن يكون لدى الدول العربية الوسائل التي تمكنها من الرد على المعتدى المتغطرس». وفي نفس الوقت بعث كوسيجين برسالتين مشابھتين إلى كل من الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو ورئيس الوزراء البريطاني هارد ويلسون. وفي تلك الرسائل غير المعلنة، والتي يحتوى هذا الكتاب على صور لها، كان السوفيات يبلغون الولايات المتحدة بأن ما تفعله إسرائيل قد وصل إلى النقطة التي ستجعلهم «مضطرين» إلى العمل، وبالطبع، سيجنى رد نيكسون بلهجة مماثلة محبذا العودة إلى وقف إطلاق النار والحد من التسلح في المنطقة وبأن الولايات المتحدة «لن تتردد في إمداد الدول الصديقة بالأسلحة» إذا اختل التوازن العسكري النسبي في المنطقة.

فرنسا ترد وتدين الغارات

جاء الرد البريطاني على الرسالة السرية التي بعث بها اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي متماشيا مع الموقف الأمريكي من تحميل مصر مسئولية حرب الاستنزاف الدائرة في الشرق الأوسط، بينما جاء رد الرئيس الفرنسي مختلفا مع الموقف الأمريكي البريطاني، وجاءت رسالة الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو الجوابية على النحو التالي: «السيد الرئيس

«أشكرك على رسالتك التي تفضلت بإرسالها إلى في ٢ فبراير وتتعلق بتفاقم الموقف في الشرق الأوسط.

«اننى أشاركك القلق لتوسيع العمليات العسكرية في هذه المنطقة من العالم. إن هذا يؤدي فقط إلى إشعال المناخ وإعاقة السعى إلى حل سلمى كانت فرنسا تسعى إليه دائما في نشاطها».

«إن انتهاكات الهدنة أيا كانت تتصادم مع القرارات التي تبناها مجلس الأمن كمرحلة أولى في ٦ و ٧ و ٩ يونيو ١٩٦٧، والأمر لا يحتاج إلى القول بأن هذه القرارات تظل قائمة وتمثل أساسا لا غنى عنه بالنسبة لاي تسوية حقيقية».

«لقد عبرت حكومتى، كما عبرت حكومتكم، مرات عديدة عن أسفها من حقيقة أن تلك القرارات حظيت باهتمام قليل في المنطقة ذاتها، لقد أشرنا بشكل متكرر إلى أن انتهاكات الهدنة قد تؤدي إلى تصعيد للعنف لا يمكن التحكم فيه، وكذلك إلى تهديد السلام، وفي كل مناسبة أكدنا على الحاجة الماسة للحل السياسى».

«إننى أؤمن بأن الموقف الحالى يدل على ضرورة الاستمرار بتصميم فى الجهود التى يقوم بها الأعضاء الدائمون فى مجلس الأمن بنيويورك من أجل وضع مشروعات مشتركة حول شروط تنفيذ قرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ (القرار رقم ٢٤٢)، وفى الحقيقة فإنه من الضرورى استئناف المهمة التى أناطها القرار بممثل السكرتير العام للأمم المتحدة فى المستقبل الوشيك».

١٠٠ طائرة ميج لليبيا

وفى تلك اللحظة كان هناك داخل الإدارة الأمريكية من يرى أن التوازن العسكرى اختل بالفعل- ليس بسبب المدى الذى سيتطور إليه الدفاع الجوى المصرى.. وهو أمر لم يكن قد عرف بعد- ولكن بسبب صفقة عسكرية شديدة الأهمية أبرمتها فرنسا- وليس السوفيات. فى نفس الشهر يناير هذا سنة ١٩٧٠ أعلنت فرنسا عن إبرام صفقة مع النظام الجديد فى ليبيا تتضمن توريد مائة طائرة «ميراج» إلى ليبيا على امتداد أربع سنوات، ولقد أدى هذا إلى إخراج الولايات المتحدة من الاتفاق على الحد من التسليح فى الشرق الأوسط. وكان معنى هذا الطلب أن يتوقف الاتحاد السوفياتى عن إمداد مصر أساسا بالأسلحة اللازمة لتحرير أراضيها المحتلة، ونتيجته هى استمرار إسرائيل فى هذا الاحتلال إلى ما لا نهاية.. طالما هى تتمتع بتفوق عسكرى- خصوصا بالنسبة للطيران، والآن فرنسا- وهى الدولة الحليفة- كى تسجل عمليا اعتراضها على سعى السياسة الأمريكية لإضعاف العرب لمصلحة إسرائيل.

ومن ناحية أخرى، فإن نظام الحكم الجديد فى ليبيا أعلن من البداية ارتباطه بجمال عبد الناصر فى مصر، وفى ظل التأكد الأمريكى من إصرار عبد الناصر على الحل العسكرى،

فلا بد أن تجد تلك الطائرات الفرنسية المتطورة الجديدة إلى ليبيا.. طريقها في النهاية إلى الجبهة المصرية.

وحينما تلقى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون تلك الرسائل التحذيرية من رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجن فى ٢١ يناير ١٩٧٠، فإنه اضطر خلال مؤتمر صحفى عقده فى نفس اليوم إلى الإعلان عن وجود خلاف بين واشنطن وباريس بسبب صفقة طائرات الميراج إلى ليبيا، مضيفاً قوله: «إننى أخشى من استخدام هذه الطائرات فى الحرب الدائرة فى الشرق الأوسط».

رسالة من نيكسون إلى كوسيجين

ويومها لم يناقش نيكسون مضمون رسالة كوسيجين لأنها لم تكن معلنة، لكن هنرى كيسنجر- مستشار نيكسون للأمن القومى- اعتبر على الفور أن تحذير كوسيجين «هو أول تهديد سوفيتى» للإدارة الأمريكية فى ظل رئاسة نيكسون، وهو الأمر الذى يتطلب «رداً حازماً». واتخذ هذا الرد «الحازم» طريقين.. فالطريق الأول هو تهديد مصر صراحة- من خلال الرسالة التى نقلها دونالد بيرجس فى ٢ فبراير- بالمزيد من الغارات الجوية الإسرائيلية.. و ضد أهداف «قد تضر بالاقتصاد المصرى بصورة أساسية». والطريق الثانى من خلال الرد الذى بعث به نيكسون إلى كوسيجين فى الرابع من فبراير، ويتهم فيه مصر بأنها هى التى تعمدت إشعال دائرة التصعيد العسكرى فى ١٩٦٩.. وإن الولايات المتحدة ترقب بعناية التوازن النسبى فى الشرق الأوسط، ولن تتردد فى تقديم الأسلحة إلى الدول الصديقة إذا ظهرت الحاجة إلى ذلك.

وحينما لم تنخلع القلوب فى القاهرة من التهديد الأمريكى، ولا اهتزت شحنات السلاح السوفياتى إلى مصر نتيجة التحذير الأمريكى.. أصبح لابد من التفكير بمزيد من الهدوء داخل الإدارة الأمريكية.

لقد كتب هنرى كيسنجر مذكرة إلى الرئيس نيكسون يقترح فيها أن تعلن الولايات المتحدة إصرارها على وقف إطلاق النار بلا قيد أو شرط بين مصر وإسرائيل. و: «هكذا يكون الرد المضاد على التحرك السوفياتى هو إلقاء تبعه وقف إطلاق النار على عبد الناصر والعرب، ومن خلالهم تلقى التبعه على السوفيات أنفسهم، وليس علينا، ولا على الإسرائيليين». وحينما سمع السفير الأمريكى فى موسكو رد أندريه جروميكو وزير الخارجية فى ١١ فبراير أدرك على الفور أن السوفيات غير مهتمين بالمرّة بتلك الأفكار الأمريكية.. فالاتحاد

السوفيياتى لا يستطيع أن يبحث وقف إطلاق النار، ولا حتى أن يفتح مصر بشأنه. ما لم تكف إسرائيل أولا عن الغارات ضد المدنيين فى العمق المصرى (ولم يقم جروميكو بإبلاغ السفير الأمريكى يومها بأن مصر أخطرتة بالفعل بأنها ترفض جملة وتفصيلا وقف إطلاق النار ما لم تعلن الولايات المتحدة.. رسميا وبالتحديد.. موقفها من الالتزام بالانسحاب من الإسرائيلى الكامل من الاراضى العربية المحتلة). أما بالنسبة لبحث الحد من صادرات الأسلحة فى الشرق الأوسط، فإن الاتحاد السوفيياتى لا يعارض مناقشة المبدأ ولكن ليس فى ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلى للاراضى العربية.

وبدأت تتراكم نذر أخرى بالمزيد من الخطر، إن التقارير ترد من المخابرات الأمريكية إلى كيسنجر بشأن زيارة سرية قام بها جمال عبد الناصر مؤخرا إلى موسكو (وهى التى كانت قد تمت فى ٢٢ يناير).. والى وجود دلائل مبكرة- وإن لم تكن محددة- بوجود استعدادات سوفيتية لتصعيد مستويات الدعم العسكرى إلى مصر بشكل يختلف عن المستويات السابقة.

كيسنجر يستدعى رابين

وعلى الفور استدعى كيسنجر السفير السوفيياتى فى واشنطن، دوبرينين، لكى يقول له باسم الرئيس نيكسون: «إننا نريد من الزعماء السوفييات أن يعرفوا أن إدخال جنود مقاتلين سوفييات إلى الشرق الأوسط- يقصد مصر- سوف ينظر إليه هنا بأخطر درجات القلق...». وقال كيسنجر أيضا: «إننا اخترنا هذا الأسلوب فى الاتصال لأننا لا نريد مواجهة رسمية. وفى نفس الوقت فإننا نرغب فى أن تجرى بيننا، عبر القنوات الخاصة، مناقشات ثنائية جديدة حول الشرق الأوسط. لكن السوفييات ظلوا لنحو شهر بعدها لا يهتمون بمجرد الرد على تلك الرسالة الأمريكية.

ومع المزيد من تقارير المخابرات الأمريكية، كان كيسنجر يزداد غليانا. لقد تشكلت مجموعة عمل خاصة فى مجلس الأمن القومى الأمريكى لبحث الموقف على ضوء هذا التطور الجديد الذى لم تتضح كل أبعاده بعد، وهو ذهاب وحدات مقاتلة سوفيتية للدفاع الجوى إلى مصر.

وفى تلك الاجتماعات كان كيسنجر يلح على انه: «إذا ادخل السوفييات قوات عسكرية»: (إلى مصر) فلن يصبح أمامنا خيار سوى المقاومة، فليس فى وسعنا أن نقبل بوجود عسكرى

سوفيتي جديد، كما أننا غير مستعدين لرؤية المتطرفين العرب (يقصد عبد الناصر) وقد حصلوا، ربما، على دفعة حاسمة.

ويقرر كيسنجر صراحة أنه طلب في تلك الاجتماعات التخطيط لعمل رد انتقامي أمريكي ضد السوفيات، ولكن: «كانت جميع الوزارات في الولايات المتحدة أقل حماساً، فمعظم من هم في الحكومة ألقوا اللوم على التعنت الإسرائيلي باعتباره سبب تجميد الموقف، إن الجميع - باستثنائي أنا - كانوا مقتنعين بأن قيامنا بإعطاء معونة (عسكرية) ضخمة جديدة إلى إسرائيل يمكن في هذه الظروف أن ينسف المنطقة ويحولها إلى شظايا، أما عن خطط الطوارئ، فإن أحداً لم يستطع أن يفكر في عذر مقبول لمقاومة الجهد الذي يستهدف الإعداد للمستقبل، ولكن... كان من الواضح أن القيام بأي عمل عسكري مضاد لتحرك سوفيتي كبير سوف يصطدم بمقاومة بيروقراطية مكثفة».

ويضيف كيسنجر في الجزء الأول من مذكراته بعنوان «سنوات البيت الأبيض» قوله: «إن وزارة الدفاع الأمريكية قدمت مذكرة رسمية تؤكد فيها على أنها تفضل اللجوء إلى اختيارات سياسية، مما يعني - كما هو الحال في فيتنام - أن وزارة ما أخرى يجب أن تتحمل العبء والمخاطرة. ولم تفسر المذكرة الكيفية التي ستحقق بها انسحاب إسرائيل كاملاً - وهو الاختيار السياسي الوحيد المطروح على المائدة - أو الكيفية التي لن يبدو فيها هذا الانسحاب نتيجة لضغط سوفيتي في حالة ظهور أفراد مقاتلين سوفيات في المنطقة». في رد نيكسون على إحدى مذكرات كيسنجر، سجل الرئيس الأمريكي التأشيرة التالية: «على رغم أن السياسة المتوازنة هي الصواب، إلا أن مصلحتنا فوق كل شيء، وتكمن فيما يثير للسوفيات أشد المتاعب، لا تدعو النزاع العربي الإسرائيلي يحجب هذه المصلحة».

خلافات بين نيكسون وكيسنجر

لكن الذي كان يجعل كيسنجر يغلي من الغيظ تماماً، هو أن اقتناع الرئيس نيكسون بوجهة نظر خبراء وزارة الخارجية - بإيهامه نظره هو - بشأن تفسير تزايد النفوذ السوفياتي في الشرق الأوسط، وخصوصاً منذ تصاعد حرب الاستنزاف المصرية في مارس سنة ١٩٦٩، إن كيسنجر كان يلح على فكرة أن مضاعفة المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل هو الذي يحبط مصر، وبالتالي يرغمها على تقليل اعتمادها على الأسلحة السوفيتية. مما يؤدي إلى في النهاية إلى تراجع النفوذ السوفياتي في الشرق الأوسط.

وردا على مذكرة قدمها كيسنجر وكرر فيها مزاعمه تلك : كتب الرئيس نيكسون في تأشيرته : «إننى اختلف تماما مع هذا الاستنتاج.. لقد كنا نتباهى بـ «هزائم» السوفيات فى الشرق الأوسط منذ عام ١٩٦٧، وقالت وزارة الخارجية أن حرب (١٩٦٧) كانت هزيمة للسوفيات، إنها لم تكن كذلك، فقد أصبحوا أصدقاء للعرب، والولايات المتحدة عدوهم، واستمرار هذه الحالة على المدى الطويل يخدم مصلحتهم».

وفى اللحظة الراهنة كان كيسنجر يعتمد على إسرائيل، بأكثر مما هو يعتمد على إقناع رئيسه، فى إثبات إمكانية خضوع مصر لسياسة «العصا الغليظة» حتى تدعن لقبول وقف إطلاق النار بلا قيد أو شرط، خصوصا وأن إسرائيل لها اليد العليا فى السيطرة الجوية، وامتدادا لكيسنجر، استمر إسحاق رابين السفير الإسرائيلى يهنئ نفسه وحكومته : قائلا فى برقية سرية بعث بها إلى جولدا مائير: «لقد انجزنا تحسنا ملحوظا فى موقف الولايات المتحدة، إن استمرار هذا التحسن يعتمد أولا وقبل كل شىء على استمرارنا فى شن غاراتنا الجوية فى قلب مصر».

تصعيد الغارات ضد المدنيين

وهكذا، بمجرد أن بدأت تقارير المخابرات الإسرائيلية عن دلالات شحنات السلاح الجديدة إلى مصر، بدأت إسرائيل تتصاعد بغارتها ضد المدنيين فى العمق المصرى، لتتخذ طابعا هستيريا ومحموما، وفى سباق إسرائيل مع الوقت لمنع الصواريخ الجديدة من اتخاذ مواقعها طبقا للخطة المصرية، زادت من توحشها ضد المدنيين داخل مصر. ففى ١٢ فبراير (١٩٧٠) استخدمت إسرائيل طائرات الفانتوم فى الإغارة على مصنع مدنى فى أبو زعبل على مشارف القاهرة، توقيت الغارة محسوب، فى المصنع ورديات تتناوب العمل، كل وردية من ألفى عامل يأتون وينصرفون فى مواعيد محددة بقطار محدد. والطائرات الإسرائيلية تستهدف إلقاء حمولة المتفجرات على العمال فى الدقائق التى تجمع بين انصراف وردية وقدم وردية أخرى، هذا كان يعنى أن الهدف هو أربعة آلاف عامل.. مدنى.. أقصى أنواع الإرهاب.. ضد المدنيين لكن أسفرت الغارة البشعة عن مصرع سبعين عاملا وإصابة ٦٩ بجراح، ثم خرج موسى دهبان وزير الدفاع الإسرائيلى ليقول إن هدفه من هذه الغارات الإسرائيلية بعيدا عن جبهة المواجهة الفعلية فى قناة السويس هو: «أن يحافظ على معنويات الشعب الإسرائيلى وتقويض الزعامة السياسية والعسكرية فى مصر»..

وإزاء الاستنكار الدولي لتلك الجريمة البشعة وغير المسبوقه اضطرت إسرائيل إلى الزعم بأن الغارات وقعت بطريق الخطأ!.

وفي ٨ إبريل أغارت إسرائيل على مدرسة في قرية بحر البقر بالصالحية، فراح ضحيتها ٣١ قتيلا و٢٦ جريحا من أطفال المدرسة، ومرة أخرى واجهت إسرائيل الإدانة العالمية ضدها بإنكار وقوع الغارة من أساسها، ثم اضطرت إلى التراجع عن إنكارها حينما انتقل المراسلون الأجانب في مصر إلى مكان الغارة وسجلوا آثارها.

وبالتدريج، مع استكمال نطاق الصواريخ الأول الذي يحمى العمق المصرى، واكتشاف إسرائيل لهذا التطور بدأت قلوب القيادات العسكرية هي التي تنخلع نتيجة لأن قدراتها على التوحش ضد المدنيين في مصر بدأت تتراجع شيئا فشيئا، والسفير الإسرائيلي إسحاق رابين منتفخ الأوداج بدا يتراجع، مسجلا: «إننا مع نهاية شهر مارس ١٩٧٠ أصبحنا مضطرين إلى وقف غارتنا في العمق (المصرى) لأن بطاريات صواريخ سام-٣ تم وضعها حول مدن مصر الرئيسية»، هكذا تم إذن قطع الذراع الطويلة لإسرائيل ضد المدنيين المصريين بشكل تدريجي، ولكن إسرائيل سوف تستمر لبعض الوقت في محاولاتها، إلى أن تجد تفسيرا ملائما تروجه لحقيقة اضطرابها أخيرا إلى وقف التوحش ضد المدنيين المصريين بعد أن حولت طائرات الفانتوم لديها إلى «مدفعية طائرة» على حد تعبير جولدا مائير لكي تسقط قذائفها على «عتبات المصريين» في بيوتهم.

ما يعادل قنبلة ذرية

أما بالنسبة للأهداف العسكرية المصرية غرب القناة فقد تزايدت- عددا وكثافة- بشكل جنوني، بعد أن أصبحت ترى بمعدل أربع غارات يوميا بطائرات الفانتوم وسكاى هوك حيث تقذف «أكثر من عشرة آلاف طن متفجرات يوميا، وخلال يومى ١٤ و ١٥ إبريل وصل قذف العدو إلى معدل تأثير قنبلة ذرية زنة عشرين ألف طن على المنطقة، التي شملت بالذات منطقة رقبة ألوزة أيضا التي نجحت فيها قوات الجيش الثانى وكتائب الصاعقة فى تدمير قوات العدو والحصول على أسرى أحياء فى ذلك الوقت، واستمر العدو فى غاراته المركزة ضد مواقع الصواريخ مستخدما أكفا طياريه وطائراته الحديثة طراز سكاى هوك والفانتوم فى سباق مع الزمن ضد صواريخ سام-٢٣ مم الرباعى الموجه والمدافع ٢٣ مم الرباعى الموجه وصواريخ سام-٧، والإرادة وقوة العزيمة من المصريين القائمين على استكمال مواقع الصواريخ حتى نهاية يوليو ١٩٧٠».

وكانت كل شبكات التجسس الإسرائيلية والأمريكية فى تلك الفترة معبأة بالكامل لرصد أى معلومات عن مواقع الصواريخ المصرية الجديدة أولا بأول، وفيما بعد صور فيلم مصرى بعنوان «الصعود إلى الهاوية»، وهو قصة شبكة واحدة من التجسس أدت معلوماتها إلى استشهاد مئات من المصريين فى مواقع الصواريخ الجديدة، كما سقطت شبكة أخرى من الجواسيس تسربت إليها خريطة أحد مواقع الصواريخ بواسطة قريب مقاول مشهور جرى احتجازه فى حينها لبعض الوقت.

رجال اليوم السابع

فى الواقع لم تكن عملية إعادة بناء القوات المسلحة المصرية تركز على جانب الأسلحة والمعدات فقط، إنما كان هناك ما أسميه فى قاموسى الخاص «جيش اليوم السابع» جيش قامت مصر ببنائه مقاتلا ومقاتلا وطوبه وطوبه، وسلاحا بعد سلاح. وكل مقاتل فى هذا الجيش، من أكبر ضابط إلى أصغر جندى، ظل سنة بعد سنة يرى زملاءه المقاتلين أضعاف أضعاف ما يراه من أسرته، ويأكل معهم فى الخنادق طعاما لا يعرف مطلقا إذا كان سيعيش بعده حتى الوجبة التالية أم لا. رجال ومقاتلون عرفوا وبثمن فادح وبغير فذلثة ولا بغيلة أن مصير الوطن.. بل والعروبة.. كلها يتوقف تماما على مدى إيمانهم وإصرارهم، هناك جولة خسرناها بطريقة مفاجئة سماها العدو دعائيا «حرب الأيام الستة» الآن هو اليوم السابع، وهؤلاء مقاتلوه، إن كل الأيام تساوى ٢٤ ساعة، لكن فى حياة الشعوب تصبح بعض الأيام أطول أو أقصر من الأيام الأخرى، والفترة من اليوم التالى للهزيمة المدوية فى يونيو ١٩٦٧ حتى اليوم الأخير لتحرير الأرض هى بذاتها يوم واحد متصل، إنه اليوم السابع، وكان الجيل الذى انتمى إليه هو ذاته العمود الفقري لتلك الحرب، جيل من المتعلمين وخريجي الجامعات الذين أصبح الجيش بكل فروعه يطلبهم بشكل فوري، ولحسن حظ العروبة فإن هذا الجيل كان أول إنتاج متراكم لنهضة كبرى بدأت قبلها بسنوات: نهضة عنوانها: مجانية التعليم. وإذا كانت دفعتى فى الدراسة مجرد نموذج هنا، فإن سبعين فى المائة منها على الأقل استمروا مجندين، جنودا وضباطا، فى يوم واحد متصل ما بين يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣. ولولا أنه كان هناك إصرار على أن تمضى الحياة المصرية. زراعة وصناعة واقتصاد ومرافق. كالمعتاد، فربما كان سيتم تجنيد مائه فى المائة من خريجي الجامعات. لكن الجيوش الحديثة لا تصبح حديثة من فراغ، إنها تعتمد على - وتعيش من - اقتصاد حديث أيضا.

وإذا كان سبعون فى المائة من دفعتى الجامعية أصبحوا مجندين فى هذا اليوم السابع، فإن الثلاثين بالمائة الأخرى كانوا مجندين بشكل مختلف، الأولون يرتدون الكاكى والآخرون بملابسهم المدنية لكن هذا الخريج الجامعى بالملابس المدنية كان يدير حياته فى حدود مرتبه المتواضع، والمرتبة متواضع ليس لأن جهده متواضع ولكن لأنه يتقبل حقيقة أن عليه أن يعيش فقط على الضروريات، لأن زميله فى جبهة القتال يشارك فى تحقيق المستحيل.

والمستحيل كان هو أن يصبح لمصر جيش عصى، والاستحالة هنا طبيعية لأن مصر تتاح لها فقط ربع ساعة حرية فى كل قرن وإذا لم تستثمر مصر ربع الساعة هذه بسرعة فى بناء جيش حديث تواجه به أطماع الوحوش الكاسرة فى الغابة الدولية يصبح مصير مصر هو الاضمحلال، هكذا التاريخ المصرى فى حالته الدرامية، فمصر إما فى القمة وإما فى الحضيض ولا وسط.

عقل كبير فى قضية أكبر

مرة أخرى نحن فى الإعداد الجيد للحرب التى قررت مصر أن تخوضها لاستعادة الأرض المحتلة وبدأت فى إعداد الجيش القادر على استعادة الأرض، ومن بين القرارات التى اتخذت فى ذلك الوقت قرار كان ملفتا فى وقتها، لقد قرر جمال عبد الناصر أن يصبح للدفاع الجوى المصرى قيادة مستقلة فى القوات المسلحة واختار محمد على فهمى مسئولاً أول عن تلك القيادة والصورة الوحيدة المنشورة له وقتها هى صورته وهو يقابل جمال عبد الناصر والى جواره الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية.

تسلم إذن محمد على فهمى المسئولية وكانت هناك نكسة كبرى سجلت فيها إسرائيل انتصاراً مدوياً، والقضية التى أجمعت عليها مصر كلها هى ببساطة أن «ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة» والقوة ليست سلعة متاحة فى محلات البقالة ودواء متوفراً فى الصيدليات، القوة هى نحن، هى ما نصنعه، هى ما نختطفه وسط غابة دولية لسنا أقوى وحوشها، وإسرائيل بعد انتصار مدو أصبحت تستببح سماء مصر بطائراتها الأمريكية، والغابة الدولية لا تتيح سلاحاً بسلام، والمتوحشون فى الغابة الدولية يقامرون على الوقت.. على الزمن.. فبالزبد من الوقت والغارات الجوية المتوحشة على المدنيين من أطفال فى مدارسهم وعمال مدنيين فى مصانعهم.. لابد أن تستسلم مصر.

ولأن الاستسلام يبدأ من الروح فقد جرى تكليف العميد- وقتها محمد على فهمى بإنشاء سلاح جديد اسمه «الدفاع الجوى».. لكى يتكامل مع أسلحة المشاة والبحرية والطيران.. لم تكن المسألة هنا هى فقط أن تمتلك مصر قوة عسكرية رابعة ضمن قواتها المسلحة. كانت المسألة أساسا هى قطع اليد الإسرائيلية الطويلة.. يد الطائرات التى تستأسد يوميا ضد المدنيين فى مدن مصر وقراها.. بمن فيهم أطفال مدارس لم تستوعب عقولهم البريئة- بعد- أى شئ، عن العدوان والتوحش الإسرائيلى. وأصبحت مشكلة محمد على فهمى هنا مشكلتين.. فهو القائد فى عملية كبرى صامته لإعادة بناء دفاع جوى حديث لمصر لن يعرف العالم بها إلا حينما تدخل- فيما بعد- فى مرحلة بناء حائط الصواريخ.. وهو أيضا يفعل ذلك فى ظل غارات جوية إسرائيلية يومية وعلى مدار الساعة.

ويوما بعد يوم.. وليلة بعد ليلة.. وشهداء بعد شهداء.. بدأ الشعب المصرى يستوعب لأول مرة ماذا يعنى بالضبط «دفاع جوى».. الألفاظ واضحة، دفاع جوى، لكن بحلول الأسبوع الأخير من شهر يوليو ١٩٧٠ بدأت إسرائيل تدرك أن تطورا خطيرا قد حدث، تطور سيغير مسار الحرب الدائرة بل فى المنطقة كلها خلال ذلك اليوم السابع.. الطويل. فى حرب «الاستنزاف» لم تكن لدى مصر- خصوصا المقاتلين فى القوات المسلحة- أية أوام، هناك غابة دولية ونحن لسنا أقوى وحوشها، والوحوش الأكبر لكل منها حساباتها ومصالحها، من تلك المصالح مثلا أن تكفل الولايات المتحدة لإسرائيل، المغتصبة والمعتدية، تفوقا كاسحا فى الأسلحة على الدول العربية مجتمعة، وخصوصا فى الطيران، وإسرائيل بطائرات الفانتوم الأمريكية تقوم باختراق المجال الجوى المصرى فى العمق لكى تروغ شعبها وتفقدهم أى أمل فى قوتهم المسلحة الجديدة، فى المقابل تملك مصر طائرات «الميج» السوفيتية الصنع، طائرات جيدة ولازمة وبنيت خلال وتوجع العدو أيضا لكنها فى نهاية المطاف لا تتيح للطيار المصرى نفس الإمكانيات المتاحة أمريكيا لدى الطيار الإسرائيلى.. والاسوأ من ذلك.. ليس مسموحا فى الغابة الدولية أن نحصل على أية طائرات من أى مكان آخر.

فى مثل هذا الموقف هناك حلان لا ثالث لهما: ثقفل الملف.. أو تفتح الملف.. فى حالة قفل الملف تصبح الخلاصة هى أن إسرائيل مستمرة فى الاحتلال ومصر فى «الطراوة».. بل.. ولاحتى فى «الطراوة» مصر عليها فقط، وبعدها كل العرب.. الانتظار إلى جوار التليفون حتى يملى عليها وزير الدفاع الإسرائيلى المطلوب منها ثمننا للهزيمة، فى حاله فتح الملف تصبح الخلاصة هى: نضرب.. وننضرب.. نفع.. فنقوم من جديد، يضربون لنا أطفالا

صفارا في بحر البقر فنضرب لهم طيارين بطائراتهم، هنا يصبح للدفاع الجوي بقيادته الجديدة المستقلة حديثا محل من الأعراب، ما يزال على الورق اسمه دفاع جوى، لكنه فى حروب «اليوم السابع»، المصرية أصبح دفاعا جويا فى مهمة أولى فعلية أن تقطع نراع إسرائيل الطولى المستأسدة ضد الأطفال المصريين فى بحر البقر والعمال فى مصنع أبو زعبل وغيرها، لكن تلك فقط كانت مقدمة للمهمة الأكبر: حماية القوات العابرة لتحرير سيناء. بكلمات أخرى، أصبحت إسرائيل- طوال حرب «الاستنزاف»- تريد أن تقول للعسكرية المصرية، لكل حل.. مشكلة، بينما العسكريون المصريون عليهم أن يثبتوا انه: لكل مشكلة.. حل.

بكلمات أخرى وأخرى.. هناك امتحان كبير وفاصل للإرادة والعسكرية المصرية وكانت النتيجة أن استطاعت هذه الإرادة أن تفجر جوهر الإنسان المصرى وتعلم العالم دروسا جديدة فى العسكرية، فى هذه المرة محور الدروس الجديدة هو: كيف تستطيع الصواريخ ارض/ جو والأسلحة المضادة للدبابات القيام بإذلال وقهر أحدث الطائرات والمدركات المتاحة لإسرائيل.

عدت مرة أخرى إلى المجلد الذى صدر فى الغرب بعنوان «التاريخ العسكرى للعالم» الذى كنت قد تصفحته بسرعة ثم توقفت مرة أخرى عند أحد فصوله بعنوان «الحروب العربية الإسرائيلية» الكتابة متحاملة ومنحازة ومن منظور موجه أساسا إلى القارئ الغربى. وتأكدت من أسماء مؤلفيه من الخبراء العسكريين. تأكدت مرة أخرى من البيانات، هذه ليست رواية، ليست إبداعا من خيالات مؤلف، إن «إذلال» و«قهر» هنا تعبيران محددان تماما ومقصودان حرفيا ومن خبراء عسكريين غربيين وبعد سنوات طويلة من- حرب الاستنزاف- هنا تصبح الترجمة من الإنجليزية إلى العربية هى: محمد على فهمى.

وعندما نجحت مصر بالوصول بحائطها الصاروخى إلى أقرب نقطة من قناة السويس، وفى أسبوع واحد- سمي علليا: أسبوع تساقط الطائرات- أسقطت الصواريخ المصرية ١٧ طائرة إسرائيلية من طراز فانتوم وسكاى هوك، ووضعت مصر أيديها على تسعة طيارين إسرائيليين أحياء، ووقف أبا أيبان وزير خارجية إسرائيل يتكلم بمرارة فى الكنيست الإسرائيلى قائلا: «الموقف خطير خطير، لقد بدأ سلاح الطيران الإسرائيلى يتآكل».

هنا يصبح ما قاله أبا أيبان وما عبر من خلاله عن مخاوفه من تآكل فى سلاح الطيران كان له عنوان واحد بين رجال القوات المسلحة المصرية: محمد على فهمى.. والإرادة

المصرية ، وأن تغيرا فعليا فى مسار- حرب الاستنزاف- قد بدأ وأن نقطة تحول كبرى فى مسار الحرب قد حدثت ، وعرف المصريون لأول مرة معنى وطعم أن يكون لديهم دفاع جوى ، وإن التضحيات التى حدثت ، والشهداء الذين قدموا أرواحهم من أجل استكمال بناء هذا الحائط لحماية العمق المصرى والمدنيين والأطفال من غطرسة ووحشية العدو لم تذهب سدى.

أما بالنسبة لمحمد على فهمى نفسه فقاموسه الخاص ليس فيه بالمرّة كلمة «أنا» فيه فقط «نحن» يتكلم عن: جنودنا المهندسين جيشا وطيرانا.. مدفيعتنا.. شهدائنا.. صواريخنا.. و.. و.. كلها تنويعات وتنويعات للعنوان الرئيسى «نحن» الذى هو ببساطة «مصر».



**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل الرابع عشر

الجانب السرى للتوسلات الإسرائيلية

□ مصر لم تعلن أبدا مسئوليتها عن نفس الحفار. كينيتنج.

ولا إسرائيل اتهمتها

□ الصواريخ المصرية تقطع ذراع إسرائيل الطويلة ضد

المدنيين

□ لهذه الأسباب إسرائيل توقف غارتها على العمق المصرى

□ نيكسون يقول للسفير الإسرائيلى: كل حكومتى ستقف

ضدى

□ ماذا دار فى الاجتماع السرى بين كيسنجر ورابين يوم

١٢ مارس ١٩٧٠ ؟



كان لحرب الاستنزاف أيضا جانبها السرى الذى لا يعلن عنه أى من الطرفين رسميا أبدا، وعلى سبيل المثال، ففي الصباح الباكر من يوم ٨ مارس ١٩٧٠ شهد ميناء ابدجان فى ساحل العاج على الساحل الغربى لأفريقيا سلسلة انفجارات ضخمة أدت إلى تعطيل حفار ضخ للبترو، كانت قد اشترته شركة أمريكية كندية من بريطانيا، واسمه «كينيتنج» ويجره بحرا جرار هولندى فى طريقه إلى البحر الأحمر كي تستخدمه إسرائيل لزيادة ما تستخرجه من البترول المصرى فى الساحل الشرقى لخليج السويس، إن مصر لم تعلن أبدا مسئوليتها عن نسف الحفار من خلال تلك العملية السرية التى تم التخطيط لها قبل شهرين، ولا إسرائيل وجهت الاتهام إلى مصر، وحينما وصفت الصحف البريطانية وقتها تلك العملية بأنها كانت «قاصمة لمشروعات إسرائيلية فى خليج السويس» وأن «الكوماندوز المصريين هم الذين قاموا بالعملية».. ابتلعت ما حدث بغصة فى حلقها ولم تتفوه بكلمة، لكنها كانت تدرك أن مصر هى الأخرى ذراعها الطويلة فى ذلك الجانب السرى من حرب الاستنزاف.

أما فى الجانب المعلن من حرب الاستنزاف فقد أدركت إسرائيل أن غارات العمق ضد مصر لم تجعل الشعب المصرى يثور ضد النظام، وإنما الذى حدث هو العكس: فضلا عن أن العمق المصرى أصبح حصينا فى النهاية، وهو ما جعل إسرائيل تفكر منذ نهاية مارس فى إيقافها. وجاءت الحجة المناسبة فى ١٨ ابريل حينما أعلنت إسرائيل أن تشكيلا جويا لها كان فى طريقه إلى العمق المصرى فى العمق الشمالى من خليج السويس، حينما اعترضه تشكيل جوى مضاد من طائرات الميج-٢١، وخلال اقترابه التقطت أجهزة الاستماع الإسرائيلية محادثات لاسلكية تدور باللغة الروسية بين أفراد التشكيل، وهو ما جعل الطائرات الإسرائيلية تعود من حيث أتت.

وبالطبع تريد إسرائيل أن توحى من خلال الترويج الدعاوى لتلك الواقعة: أن الذى يمنعها من مواصلة ضرب العمق المصرى هو السوفيات، وليس المصريين، ولذلك فهى توقف غاراتها من الآن فصاعدا ضد العمق المصرى.

والحقيقة هى أن تلك الواقعة لم تكن أبدا السبب فى تراجع إسرائيل عن التوحش ضد المدنيين المصريين، حيث سجل إسحاق رابين فيما بعد أن القرار الإسرائيلى كان متخذًا منذ أواخر مارس. وطبقا لرواية رابين فإنه «بمجرد أن حدث هذا تملكنى شعور مرعب ومروع بأننا ننزلق إلى الخلف من جديد. إن تلك الغارات (فى العمق المصرى) لم تغير فقط من

توازن القوى عبر جبهة القناة، ولكنها أدت إلى ميل كفة الميزان فى المواجهة بين القوتين العظميين، ونحن الآن نرتد إلى، وننكفى فى، موقف يصبح فيه الروس بمفردهم هم الذين يقومون بإملاء التحركات.

إسرائيل تطلب مزيدا من الفانتوم.

وكما هى العادة، أسرع إسرائيل إلى الولايات المتحدة تلح عليها فى إمدادها بأربع وعشرين طائرة فانتوم جديدة أخرى (غير الخمسين المتفق عليها من قبل) وكذلك ٢٤ طائرة اسكاى هوك، وقرر نيكسون أنه سيعلن قراره بشأن هذا الطلب الإسرائيلى الجديد خلال ثلاثين يوما، لعل المصريين يقبلون وقف حرب الاستنزاف، أو لعل السوفيات يضغطون عليهم فى هذا الاتجاه.

وعندما لم يحدث هذا أو ذاك، بدأت تقوى حجج الفريق الآخر داخل الإدارة الأمريكية-فريق وليم روجرز وخبراء وزارة الخارجية.. ضد فريق هنرى كيسنجر وبعض مساعديه فى مجلس الأمن والمخابرات، وإن الفريق الثانى قامر على أن المزيد من القوة ضد مصر سيردع السوفيات ويشق الخلاف بينهم وبين المصريين فضلا عن إنه سيجعل من عبد الناصر عبءا للعالم العربى كله ويقوى أنصار الولايات المتحدة فى العالم العربى وفى النهاية- وهذا هو بيت القصيد- يدعم إسرائيل، أما الفريق الأول الذى يمثلته خبراء الخارجية فكان يرى أن المزيد من الانحياز الأمريكى لإسرائيل هو الذى يفتح الباب لانتشار المزيد من النفوذ السوفيتى فى المنطقة، وأن صمود عبد الناصر هو الذى جعل العالم العربى يلتف حوله، والمزيد من ضرب مصر بالأسلحة الأمريكية المتطورة يؤدى إلى انحسار المصالح الأمريكية فى المنطقة وليس إلى تسابق العرب إلى عتبات الأبواب الأمريكية.

وفى بعض اللحظات كان يبدو أن فريق هنرى كيسنجر هو الذى يستمد حجته من المجرى المتعرج لحرب الاستنزاف، لكن صمود المصريين سرعان ما كان يثبت عمليا عقم أسلوب العصا، وعدم جدواه، بل وانقلابه على ذاته محققا تأثيرا عكسيا تماما.

وفى تلك المرحلة يقول أبا ايابان وزير خارجية إسرائيل حينئذ: «ليس هناك فى رأى دليل على أن الولايات المتحدة أرادت منا مطلقا أن نقوم بتصعيد الحرب (كما كان السفير إسحاق رابين يؤكد فى تقاريره المتتالية التى كان يرسلها من واشنطن) وعلى أية حال ففى شهر مارس ١٩٧٠ كان شعور الولايات المتحدة متسما بالبرود: إن الوزير روجرز جاء

رده تأجيليا بالنسبة لما تطلبه إسرائيل من الحصول على المزيد من الطائرات، وقد تسبب هذا في إثارة قلقا في إسرائيل بعد أن بدأت خسائرها تتصاعد (بسبب حرب الاستنزاف المصري)، إننى لن أنسى مطلقا اجتماعا عقدناه بمنزل (رئيسة الوزراء) غولدا مائير فى ساعة متأخرة من الليل، حيث طرح فيه (موشى) ديان (وزير الدفاع) تنبؤ المظلم لما يمكن أن يحدث لإسرائيل لو لم تصل إليها إمدادات الأسلحة الأمريكية على وجه السرعة. إن اعتقادى الشخصى هو أننا سنحصل على الأسلحة، ولكن متأخرة قليلا عما نأمل.

ويعلق أبا ايابان بقوله: «على الرغم من أن الحرب كانت تلحق بمصر تأثيرا أكبر تدميرا من تأثيرها علينا، إلا أن الحقيقة الباقية فى النهاية هى أننا نخسر الأرواح والطائرات، وبغير تأكيد (أمريكى) على استمرار إمدادنا بالطائرات والمعدات الأخرى فإن قياداتنا العسكرية لن تكون لديها الثقة التى تسمح لها بالإقدام على مخاطر تكتيكية لا بد منها». هكذا إذن، فى نفس اللحظة التى كان المقاتلون المصريون «رجال اليوم السابع» يتعرضون فيها للقذائف من عشرين ألف طن يوميا، بما يعادل تأثير قنبلة ذرية، وفى نفس اللحظة التى توقعت فيها إسرائيل أن تنخلع قلوب المصريين وهم يرون أطفالهم قتلى فى مدارسهم بسبب قنابل طائرات الفانتوم.. كان إصرار المصريين على تحمل كامل التضحيات حتى يتم إعادة بناء القوات المسلحة هو الذى خلع قلوب القيادات الإسرائيلية، التى تظاهرت بالعكس علنا، بينما تلك القيادات تجتمع سرا «فى ساعة متأخرة من الليل» بمنزل رئيسة الوزراء لكى تتبادل مشاعرها بالرعب من جراء الصلابة المتزايدة للمصريين، لقد جاءت لحظة فى شهر يناير كانت تبدو إسرائيل وكأن لها اليد العليا، والآن فى شهر مارس يتعلق مصير إسرائيل بكلمة تأتيتها من واشنطن حتى تسترد القيادات الإسرائيلية العسكرية درجة من الثقة بالنفس، تسمح لها بالإقدام على مخاطر تكتيكية لا بد منها.

إن المقاتلين المصريين لم يكونوا يعرفون فى حينها الحالة النفسية الحقيقية لتلك القيادات الإسرائيلية فى اجتماعاتها السرية هذه، لقد كانوا يعرفون فقط «أن ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة»، وهم ماضون فى هذا الطريق بالضبط.. ومصممون عليه.

كيسنجر يجتمع سرا بـرابين

أما هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى، الذى حرض إسرائيل على المزيد من الغارات المدمرة بهدف «تدمير الجيش المصرى».. فإنه الآن - فى ١٢ مارس -

يستدعى السفير إسحاق رابين إلى مقابلة سرية فى البيت الأبيض ، وبتعبير رابين نفسه فقد : «تم اتخاذ إجراءات صارمة لضمان سرية هذا الاجتماع ، وتم إدخالى إلى البيت الأبيض من مدخل جانبى».

وكيسنجر يتجه مباشرة إلى الموضوع الذى تلح عليه إسرائيل : المزيد من الطائرات ، وقراره يتكون من «ثلاثة أجزاء» ، فالجزء الأول ، وهو الذى سيجرى إعلانه رسميا ، وهو أن الولايات المتحدة قررت ألا تقرر ، بكلمات أخرى- قررت تعطيل الاستجابة مؤقتا لطلبات إسرائيل من الطائرات ، ولكنها ستستمر فى مراقبة التطورات العسكرية فى الشرق الأوسط ، وفى حالة حدوث تغيير فى الموقف سيتم اتخاذ الخطوات اللازمة.

وكان العنصر الثانى عمليا : فالولايات المتحدة تريد تغيير القواعد المعمول بها بالنسبة لإمدادنا بالسلاح ، فبدلا من صدور بيان علنى من الرئيس أو أحد كبار المسؤولين بالموافقة على ، أو الرفض ، أو تأجيل البت فى ، طلبات إسرائيل ، فإن الولايات المتحدة ستقوم بالمحافظة على التوازن العسكرى فى الشرق الأوسط من خلال تعويض إسرائيل عن السلاح الذى يتم استنزافه.

أما العنصر الثالث فهو أن الرئيس سيعبث برسالة شخصية إلى رئيسة الوزراء (غولدا مائير) يؤكد فيها التزامه بأمن إسرائيل.

وأصبح هذا الرد الأمريكى نذيرا سيئا ، فأولا هو ليس نعم.. وليس لا ، فالجزء الذى فيه «نعم» لن يكون علنيا ، بينما العلنية فى صفقات السلاح الأمريكى المتطور إلى إسرائيل هو أكثر أهمية لأنه يضيف إليها رادعا سياسيا تستخدمه ضد العالم العربى ، ومصر على وجه الخصوص ، وثانيا- هذا يعنى أن الرئيس نيكسون لم يبتلع ما يلح عليه مستشاره للأمن القومى ، هنرى كيسنجر ، من أن شبكة الصواريخ المصرية الجديدة موجهة ضد الولايات المتحدة بأكثر مما هى موجهة ضد إسرائيل.

لقاء مع نيكسون

ويبدو أن السفير رابين ألح على كيسنجر ليدبر له مقابلة عاجلة مع الرئيس نيكسون ، وهى مقابلة تمت فعلا فى مساء ١٨ مارس ، وصحبه فيها كيسنجر.

وفى تلك المقابلة قال الرئيس نيكسون للسفير الإسرائيلى رابين : «إن بعض أقسام الإدارة الأمريكية تعارض بقوة وحماس قيامنا بإمداد إسرائيل بأسلحة فى الوقت الحالى ،

إننى لن أحدهم، ولكن صدقتى.. إنهم لم يتركوا دقيقة واحدة بغير أن يستخدموها فى إقناعى بذلك، وتستطيع أن تتأكد من أننى سوف استمر فى إمداد إسرائيل بالأسلحة، ولكننى سوف أفعل ذلك بأساليب أخرى مختلفة، وفى اللحظة التى تحتاج فيها إسرائيل إلى أسلحة، فأبلغنى بذلك عن طريق كيسنجر، ساعتها سوف أجد طريقة للتغلب على البيروقراطية.

وكان السفير الإسرائيلى يعلم أن الإدارة الأمريكية كلها- فيما عدا كيسنجر وبعض مساعديه فى مجلس الأمن القومى والمخابرات- تعارض أى صفقات سلاح جديدة إلى إسرائيل، فى وقت يموج فيه العالم العربى بالغليان ضد السياسة الأمريكية، وتضامنا مع الصلابة المصرية فى حرب الاستنزاف، والآن فإن الرئيس نيكسون أصبح يخشى الإعلان عن صفقة طائرات جديدة تلح عليها إسرائيل منذ شهور، ويغير قواعد اللعبة كلها، لأن العلنية جعلت المصالح الأمريكية تدفع ثمننا غاليا لابد من وضعه فى الحسبان من الآن فصاعدا وهنا يقول رابين: إنه، على غير عادته، انطلق فى توسلات عاطفية متواصلة مناشدة الرئيس نيكسون تعديل موقفه لأنه: «حينما يسود الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تقلل من دعمها لإسرائيل، فسوف يستعيد العرب أملهم القديم فى التغلب علينا بواسطة القوة».

وحينما لم يجد هذا المدخل صدق لدى الرئيس نيكسون، جرب إسحاق رابين مدخلا آخر توسم أنه ربما يكون أكثر جاذبية لنيكسون المحارب التقليدى ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتى فقال له: إنه بالإضافة إلى ما سبق فإنه: «كلما طالت حرب الاستنزاف (المصرية) تباهى السوفيات بغطرستهم، إنهم سوف يفسرون قرار الولايات المتحدة بشأن الأسلحة على أنه علامة ضعف، وإذا استطاع الروس نصب صواريخ سام- 3 بفنيين سوفيت (فى مصر) بينما تستمر أميركا فى حرمان إسرائيل من الأسلحة، فإنهم سيفسرون هذا بأنه يعنى أن فى استطاعتهم المضى إلى ما هو أبعد»!

واختتم إسحاق رابين مرافقته العاطفية بقوله: «مرة أخرى يا سيادة الرئيس.. اننى أناشدك باعتبارك الرجل الوحيد الذى نثق فى تعاطفه وتفهمه لنا: أعطنا الأسلحة التى نحتاجها»! مع ذلك فلم يكن اسحق رابين ساذجا، لقد خرج من المقابلة لكى يبرق إلى حكومته فورا بفحواها، معلقا فى النهاية بقوله: «إننى لا أعتقد أن أمامنا أية فرصة للحصول على طائرات إضافية الآن (غير تعويض ما يسقطه المصريون لنا).. فإذا كنا نريد طائرات يجب علينا أن نتكيف مع القواعد الجديدة للعبة».

متاعب مع الحلفاء

كانت لكل من طرفى الصراع أذن- مصر وإسرائيل- متاعبه المستمرة مع حليفه. ولكنه يتكتمها تماما عن الطرف الآخر ويتظاهر بعكسها علنا، فالسوفييت من البداية كانوا أصلا غير متحمسين بالمرّة لقرار مصر بالبدء فى شن حرب الاستنزاف، ولكن وجهة نظر عبد الناصر من البداية- طبقا لما سجله محضر رسمى: سرى للغاية، للمحادثات التى جرت بينه وبين الرئيس الجزائرى هوارى بومدين والرئيس العراقى عبد الرحمن عارف- وهى أن الموقف المصرى النهائى هو الكفاح المسلح.. «وعندما يجد السوفييت أننا مصرون تماما على الكفاح المسلح، سيجدون أنفسهم مضطرين فى النهاية للسير معنا، بالرغم من تخوفهم الدائم من أن الكفاح المسلح فى جبهتنا قد يشعل المنطقة كلها».

بعدها كان السوفييت متعلمين تماما من ضغوط الرئيس جمال عبد الناصر عليهم للمشاركة بوحدات سوفيتية للمشاركة فى الدفاع الجوى المصرى عن المدنيين فى العمق. لكى يكسب وقتا تتفرغ فيه القوات المسلحة المصرية لجبهة القتال، والآن أيضا- فى مارس ١٩٧٠- ينقل السوفييات إلى جمال عبد الناصر رغبة أمريكية بالوصول إلى وقف متبادل، وغير معلن، للحرب، ولكن عبد الناصر من البداية اعتبر قرارات الحرب والسلام هى مسئولية مصر وحدها، فالأرض المحتلة أرض مصرية وعربية، وليست أرضا سوفيتية، ولذلك فقد كان يسوق السوفييات إلى حيث يرى مصلحة مصر، وهى الآن تأخذ بثأرها وتمنع عملية إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، فيجد السوفييات أنفسهم مضطرين فى النهاية إلى تقديم المزيد من الأسلحة والدعم.. ويقدمون على مخاطرة رفضوا أن يتحملوا مثلها منذ الحرب العالمية الثانية.. لأنهم رأوا البديل أمامهم يمثل مخاطرة أكبر.

وطوال هذا كله لم يخرج عبد الناصر بمتاعبه مع السوفييات إلى دائرة العلانية لأن العبرة فى النهاية هى: هل يقترب الجيش المصرى يوما بعد يوم من إمكانية تحرير الأرض المحتلة بقوة السلاح، أو لا؟.

إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط

أما فى الجانب الإسرائيلى وعلاقته بالولايات المتحدة فلم يكن الأمر يتعلق فقط بإمدادات السلاح التى تلح إسرائيل دائما عليها، إنه يتعلق بقدرة بقاء إسرائيل كدولة تتوسع

باستمرار، وهو بقاء مرهون تماما بمدى سخاء المساعدات الأمريكية، وإلى جانب ذلك، فإن إسرائيل تريد أن تكون الأداة، والشريك الإقليمي للقوة العظمى، فى عملية إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، ولكنها تعرف أيضا أن الولايات المتحدة هى الشريك الأكبر فى العملية كلها، وبالطبع، فإن من حق الشريك الأصغر دائما أن يشكو، ويتذمر، ويتوسل، ويستعطف، ويحتج، ولكن فى النهاية ليس أمامه سوى الإذعان حينما تصل الولايات المتحدة إلى قرار، ورجل إسرائيل داخل الإدارة الأمريكية- مثل والت روستو فى إدارة الرئيس جونسون.. وهنرى كيسنجر فى إدارة الرئيس نيكسون- يبلورون فقط الدور الإقليمي لإسرائيل لكى يتمشى مع المصالح الكونية للولايات المتحدة كقوة عظمى، ويسعون لكى يحقق هذا الدور أكبر قدر من الأرباح.

ولكن المشكلة الطارئة، والتى تحولت بالتدريج إلى أن تصبح عقبة كبرى، كانت هى فى إصرار مصر على أن تمنع إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط من أساسها، وكان هذا الإصرار مصحوبا بعزيمة لا تلين من تلك القوات المسلحة الجديدة التى قامت مصر ببنائها، والعزيمة الفولاذية التى تولدت لدى الشعب المصرى فى إيمانه بأن «ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة».

ومن تلك النقطة فصاعدا، لن يلخص هذه العزيمة والإرادة المصرية أكثر من حائط الصواريخ الذى يخطط المصريون الآن لإقامته موقعا بعد موقع، متقدمين من شرق القاهرة، إلى الشرق فى اتجاه جبهة القتال بطول قناة السويس.

ياريف مع سيسكو

وفى السابع من ابريل أوفدت إسرائيل على وجه السرعة إلى واشنطن الجنرال أهارون ياريف رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية، كمحاولة جديدة لإقناع الإدارة الأمريكية بسرعة التدخل لمنع تحول ميزان القوة لمصلحة مصر، إن إسرائيل ما تزال متفوقة على مصر بهامش كبير بالنسبة للطائرات وبعض المجالات الأخرى، ولكن نجاح المصريين فى إقامة شبكتهم الصاروخية الجديدة، لو قدر له أن يتم فعلا معناه أن المصريين سيصبح فى استطاعتهم التحول إلى المرحلة الأخيرة من حرب الاستنزاف، وهى الهجوم الشامل فى سيناء لتحرير الأرض، وهذا هو ما تقصده إسرائيل فى تلك المرحلة من الحديث عن «تحول ميزان القوى».

وفى اجتماع عقدة الجنرال ياريف مع جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية شرح له موقف حكومته ثم سأله : الآن.. ما الذى أستطيع أن أخبر به حكومتى بشأن طلباتنا العاجلة من الأسلحة؟.

ورد عليه سيسكو قائلا : «قل إن الخلافات تم تضييقها . وأنه يجرى التعاطف مع موقفكم . وأن الولايات المتحدة لن تسمح بتحول ميزان القوى ضد إسرائيل» .
لم يكن هذا كلام ينطلى على مدير مخابرات ، لكن الذى تصدى للرد بدلا منه كان هو السفير اسحاق رابين ، الذى كان حاضرا المقابلة ، ويقول رابين عن تلك المقابلة السرية غير المعلنة : «إننى لم أستطع كبح جماح غضبى ، فنحن ، ولعدم وجود أى اختيار آخر أماننا ، وافقت على الأسلوب الجديد لإمدادنا بالأسلحة ، ولكن ماذا كانت النتائج العملية لهذا الأسلوب؟.. إننا حتى الآن لم نتسلم ولا ذيل طائرة واحدة- بخلاف تنفيذ الالتزامات السابقة» .

من ماثير.. إلى نيكسون

حينما فشل ياريف رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى مهمته ، جربت إسرائيل أسلوبا آخر ، لقد بعثت غولدا ماثير رئيسة وزراء إسرائيل برسالة شخصية إلى الرئيس ريتشارد نيكسون تعبر له فيها عن قلقها العميق من انه ، بالرغم من تزايد الانغماس السوفيتى فى حرب الاستنزاف المصرية ، فإن الولايات المتحدة لم توافق- بعد- على طلبات إسرائيل من الأسلحة الإضافية .

وفى نفس الوقت بعثت غولدا ماثير إلى سفيرها فى واشنطن بقائمة الأسلحة العاجلة التى تريدها إسرائيل من الحكومة الأمريكية : فإسرائيل تريد طائرات فانتوم ، وسكاى هوك ، والمزيد من صواريخ هوك أرض- جو ، وجو- جو ، وآلاف القنابل ، وعدد ضخم من الدبابات ومعدات الرادار .

مرة أخرى كان الرد : الحكومة الأمريكية تدرس طلبات إسرائيل.. بمنتهى الأهمية .
تلك إذن هى الظروف التى اضطرت إسرائيل إلى وقف غارتها الوحشية فى العمق المصرى . ظروف تعتمد على عاملين أساسيين : صلابة المقاومة المصرية .. وفقدان إسرائيل لثقتها السابقة فى استمرار إمدادها بالمزيد من الطائرات والأسلحة الأخرى.. وهو موقف امريكى نشأ بدوره عن تنبهه إلى الخسائر التى تلحق بأمريكا فى العالم العربى نتيجة مواقفها

السابقة فى تسللح إسرائيل علنا لضرب المصريين فى العمق ، أما الحادث العابر الذى روجت له إسرائيل.. وهو تسجيل حوار باللغة الروسية بين طيارين تصدوا لها فى يوم ١٨ ابريل بطائرات ميج- ٢١.. فلم يكن سوى الذريعة السياسية لتنفيذ قرار جرى اتخاذه فعلا منذ أواخر مارس لاعتبارات عسكرية محددة.

حرب الصواريخ والطائرات

ويعلق إسحاق رابين على تلك الأزمة الصامته بين إسرائيل والولايات المتحدة فى مارس- ابريل ١٩٧٠ بقوله : «إن هذه السياسة (الأمريكية) تركتنا فى موقف كئيب ، لكن ما يزال هناك ما هو أسوأ ، فإذا استمر إيقاع التدخل العسكرى السوفيتى ، وحرك الروس (!) نظام الصواريخ أمامنا إلى منطقة القناة ذاتها ، فلن تكون لدينا طريقة لمواجهة مظلة الصواريخ (المصرية) هذه».

ويضيف رابين : لقد شرح لى صديق أمريكى فى الإدارة (الأمريكية) تلك المسألة بطريقة مؤلة حينما قال لى : «إذا تم تحريك صواريخ سام- ٢ وسام- ٣ أمامنا فى اتجاه القناة ، فإننا لا نمتلك حاليا المعدات القادرة على تدميرها ، إنها لا تصبح مسألة اعتبارات سياسية تتعلق بما نعطيه لكم أو لا نعطيه ، ففى الحرب بين الصواريخ والطائرات ستكون اليد العليا هى الصواريخ ، والآن فى هذه اللحظة ، فإننا لا نمتلك الوسائل العسكرية (اللازمة) للتعامل معها».

وهكذا أصبحت إسرائيل أكثر استماعة فى محاولتها منع المصريين من التقدم أماما- فى اتجاه قناة السويس- بحائط الصواريخ ، وأعلن أيجال ألون نائب رئيسة وزراء إسرائيل (فى ٣٠ مارس) إن إسرائيل تنوى القيام بأقصى مجهود للحيلولة دون توسيع شبكة الدفاع المصرية ، وأن وجود صواريخ سام- ٣ فى مصر يقلب ميزان القوى فى الجبهة المصرية الإسرائيلية.

فى نفس الوقت ، بدأ جمال عبد الناصر فى القاهرة يوافق منذ ١٨ ابريل على قيام الطائرات المصرية بالتصدى للغارات الإسرائيلية . من خلال قيامها بغارات تتم ضد المواقع الإسرائيلية فى عمق سيناء.

□□□

الفصل الخامس عشر

الوعود الأمريكية لمصر

- عبد الناصر: إننا لا نثق فيكم لانحيازكم لإسرائيل، ففي كل مشروع تتقدمون به تطلبون منا تنازلات جديدة.
- نيكسون يخطر إسرائيل:
- نحن وأنتم نواجه امتحانا عصيبا يفرضه المصريون
- كيسنجر يقدم استقالته ويهدد:
- إما أنا.. أو الصواريخ المصرية غرب قناة السويس
- محضر اجتماع عبد الناصر مع سيسكو في ١٢ أبريل ١٩٧٠



حتى الآن كانت سياسة «العصاة الأمريكية ضد مصر قد استهلكت نفسها ولم تأت بأهدافها، لقد جربت الولايات المتحدة إمداد إسرائيل بطائرات الفانتوم، وإغماض عينها غالبا- مع التشجيع غير الرسمي كثيرا- لغارات إسرائيل الوحشية ضد المدنيين المصريين، بل وتوجيه إنذار صريح لمصر في فبراير (١٩٧٠) بقبول وقف إطلاق النار بلا قيد أو شرط، وكذلك محاولة شق فجوة بين الاتحاد السوفيتي ومصر.. دون أن يؤدي هذا إلى النتيجة المرجوة، وهي وقف حرب الاستنزاف المصرية باعتبارها عنصر التفاعل المحوري في اشتعال العالم العربي كله بالعداء ضد السياسات الأمريكية.

وهنا قررت الولايات المتحدة أن تجرب مدخلا آخر، ليس من الواضح حتى الآن، وعلى رغم مرور سنوات عديدة من الذي دفع إليه.. بالرغم من إنه كان يبدو أقصر الطرق من البداية. إن الرئيس ريتشارد نيكسون قرر فتح حوار مباشر مع مصر.. في ظل فشل جميع المداخل الأخرى.

ولأن الإدارة الأمريكية من جانبها أدركت مسبقا أن مثل تلك الرغبة في الحوار لن تكتسب مطلقا مصداقية لدى الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة في وقت تستخدم فيه إسرائيل طائرات الفانتوم الأمريكية لقتل المدنيين المصريين في العمق المصري، فقد سارع دونالد بيرجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة إلى طلب مقابلة محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، لأنه مكلف بإبلاغ رسالة هامة وعاجلة من الحكومة الأمريكية إلى مصر.

وتمت إحالة دونالد بيرجس إلى مكتب السفير صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية، الذي وافق على استقبال بيرجس للاستماع إلى رسالته وفي المقابلة قال بيرجس أن إعلان الرئيس نيكسون تأجيل البت في طلبات إسرائيل بالمزيد من الطائرات التي تلح عليها هو مجرد بداية سياسية جديدة للولايات المتحدة في المنطقة، ولذلك فإن الإدارة الأمريكية تأمل في أن تعرض على الحكومة المصرية قدوم جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية خصيصا لكي يشرح التفكير الأمريكي الجديد. فإذا وافقت القاهرة من حيث المبدأ، فسوف تقرر واشنطنون إيفاء سيسكو إلى الشرق الأوسط في مهمة. ستكون القاهرة محورها، وفي نفس الوقت، فإن الحكومة الأمريكية ترجو أن يتمكن جوزيف سيسكو من مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر لكي ينقل إليه الموقف الأمريكي الجديد.

سيسكو فى القاهرة

وطلب محمود رياض من السفير صلاح جوهر أن ينقل إلى بيرجس ما يلى : «بالنسبة للشق الأول فإن الخطوة الأمريكية بتأجيل البت فى طلبات إسرائيل من الطائرات ، فإن مصر تعتبرها خطوة إيجابية بشكل عام ، لكن «من الناحية العملية تعرف الولايات المتحدة أن إسرائيل تمتلك التفوق الجوى فعلا ، ثم إن وزير الخارجية الأمريكى أعلن فى نفس البيان أن الولايات المتحدة سوف تعيد النظر فى قرارها إذا حدث خلل فى الميزان الحالى للقوى . ويعنى ذلك أنه إذا قام الاتحاد السوفيتى بتزويدنا بالأسلحة لزيادة قدراتنا الدفاعية ، فإن الولايات المتحدة سوف تستأنف تزويد إسرائيل بالمزيد من الطائرات ، ولذلك فإن مثل هذه الخطوة تستهدف فى الواقع الضغط على الاتحاد السوفيتى لإيقاف إمداداته العسكرية إلى مصر بالدرجة الأولى».

أما بالنسبة للشق الثانى من الرسالة فإن القاهرة ترحب بقدوم جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية إليها مبعوثا من الحكومة الأمريكية ، وسوف يجتمع به السيد محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، ولكن استقبال أو عدم استقبال الرئيس جمال عبد الناصر له لا يمكن تقريره بشكل مسبق إلا على ضوء مضمون مقابله مع السيد محمود رياض.

ووصل سيسكو إلى القاهرة فى العاشر من إبريل ، حيث استقبله محمود رياض فى اليوم التالى ، وفى تلك المقابلة كرر سيسكو طلب الولايات المتحدة باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر . وتلقى سيسكو نفس الرد المصرى التقليدى : لا علاقات إلا فى ظل موقف رسمى معلن وصريح للولايات المتحدة من مبدأ التزام إسرائيل بالانسحاب الكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة نتيجة لحرب يونيو.

ثم تحدث سيسكو عن سياسة أمريكية جديدة فى المنطقة ، وشرح معالمها وخطوطها العريضة.

عبد الناصر وسيسكو

وفى اليوم التالى - ١٢ إبريل - وافق الرئيس جمال عبد الناصر على استقبال جوزيف سيسكو ، وفى البداية حاول سيسكو أن يبدو منبسطا فى حديثه . فقص على الرئيس عبد الناصر ثلاث نكات كان قد رواها لوزير الخارجية محمود رياض من قبل ، «وذلك نهجا على الأسلوب الأمريكى للتخفيف من جفاف الحديث وخلق جو من الألفة».

ثم توجه سيسكو بالسؤال إلى جمال عبد الناصر: سيادة الرئيس. لماذا لا تبأشر معنا حوارا دبلوماسيا وسياسيا مباشرا. ولماذا تصمأون للاتأاد السوفيتي بالآوار معنا باسمكم؟. «وهنا فوجئ جوزيف سيسكو برآ صريح من جمال عبد الناصر الذى قال له: «إننا لا نثق فيكم لانأيازكم لإسرائيل، ثم إنكم فى كل مشروآ تتأدمون به تطلبون منا تنازلات جديدة». وهنا حاول سيسكو أن يقآع الرئيس جمال عبد الناصر بأن هناك الآن تغييرا جذريا فى سياسة الولايات المتحدة، وأن من المهم أن نثق مصر فى آسن نوايا السياسة الأمريكية الجديدة. ورد عليه عبد الناصر قائلا: «إن آسن نواياكم الذى تبأشر به يجب أن يكون واضأا ومعلنا وقائما على تصرفات محددة وليس على مجرد وعود غامضة».

وطبقا لمأضر الاجتماع، وهو مصنف «سرى جدا»، فإن جوزيف سيسكو قال للرئيس جمال عبد الناصر إنه مكلف من الحكومة الأمريكية بأن ينقل إليه ما يلى: «إن الولايات المتحدة لها نفوذها على إسرائيل بصفة خاصة، وذلك يشكل مقآاأا لحل الأزمة، ونحن نذكره لكم صراحة».

«إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية متوازنة، وليس فى صالحنا أن ننأاز إلى جانب معين».

«إننا نأكم بأن نقول للإسرائيليين.. إنهم إذا أرادوا السلام، فإنه لا يمكن أن يقوم على أساس اكتساب الأراضى فى الجولان أو غزة أو الضفة الغربية أو سيناء أو القدس». «إننا من جانبنا لا نقبل موقف إسرائيل الذى يطالب بإأراء مفاوآات مباشرة دون شروط مسبقة، لأن هذه الشروط المسبقة موجودة فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢».

«وأن موقف الرئيس نيكسون من أآم تزويد إسرائيل بأمس وعشرين طائرة فانقوم ومائة طائرة سكاي هوك هو قرار فى صالح السلام ويتمشى مع دور الولايات المتحدة فى آفظ السلام».

«إننا نأمل فى أن تعطى القاهرة واشنطن فرصة للاأآبار، تتمثل فى قبول الجمهورية العربية المتحدة لمقآرات روجرز فى أأأوبر (والمتعلقة بمصر) وفى ديسمبر ١٩٦٩ (المتعلقة بالأردن).. والتى تنص على الانسأاب الإسرائيلى الكامل، إن هذا سوف يعأبر موقفا إيجابيا من جانب مصر (الجمهورية العربية المتحدة) من شأنه أن يؤدى إلى بذل أقصى آهد للوصول إلى الحل المعقول».

وفى الخلاصة، قال سيسكو: إن الإدارة الأمريكية تبلور أفكارها فى مبادرة جديدة سوف تستأيب لإصرار مصر على التسوية الشاملة وأنها: «سوف تكون فى صف العرب

بمقدار ٩٥ بالمائة.. فضلا عن أنها تستجيب لرفض مصر الدخول في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل.

وقد انتهت المقابلة حينما طلب جمال عبد الناصر من سيسكو أن ينقل تحياته إلى الرئيس نيكسون، وأنه سوف يدرس فحوى تلك المهمة، وإذا انتهى إلى موقف إيجابي منها فسوف يكون رده عليها واضحا ومباشرا وعلنيا، بعدها سافر سيسكو إلى العاصمة الأردنية عمان، حيث لم يستطع دخولها بسبب المظاهرات الضخمة المعادية للولايات المتحدة.

حوار السلاح

كانت مهمة جوزيف سيسكو في القاهرة، بتعليمات من الرئيس نيكسون، تطورا هاما، ولكن حرب يونيو ١٩٦٧ علمت مصر درسا لن تنساه، ولم يكن يعيش هذا الدرس ليل نهار أكثر من جمال عبد الناصر على وجه الخصوص، وهو الآن لم يعد يثق إلا في شيء واحد فقط هو: القدرة القتالية للجيش المصري التي تستطيع فرض أمر واقع جديد في المنطقة بقوة السلاح.

وهو حوار السلاح لم يتوقف لحظة واحدة، إن الغارات الإسرائيلية الجوية على الجبهة المصرية في تلك الفترة أصبحت بمعدل ٥٢٦ طلعة أسبوعية، والهدف الإسرائيلي الآن هو: منع مصر بأي ثمن من استكمال بناء حائط الصواريخ في جبهة القناة، وهاجمت الطائرات المصرية مستعمرة «ناحال يام» الإسرائيلية في سيناء على مسافة مائة كيلو متر إلى الشرق من قناة السويس، بعدها بيومين هاجمت المواقع الإسرائيلية في عمق سيناء قرب العريش. وفي اليوم التالي قام مائتان من وحدات الصاعقة المصرية، وهي وحدات فدائية خاصة، باحتلال موقع إسرائيلي في القطاع الجنوبي من قناة السويس ودمرته، وفي الثامن والعشرين من أبريل أغارت الطائرات المصرية مرة أخرى على المواقع الإسرائيلية في سيناء، في سادس هجوم كبير يقوم به الطيران المصري خلال أحد عشر يوما.

أما بالنسبة لموقف مصر من مهمة سيسكو، فالفرصة التي تطلبها الولايات المتحدة من مصر لاختبار جديتها، فقد أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر بعد عشرين يوما، ففي خطاب عام يوم أول مايو، وبعد استعراض عبد الناصر الموقف السياسي. وجه ندائه العلني إلى الرئيس نيكسون بأن على الولايات المتحدة أن تختار بين أحد موقفين: أن تأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.. أو أن تكف عن تقديم أي دعم جديد، عسكري وسياسي واقتصادي، لإسرائيل.. طالما هي تحتل الأراضي العربية.

لقد كان بيت القصيد في القصة كلها هو السلاح الأمريكي الذي تضمن به الولايات المتحدة لإسرائيل تفوقا مستمرا على الدول العربية . وخصوصا مصر، وهذا ما يعرفه جمال عبد الناصر.. وإسرائيل أيضا.

نيكسون وأبا إيبان

وحينما ذهب أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلي ليقابل الرئيس نيكسون في نفس الشهر، مايو ١٩٧٠، كانت مهمته الأساسية هي الحصول على المزيد من الطائرات، وقد مهدت إسرائيل لتلك المباحثات بحملة دعائية كبرى حول الوجود العسكري السوفياتي في مصر، للإيحاء للعالم بأن إسرائيل تواجه الاتحاد السوفياتي في ميدان القتال، وليس مصر. وقد صحب أبا إيبان في مقابله مع نيكسون. السفير إسحاق رابين، كما حضرها من الجانب الأمريكي هنري كيسنجر مستشار الرئيس للأمن القومي وجوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية.

وتساءل الرئيس نيكسون: على ضوء الانغماس السوفياتي في مصر، هل ما زال موقف إسرائيل- كما سمعت ذات مرة من السفير رابين- هو: «أعطينا الأدوات (الأسلحة) ونحن نؤدي المهمة»؟.

وقبل أن يرد وزير الخارجية الإسرائيلي. سارع السفير رابين بالإجابة: نعم! لكن نيكسون وجه بعد ذلك إلى أبا إيبان سؤالاً له مغزى أكبر: هل ما تزال سياسة إسرائيل هي (التعهد لنا) أن القوات الأمريكية لن تتورط في أي تطور منظور للحرب في الشرق الأوسط؟

إجابة إيبان: نعم!

قال الرئيس نيكسون: حسنا، هذا هو كل ما أردت أن أسمع.. و «في هذه الحالة ستحصلون على الأسلحة. بشرط ألا تصروا على قدر كبير من العلانية».

ولكن يبدو أن تلك الكلمات من نيكسون كانت مقدمة إلى شيء آخر غير ما يريده وزير الخارجية الإسرائيلي وسفيره. لقد قال نيكسون: لو كان الأمر يتعلق فقط بكم وبالمصريين والسوريين، فإنني كنت سأقول لكم: اضربوهم بعنف!، اضربوهم بأقصى ما تستطيعون

Let them have it! Let them have it..

Hit them as you can!

ثم أضاف نيكسون قائلا: فى كل مرة كنت أستمع فيها باختراقكم لأراضيهم وضربكم لهم بعنف وقسوة كنت أشعر بالرضا..

امتحان عصيب

ولكن، بعد أن تأكد نيكسون من اطمئنان ايبان ورايين: سرعان ما جاء الكلام الجاد، لقد قال نيكسون: إننى أتفق معكم فى أن السوفيات والمصريين يضعوننا - نحن وأنتم - فى امتحان عصيب، ولكن المشكلة ليست مصر وسوريا، إن الدول العربية الأخرى فى الشرق الأوسط تراقبنا هى أيضا، ليس لدينا ذرة شك فى ذلك (لكن) وليس لدينا أى اختيار، يجب أن نمارس اللعبة بحيث لا يضيع منا كل شىء فى الشرق الأوسط.. واستدار نيكسون إلى وكيل الوزارة جوزيف سيسكو وسأله: جو.. هل تعتقد أنك تستطيع تدبير الأمر؟

ولم يعط سيسكو ردا مفيدا.

وهنا قال نيكسون: إننا نريد أن نساعدكم. وعليكم أن تساعدونا بغير أن تضروا أنفسكم أو تضرونا، ملعون.. هذا البترول! إننا نستطيع الحصول عليه من مصادر أخرى. (لكن) علينا أن نقف إلى جوار الدول المهذبة فى منطقة الشرق الأوسط. إننا سندعمكم عسكريا، ولكن التصعيد العسكرى لا يمكن السماح له بالاستمرار إلى ما لا نهاية. يجب أن نفعل شيئا سياسيا..

وكان وزير الخارجية الاسرائيلى آبا ايبان أكثر خبرة من سفيره إسحاق رابين بما يجعله يدرك النذير السيئ فى كلمات الرئيس نيكسون، فاستمرار حرب الاستنزاف المصرية لا يعنى فقط إصرار مصر على تغيير الأمر الواقع، ولكنه يؤدى أيضا إلى تزايد العداء ضد المصالح الأمريكية فى العالم العربى، وفى مقدمتها المصالح البترولية، ومجرد أن تعطى أمريكا السلاح وتقوم إسرائيل بتنفيذ «المهمة».. قد فشل فى الماضى، فهو لم يكسر أنف المصريين ولا قلل من صلابتهم أو شعر عبد الناصر بالإذلال، ولذلك يجب أن نفعل شيئا سياسيا.

وحشدت إسرائيل كل أنصارها فى واشنطن للضغط على نيكسون. ووقع ٨٥ عضوا من كل أعضاء المائة فى مجلس الشيوخ الأمريكى على بيان قدموه إلى وليم روجرز وزير الخارجية يطالبون فيه بضرورة سرعة تزويد إسرائيل بالمزيد من الأسلحة. وخصوصا المزيد من الطائرات.

أزمة الصواريخ

وفى إسرائيل ذاتها كانت حالة هستيريا تتضاعف كلما تقدم المصريون بموقع صاروخي جديد فى اتجاه جبهة قناة السويس ، وعلى رغم الغارات الإسرائيلية المركزة التى لم تتوقف أبدا تمكنت الصواريخ المصرية غرب القناة فى الثلاثين من مايو من إسقاط طائرة استطلاع جوى اليكترونى وبها ١٢ خبيرا فنيا إسرائيليا «كانت الولايات المتحدة قد دعمت إسرائيل بها لإمكانية استطلاع مواقع الصواريخ الجديدة فى العمق».

وخرج موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى يعلن أن إسرائيل مصممة على منع المصريين من إدخال صواريخها إلى أى منطقة تبعد عن قناة السويس بأقل من ثلاثين كيلو مترا، لأن هذا سيكون معناه انقلابا فى ميزان القوى، وتسليما للمصريين بإمكانية الهجوم الشامل فى سيناء فى أى وقت.

والتقط وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى هذا التصريح لوزير الدفاع الاسرائيلى، وفى مقابلة له يوم ٢ يونيو مع دوبرينين السفير السوفياتى فى واشنطن قال له روجرز: إن الفنين السوفيات لو تقدموا إلى مسافة تقل عن ٣٠ كيلو مترا غرب القناة، فإن الإدارة الأمريكية ستكون مضطرة إلى إعادة النظر فى موقفها بالكامل (بشأن التوازن العسكرى). وحينما عرف هنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى، بفحوى تلك المقابلة، أصبح مضمونها يمثل القشة الأخيرة بالنسبة له، إن نجم كيسنجر داخل الإدارة الأمريكية يلمع بعد أن أشركه الرئيس نيكسون فى الاتصالات السرية الجارية فى ذلك الوقت مع الاتحاد السوفيتى وأطراف دولية أخرى، لكن الرئيس نيكسون منعه من التدخل فى سياسات الشرق الأوسط بالذات، وجعل تلك المنطقة من اختصاص وليم روجرز وزير الخارجية، وكيسنجر تظاهر طبعاً بقبول هذا القيد، ولكنه مع ذلك كان يقدم «نصائحه» أولا بأول إلى السفير الاسرائيلى إسحاق رابين، وهو يروج لفكرة أن هناك تأثيرا متبادلا بين الموقف فى الشرق الأوسط والموقف فى أجزاء أخرى من العالم - على مستوى العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - وكذلك لفكرة إنه منذ أصبحت للسوفيات وحدات مقاتلة فى العمق المصرى فإن «التوازن السياسى يكون قد تغير بشكل فادح؛ بحيث يمكن قلب التوازن العسكرى فى أى لحظة يختارها السوفييت». إن إسرائيل ليست معفاة من المسئولية عن الحالة التى وصلت إليها الأمور، ولكننا سنكون قادرين على التعامل مع المشكلة فقط بعد التفوق فى التحدى العسكرى».

بكلمات أخرى : لابد لأمريكا أن تعطي إسرائيل المزيد من الأسلحة عقابا للسوفييات ، ومن قبل التواجد السوفيياتي كانت حجته هي : لابد لأمريكا من إعطاء المزيد من الأسلحة لكي تقوم بإذلال جمال عبد الناصر ، ومن قبل هذا وذاك ، كان خط كيسنجر استمرارا لمذكرة والت روستو ، سلفه اليهودي الصهيوني في منصب مستشار الرئيس للأمن القومي في إدارة الرئيس جونسون ، والتي ترسم لإسرائيل الدور الاساسي والمعلى في إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بعد حرب يونيو.

والآن جاءت مقابلة وزير الخارجية ولیم روجرز مع السفير السوفيياتي دوبرينين لكي تصبح القشة التي ستفجر كل مرارة هينري كيسنجر وحقده ضد التطور المستمر الذي تحققه القوات المسلحة المصرية في حرب الاستنزاف ، إن روجرز حذر السوفييات من عدم الدخول بأطقم صواريخهم إلى مسافة تتجاوز ثلاثين كيلو مترا من غرب قناة السويس (وهو أصلا تخوف معلن من موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي) .. وبالنسبة لكيسنجر فإن هذا معناه إعطاء السوفييات شيكا على بياض ، وإذعانا للوجود العسكري السوفيياتي في مصر ، طالما لم يحركوه مباشرة في منطقة القتال .. خلال شهرين سيكونون في موقف يسمح لهم بنقل وحداتهم بسرعة إلى منطقة القناة.

إن الذين يتقدمون بالصواريخ نحو القناة هم المصريون «رجال اليوم السابع» ، وليسوا السوفييات ، والسوفييات لم يكن لهم وجود عسكري إلا في العمق المصرى لحماية الأهداف المدنية المصرية لفترة مؤقتة ، كيسنجر نفسه يعرف ذلك من تقارير المخابرات العسكرية التي تصب في مكتبه ، ومع ذلك فإنه يريد أن تضغط الولايات المتحدة على السوفييات ، أملا في أن يضغط السوفييات بدورهم على المصريين لوقف الحرب.

كيسنجر يقدم استقالته

وذهب كيسنجر إلى جون إيرليخمان مدير مكتب الرئيس نيكسون يسجل غضبه على سلوك وزير الخارجية روجرز ، ففي جميع الأحوال يجب منع المصريين بأي ثمن من الاقتراب بصواريخهم الجديدة من القناة ، إن القناة ومصر وإسرائيل وسياسات الشرق الأوسط كله ليست من اختصاص كيسنجر . ومع ذلك فإن تعصبه الأعمى لإسرائيل جعله في تلك اللحظة يكاد يفقد الوعي لكن جون إيرليخمان ربما رأى «أن غضب كيسنجر هذا هو مجرد خداع وحيلة في صراعه الطويل (مع روجرز) للسيطرة».

وقرر كيسنجر تقديم استقالته إلى الرئيس نيكسون! إن كيسنجر يستثمر لحظة انغمس فيها الرئيس نيكسون في السياسات المتعلقة بحرب فيتنام، وبغزو كمبوديا، لكي يتخذ موقفاً يعنى بصراحة العبارة: إما أنا.. أو الصواريخ المصرية في غرب قناة السويس. ولم يهتم الرئيس نيكسون باستقالة كيسنجر، وكل ما فعله هو أنه طلب من جون إيرليخمان وجون ميتشل الجلوس معه لتحدثته.

وحينما اجتمع الثلاثة معاً، كيسنجر وإيرليخمان وميتشل، تقدم كيسنجر بورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة تتضمن ثلاث نقاط: أولاً أن يتوقف الهجوم المباشر أو غير المباشر على كيسنجر لأنه بمثابة هجوم على الرئيس (نيكسون).

ثانياً: كل البرقيات التي تتضمن مواقف سياسية. خصوصاً ما يتعلق منها بالشرق الأوسط، يجب عرضها أولاً على البيت الأبيض من قبلها بوقت كاف (حتى تكون لدى كيسنجر فرصة الإطلاع عليها مسبقاً).

ثالثاً: كل الاتصالات (التي يقوم بها وزير الخارجية روجرز) مع (السفير السوفياتي) دوبرينين يجب الحصول على موافقة مسبقة عليها قبلها بوقت كاف، ولا بد من الاتفاق على نقاط التباحث في تلك الاتصالات مسبقاً. ثم يتم تقديم تقرير كامل عنها بعدها.

«ولم يأت تهديد كيسنجر بمفعوله، فقد رفض الرئيس نيكسون إيقاف وزارة الخارجية» عن اتصالاتها مع السوفيات بشأن الشرق الأوسط، أو اتصالاتها مع مصر بعد موافقة الرئيس جمال عبد الناصر على «إعطاء فرصة جديدة لاختبار السياسات الأمريكية الجديدة» بالمنطقة.

مع ذلك، فبمجرد أن عرف كيسنجر بأن وزارة الخارجية تدرس مشروعاً لوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل. تقدم في ١٦ يونيو بمذكرة إلى الرئيس نيكسون يحذر فيها من أن مشروع وقف إطلاق النار «هو مشروع في غير محله، ما لم يتضمن تسوية قضية الوجود العسكري السوفيتي (في مصر)، وهي التي تبدو لي جوهر المشكلة».

ولم يهتم أحد في الإدارة الأمريكية كلها بتلك التشخيصات الملتوية التي يقدمها كيسنجر. أكثر من ذلك. ففي نفس اليوم قام الرئيس نيكسون بتفويض وليم روجرز وزير الخارجية بالاتصال بمصر لتقديم مبادرة أمريكية (سوف تصبح فيما بعد معروفة باسم مبادرة روجرز) تتمشى مع خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في أول مايو.

□□□

الفصل السادس عشر

المقترحات الأمريكية

- الولايات المتحدة تهدد بعودة إسحاق رابين ليرأس حكومة جديدة تقبل بها
- أخيرا تحركات أمريكية للالتزام بالانسحاب الاسرائيلي الشامل.
- فى محضر سرى.. أمريكا تقدم تعهدات رسمية إلى مصر
- إخراج بيغن من الحكومة الإسرائيلية
- انسحاب كامل من سيناء وغزة والضفة الغربية
- انسحاب من الجولان لو قبلت سوريا القرار ٢٤٢
- لا مفاوضات مباشرة مع إسرائيل.
- لا طائرات أمريكية جديدة لإسرائيل طوال وقف إطلاق النار.



فى ١٩ يونيو ١٩٧٠ بعث وليم روجرز وزير الخارجية الامريكى برسالة شفوية إلى القاهرة، تسلمتها الخارجية المصرية فى اليوم التالى من دونالد بيرجس رئيس قسم المصالح الأمريكية فى القاهرة.

وتبدأ الرسالة على النحو التالى:

عزيزى السيد وزير الخارجية

لقد قرأت بإمعان بيان الرئيس ناصر فى أول مايو، وملاحظاتكم التالية لمستر بيرجس، إن مستر سيسكو أيضا أفاد بالكامل بمحادثاته مع الرئيس ناصر ومعكم- التى جرت بالقاهرة فى ابريل- «ونحن نفكر جديا فيما يمكن عمله بشأن الموقف فى الشرق الأدنى». وانتهى روجرز فى رسالته إلى عرض مقترحاته، وأولها أن تتعهد كل من مصر وإسرائيل بإعادة وقف إطلاق النار لمدة محددة على الأقل، ثم.. تتعهد كل من مصر وإسرائيل، وكذلك الأردن وإسرائيل، بإصدار بيان يقدمه السفير جونار يارنغ فى شكل تقرير منه إلى السكرتير العام للأمم المتحدة، وينقل إليه فيه موافقة مصر وإسرائيل على:

١ - قيام كل من مصر وإسرائيل بتعيين ممثل لكل منهما فى المناقشات التى ستدور تحت إشراف يارنغ لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه.

٢ - هدف هذه المناقشات هو التوصل إلى اتفاق على إقامة سلام عادل ودائم بين مصر وإسرائيل يقوم على الاعتراف المشترك بحق كل منهما فى السيادة والاستقلال السياسى، والانسحاب الاسرائيلى من أراضى تم احتلالها فى نزاع ١٩٦٧ بما يتماشى مع القرار ٢٤٢.

٣ - موافقة مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة شهور على الأقل، اعتبارا من أول يوليو حتى أول أكتوبر.

ولأن الولايات المتحدة تعرف من البداية إصرار مصر على أن يكون الانسحاب الاسرائيلى شاملا للأراضى العربية الأخرى فى تسوية شاملة، فإن وزير الخارجية الامريكى يخطر مصر فى رسالته بأنه سيبعث برسالة معاملة إلى وزير خارجية الأردن- وهى رسالة تلقاها بالفعل عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن فى اليوم التالى.

أيضا، لأن الولايات المتحدة تعرف من البداية رفض مصر إجراء أى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل، فإنه وزير الخارجية الامريكى يخطر وزير خارجية مصر بأنه: «إننى أفهم

المشاكل التي تمثلها بالنسبة لكم المفاوضات المباشرة (مع إسرائيل)، ونحن أوضحنا منذ البداية أننا لا نقترح ممارسة مثل هذا الترتيب، على الرغم من أننا نعتقد، وحسب تقدم المناقشات، فإن الأطراف سوف تجد من الضروري التقابل معا في إحدى النقاط إذا كان لابد من قيام السلام بينهم.

وفي نهاية رسالته قال روجرز إنه ينتظر إجابة مبكرة من محمود رياض.

إيضاحات أمريكية

لقد تسلم السفير صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية تلك الرسالة من دونالد بيرجس في ٢٠ يونيو، وفي المقابلة قدم بيرجس إيضاحات رسمية إضافية من الحكومة الأمريكية إلى مصر، قائلا إنه يرجو أن تضع مصر «في اعتبارها أن الولايات المتحدة تطلب من الإسرائيليين ما يعتبرون أنها تنازلات مهمة، وخاصة فيما يتعلق بالموافقة على الدخول في مفاوضات غير مباشرة.. والموافقة على مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات».

وقال بيرجس إن «ذلك قد يبدو للقاهرة أنه لا يتعدى ما يجب على إسرائيل أن تقوم به، ولكن الإسرائيليين سيكون لديهم نفس الشعور بالنسبة لما هو مطلوب من الجمهورية العربية المتحدة أن تقوم به».

«وبالنسبة لطلب إسرائيل الحصول على المزيد من الطائرات الأمريكية. قال بيرجس إنه يود أن يكون واضحا ودقيقا فيما يتعلق بموقف حكومته، وهو أنها قررت ألا تتخطى الحد الذي تعهدت به في العقود المبرمة من قبل مع إسرائيل. وذلك خلال الفترة التي تبحث فيها مبادرة السلام الأمريكية، وأوضح أن المقصود بذلك أن يقتصر تسليم الطائرات إلى إسرائيل على الخمسين طائرة فانقوم المتعاقد عليها عام ١٩٦٨، ومائة طائرة سكاي هوك المتعاقد عليها ١٩٦٦، بحيث يبقى مجموع ما لدى إسرائيل في حدود هذا الإطار».

«ثم ذكر بيرجس أن عدد الطائرات الفانقوم التي تكون إسرائيل قد تسلمتها حتى نهاية شهر يونيو الحالي سوف يصل إلى ٤٤، وكما أنها سوف تتسلم ثلاث طائرات في يوليو، وثلاث أخرى في أغسطس، فتستوفي بذلك عدد الخمسين طائرة فانقوم، أما بالنسبة للسكاي هوك. فقال إنه تم تسليم ٨٨ طائرة، والمتبقى من العدد المتعاقد عليه - مائة طائرة - سوف تسلم خلال الشهور القادمة.

أضاف بيرجس أن الحكومة الأمريكية قد أعدت ترتيبات احتياطية تسمح لها بتعويض إسرائيل مستقبلا عما تفقده من طائرات لو تطلب الأمر ذلك.

وقال بيرجس إن الحكومة الأمريكية مستعدة لإيفاد جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية إلى لندن أو أى مكان آخر فى منتصف الطريق، للالتقاء بمسئول من الخارجية المصرية «وأجراء المزيد من المناقشات حول هذه المقترحات» وأنه يكرر «رجاء عدم نشر المقترحات المقدمة» وإن «روجرز سوف يدلى خلال الأسبوع القادم بتصريح عن الشرق الأوسط لن يتضمن سوى إشارة عامة» عن هذه المبادرة الأمريكية، دون الإفصاح عن مضمونها أو تفصيلاتها، راجيا فى النهاية مقابلة السيد محمود رياض وزير الخارجية عندما يسمح وقته بذلك.

ومن وجهة النظر المصرية حينئذ، فإن أهم تعهد تقدمه الولايات المتحدة إلى مصر، طبقا للمحضر الرسمى لتلك المقابلة، والمصنف باعتباره «سرى للغاية»- هو أنها لن تسلم طائرات جديدة لإسرائيل خلال فترة المبادرة، على الرغم من أن إسرائيل كانت تلح منذ ثمانية شهور للحصول من الولايات المتحدة على ٢٥ طائرة فانتوم ومائة طائرة سكاي هوك جديدة غير المعلن عنها، وكل ما تسجله الولايات المتحدة الآن هو أنها ستقوم فقط بتعويض إسرائيل عن الطائرات التى أسقطها لها المصريون.

إبلاغ القاهرة بتصريحات روجرز مقدما

وعاد بيرجس يطلب مقابلة أخرى. تمت فعلا مع وكيل وزارة الخارجية المصرية بعدها بخمسة أيام. لكى يسلم مصر مقدما نص تصريحات سوف يدلى بها وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى إلى الصحفيين فى واشنطن فى نفس اليوم، بعد سبع ساعات، وأن تلك التصريحات تتم بناء على استفسارات القاهرة وبعض العواصم العربية الأخرى، وتحمل نصا خاصا بأن «الولايات المتحدة تعترف بأن الفلسطينيين هم طرف مهم يجب أن تؤخذ اهتماماته فى الحسبان فى أى تسوية».. وأن روجرز سيعتمد فى تصريحاته الإشارة إلى «حكومات وشعوب المنطقة» بما يعنى بالطبع.. الشعب الفلسطينى، وسلمه نص التصريح الذى سيدلى به روجرز فى التاسعة والنصف بتوقيت واشنطن عن المبادرة الجديدة، وكذلك نص الجزء الخاص بـ «الحقوق المشروعة» للشعب الفلسطينى.

وفى العاشرة من صباح اليوم التالى عاد دونالد بيرجس مرة أخرى ليجتمع مع صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية ويسلم إليه نص ما دار فى المؤتمر الصحفى الذى عقده روجرز وزير الخارجية الأمريكى فى واشنطن فى اليوم السابق، كما قدم إليه أيضا ما ورد

إليه من واشنطن عن نصوص المناقشات التي جرت في اجتماع ممثلى الدول الأربع الكبرى فى نيويورك قبل يومين.

وطبقا للنصوص الرسمية، فقد أعلن روجرز فى مؤتمره الصحفى أن الرئيس نيكسون كان قد أمر فى ٢٩ ابريل بعمل دراسة شاملة للموقف فى الشرق الأوسط، وبناء عليها قررت الولايات المتحدة اتخاذ «مبادرة سياسية كبرى» هدفها التحرك «نحو سلام عادل ودائم فى المنطقة، ولكنه لا يجد ملائما فى تلك اللحظة الكشف عن تفاصيلها».

وطبقا لمحضر اجتماع بيرجس وصلاحيات جوهر الأخير هذا، وما يزال مصنفا باعتباره «سرى جدا» فإن بيرجس قال إن حكومته كلفته بإبلاغ مصر رسميا بأنها: «ما تزال ملتزمة بموقفها الذى سبق أن أوضحته فى مقترحات روجرز السابقة فى أكتوبر وديسمبر ١٩٦٩، بشأن الانسحاب الاسرائيلى من سيناء ومن الضفة الغربية».

لا تجزئة للاحتلال الاسرائيلى

ثم أشار بيرجس إلى «الخطاب الذى ألقاه الرئيس (جمال عبد الناصر) أمس ٢٥ / ٦ بشأن ضرورة انسحاب إسرائيل من كافة الاراضى العربية، بما فى ذلك مرتفعات الجولان السورية». وقال إنه يقدر ظروف وقوع معركة كبيرة أمس بين إسرائيل وسوريا. كما يدرك أن الانسحاب يرتبط فى التفكير العربى بكافة الأراضى التى احتلت بعد ٥ يونيو ١٩٦٧، إلا إنه يرى شخصا أن سوريا تسببت أكثر من مرة فى العشرين سنة الماضية فى وقوع مصر فى مأزق، وأنه يأمل ألا تسمح لدمشق بأن تكون لها حق الفيتو على أية تسوية سلمية». وأجابه وكيل وزارة الخارجية بقوله: «إننا لا نعطي لأى أحد حق الفيتو، إنما يجب أن تدرك واشنطن أنه لا يمكن تجزئة مشكلة الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية، إن انسحاب إسرائيل يجب أن يكون من كافة الأراضى العربية تنفيذا لقرار مجلس الأمن».

ورد بيرجس بأن سوريا لم تقبل بعد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.. فقال له وكيل وزارة الخارجية إن من حق سوريا أن تفعل ذلك لأنها لم تكن ترى أى قدر من الجدية فى الموقف الاسرائيلى الأمريكى بشأن الانسحاب الكامل. والآن، إذا وجدت سوريا أدلة كافية على وجود مثل هذا الالتزام، فإن الموقف السورى سوف يكون متمشيا مع ذلك، وإلى أن تتوفر لدينا مثل تلك الأدلة فإننا لا نستطيع أن نطلب من السوريين إعلان قبولهم للقرار ٢٤٢.

سيسكو يجتمع بمحمد رياض

فى نفس هذا اليوم- ٢٦ يونيو ١٩٧٠- كانت تجرى فى واشنطن مقابلة أخرى على جانب كبير من الأهمية، وما تزال محفوظة فى الملفات المصرية باعتبار محضرها «سرى للغاية» ونشرها بالكامل بسبب انعكاساتها الهامة للغاية على الأحداث التالية.

إن محمد رياض، مدير مكتب وزير الخارجية محمود رياض (ولا توجد صلة قرابة بينهما) كان بدرجة وزير مفوض وأصبح فيما بعد وزير دولة للشئون الخارجية فى سنة ١٩٧٧ إلى أن استقال احتجاجا على زيارة السادات لإسرائيل فى سنة ١٩٧٧ وعين فى مكانه بطرس غالى، كان موجودا فى العاصمة الأمريكية فى تلك الفترة.

وحينما علم جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بوجود محمد رياض طلب الاجتماع به، وهو ما تم فعلا فى واشنطن صباح الجمعة ٢٦ يونيو، حيث أوبرق محمد رياض إلى القاهرة بنص ما دار فى الاجتماع، بادئا برقيقته بأن جوزيف سيسكو: «قال إنه طلب إلى الاجتماع به من أجل أن ينقل إلى القاهرة تفكيره بالكامل وراء الخطوة الأخيرة وبيان روجرز أمس».

وأضاف إنهم يفكرون فى نفس الوقت فى أن يبرقوا لبيرجس (فى القاهرة) ليرجو أن يتفضل السيد الرئيس جمال عبد الناصر بمقابلته لينقل إلى سيادته تفكير الحكومة الأمريكية.

وقال سيسكو: «إن وقتا طويلا مضى منذ بيكن السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) فى أول مايو قبل أن يستجيبوا له، إلا أن الحالة الخطيرة التى وصلت إليها المشكلة وما يمكن أن يحدث من تطورات بعدها، خاصة ما وصلوا إليه من تقدير أن الاحتمالات ليست طيبة، بالإضافة إلى ما يعتقدونه من أن هذه الاحتمالات غير الطيبة لن يقتصر تأثيرها على الولايات المتحدة ولكنها ستؤثر كذلك على الجمهورية العربية المتحدة ولو لأسباب مختلفة، وإلى أن المشكلة وصلت إلى مفترق طريق جاد.. كل ذلك جعلهم يمضون ستة أسابيع فى بحث عميق متكامل للمشكلة من جميع جوانبها، الأمر الذى أسفر عن الورقة التى قدمت إلى القاهرة وغيرها من العواصم التى يهمها الأمر».

وقال سيسكو: إنهم يعلمون طبعاً أن ما تضمنته هذه الورقة لن يظل طويلا طى الكتمان... وأوضح إنهم أرادوا أن يكون ردهم على السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) فى أول مايو

باتخاذ هذا الموقف الذى يعتقدون أنه بناء، وأنهم كذلك أشاروا إلى أن هذه الورقة هى الرد المباشر على بيان أول مايو، وأنهم لم يتقدموا بها إلى الاتحاد السوفياتى ولا للاجتماعات الرباعية التى لا شك سيكون لها قوة الدفع بعد أن تكون هذه الورقة قد قبلت. وقال جوزيف سيسكو: «إنه يريد أن يبين وجهة نظرهم فى تأثير هذه الورقة على الاتصال الثنائى مع الاتحاد السوفياتى وعلى الاجتماعات الرباعية وذلك من الناحية الايجابية أو السلبية، وذكر أنه من الناحية الايجابية فإنها توضح من جديد القصد منه إعطاء المزيد من القوة لمذكرته المؤرخة فى ١٨ أكتوبر ١٩٦٩ (خطة روجرز) بعد أن أعطيت فعلا توضيحات أخرى (فى القاهرة) للسيد صلاح جوهر- الأمر الذى سيفتح الباب نحو محادثات غير مباشرة- وأضاف أن موقف الولايات المتحدة سيكون وقتئذ أكثر قوة وفاعلية. أما عن (أن) المحادثات ستكون غير مباشرة فإن قصدهم هذا لا بد أن يكون واضحا تماما، وخاصة بعد المؤتمر الصحفى الذى عقده روجرز أمس، وأضاف أنه عندما يتضح حقيقة موقف الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما تمثله من قوة وتأثير فإن هذا سيؤدى بدوره إلى تقدم، خاصة إذا عرف أن الولايات المتحدة تريد أن تلعب دورا محددا فى هذا الشأن. (و) ذكر أن الولايات المتحدة مقتنعة تماما بأن هذا هو الطريق الوحيد الفعال من أجل التقدم نحو حل للمشكلة، وأنها بهذا لا تراعى مصالحها فقط ولكنها تنظر لصالح الجميع فى المنطقة».

وقف إطلاق النار ٣ شهور

ثم انتقل سيسكو إلى الحديث عن «ما تمثله هذه الورقة من تنازلات تقوم بها إسرائيل من ناحية والدول العربية من ناحية أخرى، فمن ناحية إسرائيل فإنها تتنازل عن مطلبها الخاص بالمفاوضات المباشرة، وكذلك تعطى مقدما ارتباطا خاصا بالانسحاب، أما من ناحية دول الجمهورية العربية المتحدة فإنها تعلن ارتباطها بتنفيذ القرار وتمهدها بالعيش فى سلام وقبول إسرائيل داخل حدود آمنه معترف بها، وأضاف أن كل هذا قد أعلنته الجمهورية العربية المتحدة على أية حال، والنقطة الثانية هى الارتباط بقرار وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة شهور، فهذا أيضا سبق أن أعلن السيد الرئيس استعدادة لقبوله، بل لمدة أطول- ستة شهور- (كان جمال عبد الناصر قد صرح فى حديث أجراه الدكتور روجرز فيشر أستاذ القانون الدولى فى جامعة هارفارد، بأن مصر مستعدة لقبول وقف إطلاق النار

لمدة ستة شهور إذا أعلنت إسرائيل مسبقا التزامها بالانسحاب الكامل من جميع الاراضى العربية المحتلة)، وبذلك فإن هذه الورقة لا تتضمن أى قيد جديد على الجمهورية العربية المتحدة. بل تمثل تنازلات من ناحية إسرائيل، ومن هذه التنازلات وقف إطلاق النار الموقوت بمدة محددة، وأعرب عن أمله فى أن تتفهم الجمهورية العربية المتحدة مدى أهمية هذه الورقة. ومدى ما سيؤخذ من إسرائيل إذا ما وافقت على هذه الورقة.

وقال سيسكو: إنه يأمل فى أن توافق القاهرة على هذه الورقة، وأشار إلى أنه فى نفس الوقت يعلم أنه لن يستجاب لها فى إسرائيل بسهولة. ولكنه بالرغم من ذلك فإن واشنطن ستصر بكل قوتها على أن تنقبل إسرائيل هذه الورقة. حتى لو أدى ذلك إلى حدوث أزمة كبيرة فى التحالف الوزارى الاسرائيلى، وعبر عن أمله فى أن يقدر السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) هذه المسئولية التى قبلت الولايات المتحدة أن تتحمل بها فى هذا الشأن. ومضى سيسكو، وكيل وزارة الخارجية الأمريكية، يخطر محمد رياض فى تلك المقابلة الهامة بأنهم: «لاحظوا أن السيد الرئيس (جمال عبد الناصر) ركز فى خطاب بنى غازى (فى اليوم السابق) على حقوق الفلسطينيين».

وعلق سيسكو أنه منذ زيارته للمنطقة أدرك أن على الولايات المتحدة أن تضاعف جهودها مع الأطراف- ومن بينهم الفلسطينيون- للوصول إلى تسوية، كما أن روجرز أشار إلى ذلك أيضا فى مؤتمره الصحفى أمس، واقترح سيسكو أن تتشاور الجمهورية العربية المتحدة مع الفلسطينيين فى شأن حل المشكلة. أو أن يدخل الفلسطينيون فى إجراءات الحل، أو بأى طريق يتفق عليه لتأمين أخذهم فى الاعتبار، وأضاف إنهم مستعدون لسماع أى رأى لنا فى هذا الشأن.

وه أشار إلى أنه يرجو أن نأخذ فى اعتبارنا أن روجرز لم يصرح بتزويد إسرائيل بالطائرات، وأنه يجب اعتبار ذلك ردا إيجابيا على بيان الرئيس (عبد الناصر)، فى أول مايو. وأكد سيسكو أنه ليس فى نيتهم إطلاقا الوقوف بيننا وبين الاتحاد السوفيتى فى أى شىء مما ذكره، وأنهم يفهمون تماما العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى، وأن كل ما يرغبون فيه هو الوصول إلى حل للمشكلة.

وختم سيسكو حديثه بأنه «يرجو أن نتبين ما ستكون عليه هذه الخطوة من نتائج نحو إرساء أسس العلاقات المستقبلية بين الحكومتين المصرية والأمريكية، إذ بينما شعرت الجمهورية العربية المتحدة فى وقت ما بأن should give up الولايات المتحدة. فإن

الولايات المتحدة على العكس من ذلك ، لازالت متمسكة بأن تكون علاقتها طيبة بالجمهورية العربية المتحدة».

تعهدات أمريكية رسمية

والواقع أن أهمية تلك المقابلة تأتي من أن جوزيف سيسكو قدم فيها تعهدات رسمية باسم حكومته بأن الهدف هو الانسحاب الاسرائيلي الكامل (طبقا لخطة روجرز في أكتوبر وديسمبر ١٩٦٩ من سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ، وبأن الولايات المتحدة توافق على رفض مصر أى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل. وعلى ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن الشعب الفلسطيني ، والخلاصة . فإن الولايات المتحدة تريد أن تؤكد جديتها الكاملة. ولأول مرة، فى تجاوز المحاولات السابقة لغرض حل منفرد يتعلق بمصر وحدها، فهي الآن تتجه نحو تسوية شاملة ، وكل ما تأمله هو أن مصر لا ترمى طوبة الولايات المتحدة، بل وتجربها هذه المرة.

وقد بلغت صراحة سيسكو فى تلك المقابلة حد إبلاغ مصر بان أى وزير اسرائيلي سيعترض على التزام إسرائيل بتنفيذ «مبادرة روجرز» هذه فسوف يتم إخراجهم من الحكومة القائمة برئاسة غولدا مائير بمن فيهم بيغن وعدد من الوزراء الآخرين.. بل إن غولدا مائير نفسها إذا فكرت فى المراوغة بالنسبة للجانب السياسى من المبادرة.. فإن الولايات المتحدة سوف تدبر عودة إسحاق رابين من واشنطن إلى إسرائيل لكى يرأس حكومة جديدة تتكيف مع المطالب الأمريكية ، (والجزء الأخير ابلغه دونالد بيرجس للقاهرة وبعدها بفترة وجيزة).



**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

الفصل السابع عشر

أسبوع تساقط الطائرات

- مصر تسقط ١٥ طائرة فانتوم وتأسر ٩ طيارين إسرائيليين أحياء
- وزير الخارجية الأمريكي يكذب كيسنجر علنا..
- كيسنجر يقول: ساقطع رقبة سيسكو!
- هستيريا فى إسرائيل ومائير تطلب من أمريكا والأطلنطى التدخل لإخراج السوفيات من مصر



فى الوقت الذى كانت فيه وزارة الخارجية الأمريكية تسير سيرا حسياسا فى دعم مبادرة روجرز وإعطاء مصر إيضاحات كاملة عنها مع تعهدات رسمية.. فى نفس الوقت بل فى نفس هذا اليوم كان هناك طرف آخر داخل الإدارة الأمريكية يحاول تخريب ما يجرى.. فى ٢٦ يونيو، وربما فى نفس لحظة اجتماع سيسكو مع رياض، وصل شعور هنرى كيسنجر بالاكتناب مما يجرى فى السياسة الأمريكية الجديدة فى الشرق الأوسط إلى درجة التهور.

فى اجتماع عقده كيسنجر مع الصحفيين قال لهم: «إننا بصدد محاولة التوصل إلى تسوية على النحو الذى يكفل تقوية نظم الحكم العربية المعتدلة، وليس النظم الراديكالية»- يقصد مصر- وقال كيسنجر أيضا: «إن النوايا المبدئية للاتحاد السوفيتى من مساعدة مصر (عسكريا) لا علاقة لها بإيمانه هو- أى كيسنجر- بأن الوجود المستمر لقوات سوفيتية (فى مصر) يمثل تهديدا استراتيجيا للولايات المتحدة».

ثم أضاف كيسنجر بعد ذلك جملة متهورة قدر لها أن تثير عاصفة دولية على الفور، لقد قال: «إننا نحاول القيام بطرد السوفيات من مصر».

وكيسنجر يعرف مقدما خطورة لعبة التخريب التى يمارسها ضد «مبادرة روجرز» وهى ما تزال فى بدايتها، ولذلك فهو يرجو الصحفيين عدم نشر ملاحظاته تلك إلا بعد أول يوليو. وحتى فى تلك اللحظة فإنه يشترط عليهم ألا ينسبوا إليه أبدا.

والذى حدث أنه لم ينشر تلك التصريحات سوى صحفى واحد، هو موراي مارد فى (الوشنطن بوست) بتاريخ ٢ يوليو، حيث بدأ قصته الإخبارية بقوله: أصبحت إدارة الرئيس نيكسون مقتنعة الآن بأن القوات الجوية السوفيتية المقاتلة يجب طردها من مصر قبل أن تصبح نقطة انطلاق للسيطرة السوفيتية على البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط فى المدى الطويل.

وعلى الفور انزعج حلفاء الولايات المتحدة فى أوروبا الغربية من هذا التشخيص المتهور الخطير. فضلا عن عدم صحته، إلى الدرجة التى جعلت البيت الأبيض يصدر على الفور بيانا يقول فيه: إن الموقف الأمريكى هو أن الطائرات والطارين السوفيات (فى مصر) يجب إخراجهم بالوسائل الدبلوماسية، وليس العسكرية.

إن الجميع اكتشفوا بالطبع أن كيسنجر هو الذى أدلى بتلك التصريحات، وظل كيسنجر يقاطع الصحفي الذى نشر القصة لمدة سنة بعدها تحدث قائلا: لقد جعل منى أضحوكة العالم! وفيما بعد، حينما عقد وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى مؤتمرا صحفيا فى لندن يوم ١١ يوليو تنصل علنا ورسميا من آراء كيسنجر قائلا: (إن الولايات المتحدة لم تفكر مطلقا فى طرد الروس من الشرق الأوسط).

ووقتها بدأ هذا التعليق من روجرز متسما بالجرأة والتحدى بالنسبة لكل من يعرفون خفايا صراعات السلطة بينه وبين كيسنجر فى واشنطن، ولأن الرئيس نيكسون يساند روجرز فى سياسته فى الشرق الأوسط، فقد تدفق هذا الشعور بالثقة خلال ذلك الصيف من وزير الخارجية إلى باقى المستويات التالية فى وزارة الخارجية، فجوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الذى يبدو دائما مدعنا للأقوى ومسائرا لاتجاه الريح، بدأ (بغير الأحصنه) على حد تعبير مساعد كيسنجر السابق، وبالتالى بدأ يتجاهل كل التوصيات والاقتراحات التى يرسلها إليه كيسنجر من خلف ظهر وزير الخارجية روجرز فيما يتعلق بالمفاوضات مع مصر وحول وقف إطلاق النار.

ساقطع رقبة سيسكو!

وأدرك كيسنجر على الفور أن محاولاته لتخريب (مبادرة روجرز) غير مجدية، وكان يعبر عن ثورته وغضبه بالسير حول مكتبه والهذيان بطريقة مسرحية قائلا: لو قدر لى مطلقا أن أصبح وزيرا للخارجية، فإن الدماء سوف تسيل فى الطرقات.. وأول من ساقطع رقبته هو سيسكو!

لكن الوقت كان لا يزال مبكرا لاختبار تلك التهديدات المضحكة من كيسنجر. أما الآن فإن جوزيف سيسكو يستمد جرأته من إحساسه بقوة رئيسه الذى يتمتع بالدعم الكامل من نيكسون، وهذا هو الذى يفسر تلك التعهدات القاطعة والصريحة التى يبلغها باسم الحكومة الأمريكية إلى محمد رياض فى ٢٦ يونيو.

والواقع (أن كل هذا الدفع والإكراه لم يكن له أى تأثير على المصريين).. كما أثبتت حرب الاستنزاف، والآن لن يكون للوعود أيضا تأثير فى المصريين. لأن الشئ الوحيد الذى أصبحوا يثقون فيه هو قواتهم المسلحة. فى تلك الفترة كان جمال عبد الناصر فى زيارة إلى ليبيا. من المقرر أن يعود بعدها إلى القاهرة لفترة قصيرة، قبل أن يسافر إلى الاتحاد

المسوفيتي في رحلة مقررة من قبل لمقابلة الإمدادات الجديدة من الأسلحة، وفي خطابه الذي ألقاه يوم ٢٥ يونيو في بنى غازى بليبيا، والذي أشار إليه الرسمىون الأمريكيون عدة مرات، أكد عبد الناصر موقف مصر الثابت من ضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة، واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني، و (إننا في مصر نتعرض كل يوم لغارات جوية تقوم بها ما بين ٨٠ طائرة و ٢٠٠ طائرة في اليوم الواحد، ولكننا مع هذا لن نستسلم أبدا).

وقال جمال عبد الناصر: (إن الإسرائيليين يركزون غاراتهم الآن على منطقة القناة حتى لا يمكنوا الجيش المصرى من أن يعين قواته ويحشد جهوده عبر القناة ويهاجم، ولأنهم يعلمون أن الجيش المصرى قد استكمل تدريباته للعبور، فإذا وجد الفرصة حتى يحصل على تعادل جوى فلن تمنعه قوة من العبور).

أما بالنسبة لمبادرة روجرز الأخيرة، التى تم إبلاغها إلى مصر وعبد الناصر فى ليبيا، فقد طلب عبد الناصر من ست جهات محددة أن تدرسها وتتابعها وتحدد تقديراتها لها، وتلك الجهات هى: وزارة الخارجية- وزارة الحربية- المخابرات العامة- اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي- رئاسة الجمهورية- مجلس الوزراء.

تنسيق مصرى- اردنى

ومن البداية قام عبد المنعم الرفاعى وزير الخارجية الاردنى بإبلاغ القاهرة بنصوص الاتصالات الأمريكية معه، وأنه طبقا لتعليمات الملك حسين فإنه لن يرد رسميا على المبادرة الأمريكية إلا بعد التنسيق المسبق مع مصر، وفى السابع والعشرين من يونيو أعد محمود رياض وزير الخارجية مذكرة، من خلاصة ست مذكرات أعدتها أجهزة وزارة الخارجية ومصنفة على أنها (سرى للغاية) للعرض على الرئيس جمال عبد الناصر، وقد خلص محمود رياض إلى أن وليم روجرز يدفع إسرائيل فى تصريحاته إلى (قبول الانسحاب وان تكون المفاوضات غير مباشرة).

وبعد أن وضعت الخارجية المصرية كل الاحتمالات المحيطة بهذا التحرك الأمريكى، انتهى رأيها إلى أنه: (لا يحتوى ردنا على أمريكا على رفض الخطوة الأمريكية، وإنما يحتوى على موافقة إجمالية بالنسبة للخطوات التى تتعرض لنشاط جونا رانغ، والانسحاب من جميع الاراضى العربية) و(تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين)

الفلسطينيين.. وأن يستهدف الرد المصرى على الولايات المتحدة (إحراج إسرائيل وعزلها عن أمريكا ومحاولة جذب الولايات المتحدة إلى جانبنا، أو على الأقل منعها من تزويد إسرائيل بالأسلحة وخلق جو من الخلافات بين أمريكا وإسرائيل).

أما وزارة الحربية فكان تقديرها هو ضرورة الحصول على أطول وقت ممكن قبل الموافقة على وقف إطلاق النار المؤقت، حتى يمكن استكمال نقل شبكة الصواريخ إلى المواقع المقررة لها فى أقرب خط بامتداد قناة السويس.

ولأن مفتاح الموقف كله، فى رأى عبد الناصر، سيتوقف على القدرة العسكرية المصرية وتعديل ميزان القوى قبل أى حديث، فقد أصبح القرار هو الاحتفاظ بسرية التنسيق العسكرى مع الاتحاد السوفيتى أولاً، واستكمال بناء حائط الصواريخ ثانياً.

أما الآن، ولثلاثين يوماً تالية، فإن القاهرة الرسمية سوف تمتنع تماماً عن أى تعليق- سلبياً أو إيجابياً- على المبادرة الأمريكية.. مكتفية فقط برصد الموقف فيما بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

وهنا كان الموقف، كما توقعت وزارة الخارجية المصرية تماماً، هو الأزمة الكاملة.. والمتفجرة.

إسرائيل وصدمة المفاجأة

إن دور إسرائيل فى هذا التحرك الأمريكى الجديد بدأ حينما تم استدعاء إسحاق رابين السفير الإسرائيلى فى واشنطن ليقابل وليم روجرز وزير الخارجية. وذهب رابين متوقفاً أخباراً سارة تتعلق بإمدادات الأسلحة، ففى الأسابيع الثلاثة الأخيرة كان أبا اييان وزير الخارجية يلاحق سفيره فى واشنطن ببرقيات تطلب منه العمل على استكشاف (ما الذى يجرى تخطيطه على المستوى السياسى).. لكن رابين كان يرد دائماً بأنه طالما أن الرئيس نيكسون قد وعد من قبل بالتشاور المسبق مع إسرائيل، فلا داعى للملاحقة.

ولكن إسحاق رابين دخل إلى مكتب وليم روجرز لكى يخبره وزير الخارجية بهذه المبادرة الأمريكية الجديدة، وأنه يجرى تسليمها إلى مصر والأردن فى نفس اليوم، وصعق السفير الإسرائيلى الذى اعتقد من خلال علاقته الحميمة مع كيسنجر بأنه عليم بمواطن الأمور فى واشنطن، لكن روجرز ما يزال لديه المزيد ليخبره به، لقد قال له بلطف: إن إمدادات السلاح الأمريكى لإسرائيل سوف تتوقف على ورود رد إيجابى من إسرائيل بشأن المبادرة.

وحاول السفير الإسرائيلي أن يعترض على هذا الربط الذى يتم لأول مرة بين إمدادات السلاح الأمريكى والتحريك السياسى ، ولكن كلماته (لم تترك أى انطباع له قيمة على روجرن).

وفى إسرائيل كان أبا اييان وزير الخارجية عائدا لتوه من رحلة فى أوروبا الغربية فأخبره المدير العام للوزارة. فى المطار، بأن السفير الأمريكى فى تل أبيب، والوورث باربور، مجتمع الآن مع رئيسة الوزراء غولدا مائير فى منزلها، حاملا إليها رسالة من الرئيس ريتشارد نيكسون، وبالطبع توجه اييان على الفور إلى منزل رئيسة الوزراء.

إن مائير كانت قد رفضت قبل يومين تلك المبادرة الأمريكية بمجرد إبلاغها بها، مقررّة أن مجلس الوزراء سيرفضها بالكامل: والآن فإن الرئيس نيكسون، فى رسالته هذه إلى مائير يطلب منها ألا ترفض المبادرة الأمريكية قبل ورود رد من مصر والأردن، وأنه فى جميع الأحوال يتوقع من إسرائيل ردا ايجابيا.

لكن غولدا مائير كانت تدرك تماما معنى تلك المبادرة الأمريكية، إنها تنفيذ لخطّة روجرز التى رفضتها إسرائيل رسميا وعلنا فى ديسمبر الماضى لأنها تعنى الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء والضفة الغربية. والمبادرة ترفض صيغة المفاوضات المباشرة التى تحلم بها إسرائيل كمظهر لرفض إرادتها على مصر. والمبادرة تربط لأول مرة بين إمدادات الأسلحة الأمريكية وبين التحريك السياسى لإسرائيل. صحيح أن المبادرة تقتضى وقف إطلاق النار مع مصر، وهو ما كانت إسرائيل تحث عليه الولايات المتحدة فى الأشهر الأخيرة، وخصوصا منذ بدأت شبكة الصواريخ المصرية الجديدة فى العمل، ولكنه وقف لفترة مؤقتة، وليس دائما كما تريد إسرائيل.

رابين ينصح مائير بعدم الرفض

وبعده بثلاثة أيام بعثت غولدا مائير بمسودة ردها على رسالة نيكسون إلى سفيرها فى واشنطن تطلب منه التعليق، ويقول إسحاق رابين إنه بمجرد أن قرأ مشروع الرد (تجمعت من الرعب.. إن رئيسة الوزراء ترفض المبادرة نهائيا، وبلا غموض. وبعثت إليها ببرقية: متوسلا ألا تبعث بهذا الرد: مقترحا عليها استدعائى إلى إسرائيل فورا لكى أشرح لها وجهة نظرى، وبمجرد وصولى عقدت ومع عدد من الوزراء جلسة طويلة. حيث نصحت بالاكتهاف بما قالته رئيسة الوزراء للسفير الأمريكى شغويا، وأصرت غولدا مائير على أنها

يجب أن ترد على رسالة الرئيس كتابة ، ولكنها أخيرا أخذت برأى حول مضمون الرد ، بعد أن حذفت منه رفضها لمبادرة روجرز.

ثم يضيف إسحاق رابين : «مع عودتي إلى واشنطن في مساء ٣٠ يونيو وجدت أن هناك تطورا دراميا في الجبهة العسكرية (مع مصر) نحى جانبا كل اهتماماتنا. فخلال الليلة السابقة تحرك نظام الصواريخ المصرى نحو خط جديد على مسافة ٢٠ كيلومتر غرب القناة. بل إن عددا من بطاريات الصواريخ ، وبأطقم مصرية : تم تركيبة فى مسافة أقرب من قناة السويس- على الرغم من أن الصواريخ ذات الأطقم السوفيتية لم تعبر هذا الخط- أكثر من ذلك ، فإن هجوما على شبكة الصواريخ المصرية لم يكن ناجحا ، وخلال ذلك تم إسقاط طائرات فانتوم عديدة (بواسطة المصريين) لقد كان هذا موقفا جديدا تماما ، ومحفوفا بالمخاطر بدرجة كبيرة».

وبناء على إلحاح إسرائيل ، بما فيه استغاثات من موسى ديان. قال الرئيس نيكسون فى حديث تلفزيونى يوم ٢ يوليو: إنه يعتبر التحرك السوفيتى الأخير عملا هجوميا. وهو يحذر السوفيات بلهجة قوية من أن الشرق الأوسط منطقة «شديدة الخطورة كمنطقة البلقان قبل الحرب (العالمية) الأولى ، وعلى القوتين العظميين أن تكونا شديدتى الحرص فى تصرفاتهما لمنع حدوث مواجهة لا يريدان أى منهما». ولكن ، لا السوفيات تأثروا ، ولا المصريون توقفوا عن التقدم بمواقعهم الصاروخية.

إسقاط ١٥ طائرة إسرائيلية فى أسبوع

هكذا. وعلى حد تعبير إسحاق رابين من موقعه كسفير فى واشنطن ، أصبحت «إسرائيل داخل قيد مزدوج بشكل مرعب ، فمن ناحية كان المضمون السياسى لمبادرة روجرز غير مقبول لإسرائيل ، على الرغم من أنها لم تقل ذلك بعد ، ومع ذلك ففى نفس الوقت ، لو أن المصريين رفضوا مشروع وقف إطلاق النار فإن طائراتنا ستكون عاجزة ومشلولة أمام شبكتهم الصاروخية التى زحفت أماما فى اتجاه القناة».

والآن فإن المصريين لم يرفضوا ولم يقبلوا- بعد- وقف إطلاق النار. إنهم فقط مستمرين فى التقدم بحائطهم الصاروخى أماما فى اتجاه القناة برغم التضحيات ، إنهم فى سباق دائم مع الغارات الإسرائيلية الجوية المكثفة (وقد بلغت ٥٠٠ غارة فى شهرى يونيو ويوليو فقط) ولكن التطور الدامى فى الجبهة العسكرية الذى صدم إسحاق رابين

بمعرفته في مساء ٣٠ يونيو في واشنطن لم يكن بأقل من نجاح شبكة الصواريخ المصرية من تدمير ثمانى طائرات إسرائيلية قاذفة مقاتلة من طراز فانتوم وسكاى هوك، وفي ٢ يوليو أسقط المصريون ٣ طائرات، بعدها بثلاثة أيام دمروا طائرتين أخريين، وكلها من طراز فانتوم- أحدث ما أخذته إسرائيل من الترسانة الأمريكية- فقط أسقط المصريون لإسرائيل ١٥ طائرة خلال أسبوع واحد- سمي أسبوع سقوط الطائرات- بالإضافة إلى أسر تسعة طيارين أحياء.

وسجلت القوات المصرية غرب القناة حوارا باللاسلكى بين طيار اسرائيلى وزميله أثناء فرارهما عائدين بطائرتيهما: إن الصواريخ فى المنطقة كعش الغراب، كلما ضربنا واحدة ظهرت أخرى، إن المصريين زرعوا الأرض بالصواريخ غرب القناة.

هستيريا فى إسرائيل

وخلال الأيام التالية سوف تصبح القيادات الإسرائيلية فى حالة هستيريا بسبب نجاح الشبكة الصاروخية المصرية الجديدة، إلى درجة أنه فى منتصف يوليو سوف تطالب غولدا مائير رئيسة الوزراء علنا فى حديث نشرته لها مجلة دير شبيغل الألمانية الغربية، بأن «تقوم قوات حلف شمال الاطلنطى والولايات المتحدة معا بإرغام الروس على الخروج من الشرق الأوسط، مواجهة شبيهة بأزمة الصواريخ السوفيتية فى كوبا سنة ١٩٦١» بحجة أن هذا هو فقط الذى سيردع المصريين وعبد الناصر!، ولكن عبد الناصر والمصريين فى تلك اللحظة لم تكن لتروعهم أى تهديدات- باطلنطى أو غير اطلنطى- عن التقدم بشبكتهم الصاروخية نحو القناة موقعا بعد موقع، وفى ٢٨ يونيو، عشية سفر عبد الناصر إلى موسكو فى رحلته المقررة من قبل، طلب دونالد بيرجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة، مقابلته لإبلاغه برسالة آلية قادمة من واشنطن، ولم يقابله الرئيس جمال عبد الناصر، فاجتمع بمحمود رياض وزير الخارجية.. حيث أبلغه أن الوقت الآن مناسب جدا للبحث عن حل سلمى حقيقى، وأن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى يمكنها أن تمارس ضغطا على إسرائيل.. ولذلك فإن الولايات المتحدة ترجو من مصر أن تترك لها «حرية اختيار الأسلوب المناسب، وأنه نظرا لاهتمامات مصر بالتسوية الشاملة فإن المبادرة الأمريكية «لا تستبعد سوريا، إذ يكفى أن تعلن سوريا عن قبولها لقرار مجلس الأمن، وحينئذ يمكن إدخالها فى موضوع التسوية».

عبد الناصر فى موسكو

وأصبحت رحلة عبد الناصر إلى موسكو فى ٢٩ يونيو هى ثالث رحلة له منذ حرب يونيو ١٩٦٧، ومن الجلسة الأولى للمباحثات مع القيادة السوفيتية كان تركيز جمال عبد الناصر على الجانب العسكرى حيث استكملت القوات المسلحة التدريبات اللازمة لعبور القناة، هكذا تقرر إمداد الدفاع الجوى بشبكة جديدة من الأجهزة الالكترونية، بالإضافة إلى معدات جديدة متطورة لعبور قناة السويس، وصفقة أسلحة يصل ثمنها إلى أربعمئة مليون دولار يتم تخفيض نصف ثمنها عند التسديد، وكل الأسلحة والمعدات الالكترونية تصل إلى مصر قبل نهاية سنة ١٩٧٠ طبقا لجدول زمنى تم الاتفاق عليه.

وبالنسبة لإمداد مصر بعشر طائرات من قاذفات القنابل طويلة المدى فقد تم الاتفاق على تجهيز مطارين فى أسوان ووادى سيدنا تعمل منهما تلك الطائرات، ولكن بشرط أن تظل الطائرات ذاتها فى الاتحاد السوفياتى، على وعد بإرسالها إلى مصر خلال ست ساعات من طلبها.

وكان دافع السوفيات إلى ذلك هو الخشية من أن يؤدى وجود تلك الطائرات فى مصر إلى «مضاعفات دولية» قد تؤدى إلى قيام الولايات المتحدة بإمداد إسرائيل بصواريخ خاصة لمواجهةها.

وفى الجانب السياسى من المباحثات تعلمل السوفيات فى البداية من اتجاه عبد الناصر لقبول المبادرة الأمريكية «مبادرة روجرز»، على رغم قوله: إنه لا يثق بالمرّة فى أنها ستسفر عن شىء، وكان اعتراض بريجنيف منصبا على أن الولايات المتحدة، بعد كل ما دعمت به إسرائيل ستجنى الثمار السياسية من خلال مبادرة تقدمها هى، بعيدا عن المشاورات الرباعية فى نيويورك، أو المشاورات مع الاتحاد السوفياتى. وكذلك تعلمل السوفيات من الطريقة الخبيثة التى قدمت بها المقترحات الأمريكية.

ولكن عبد الناصر طمأن السوفيات بأنه شخصيا لا يرى فى المبادرة سوى أنها رجوع من الأمريكيين إلى الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، بعد أن كانوا قد ابتعدوا عنه، ورجوعهم كذلك عن المفاوضات المباشرة مع إسرائيل بعد أن كانوا مصرين عليها. ولكن السوفيات لم يكن لهم اعتراض على المبادرة الأمريكية من حيث المضمون، وإنما انصب اعتراضهم على الشكل فقط.

وقد انتهت مشاورات وزير الخارجية محمود رياض وأندريه غروميكو إلى بلورة موقف سياسى لم يخرج عن الخطوط التى كانت وزارة الخارجية المصرية قد أعدتها أصلا فى مذكرة لها بالقاهرة بتاريخ ٢٧ يونيو.

□□□.

الفصل الثامن عشر

مصر تقبل رسميا مبادرة روجرز

- وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لرئيسة وزراء إسرائيل: سأسمع منك كلمة واحدة فقط.. هل تقبلين المبادرة أو لا؟
- بيغن يستقيل ويقول: المبادرة ميونيخ جديدة في الشرق الأوسط.
- مائير تطلب من رابين: اذهب إلى كيسنجر فهو عيننا في البيت الأبيض
- تفاصيل الحوار الساخن على الهاتف بين مائير وسيسكو



بينما كان جمال عبد الناصر فى موسكو، ويخطر السوفيات قبوله لمبادرة روجرز، بادر أنور السادات نائب رئيس الجمهورية فى القاهرة بإصدار بيان باسم اللجنة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى، يقرر فيه: إن مصر ترفض المبادرة الأمريكية.

لقد كان هناك كثيرون فى مصر وخارجها، هل وفى داخل الإدارة الأمريكية ذاتها، يتوقعون من عبد الناصر بالفعل هذا الموقف لأنه فقد ثقته بالسياسة الأمريكية منذ وقت طويل ولم يكن هذا سرا، فقد أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر علنا فى خطابه وأيضاً إلى وكيل وزارة الخارجية الأمريكى عند مقابلته فى القاهرة، وربما توسم أنور السادات أنه لو سبق الجميع فى مصر إلى استلها ما قد يفعله عبد الناصر، فإن هذا ربما يقربه أكثر وأكثر من رئيسه، لكن المشكلة هنا هى أن عبد الناصر وجه لوما شديدا إلى السادات بمجرد أن رآه ضمن مستقبلية فى مطار القاهرة بعد عودته من موسكو لهذا السبب، ولأسباب أخرى،.. وحينما سينعقد مؤتمر وشيك طارئ للاتحاد الاشتراكى لكى يشرح عبد الناصر رد مصر على «مبادرة روجرز».. سيلاحظ الجميع اختفاء أنور السادات تماما.. فقد أشاع السادات وقتها أنه يلزم الفراش بسبب المرض.

وقد روى لى الدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو وقتها، والذى كان يقضى إجازة قصيرة بالقاهرة حينئذ، أنه أثناء قيامه بزيارة السادات فى منزله جاءت قرينة الرئيس جمال عبد الناصر ومعها إحدى بناته لكى تزورا النائب المريض، وأراد الدكتور مراد غالب الانصراف، ولكن السادات أشار إليه بالبقاء، وبعد انصراف قرينة عبد الناصر وابنته، بدر من السادات تعليق ممتع يتم فى كما لو كان يكلم نفسه: «آل يعنى.. من كتر المحبة جاين يزورونى!». وبعدها تنبه السادات فجأة إلى أنه ليس بمفرده، فغير موضوع الحديث!

المهم أن عبد الناصر بادر بعقد اجتماع لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا فى ١٨ يوليو أخبرهم فيه بصفقة الأسلحة الجديدة مع الاتحاد السوفياتى وأن السوفيات «وافقوا على ٩٥٪ من طلباتنا من الطائرات والصواريخ الجديدة وطائرات الهليكوبتر وسيارات النقل، على أن تسدد ثمن بعضها مثل سيارات النقل بالعملة الصعبة. أما باقى الأنواع فيسدد ثمنها كالمعتاد بالأسلوب المريح».

كما وافق السوفييات «أيضاً على إرسال معدات وأجهزة اليكترونية حديثة خاصة بالتشويش على الرادارات الإسرائيلية والموجودة فى طائرات الفانتوم» وأن «فترة ثلاثة الشهور التى سيتوقف خلالها القتال ستساعدنا كثيراً على السيطرة العسكرية على منطقة القناة، وذلك بفضل الإعداد الكبيرة من كتائب الصواريخ الجديدة، مع استمرار بقاء وحدات الدفاع الجوى الروسية فى عمق البلاد، وعلى رغم أنه كان مقرراً أن تعود الوحدات الروسية إلى بلادها فى أواخر هذا الشهر بمجرد وصول الأطقم المصرية التى تم تدريبها هناك كما كان متفقاً عليه من قبل، إلا أنى طلبت منهم إبقاء الوحدات الروسية فى مواقعها، على أن تسلم الأطقم المصرية صواريخ أخرى لتتحرك بها سرا إلى ضفة القناة، قبل بدء سريان وقف إطلاق النار، وهكذا سيكون ضعف عدد كتائب الصواريخ الموجودة، وستظل معنا الوحدات الروسية لمدة ستة أشهر أخرى..» وأن «هناك إحدى وعشرين سفينة سوفيتية ستصلنا الشهر المقبل (أغسطس) محملة بالجنود المصريين المدربين على الصواريخ الجديدة ومعهم كافة الصواريخ ومعداتنا، وقد طلب الروس إنزالهم من السفن أثناء الليل حرصاً على السرية». وبعد المناقشة التفصيلية فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للرد المصرى على «مبادرة روجرز».. عقد عبد الناصر فى اليوم التالى اجتماعاً لمجلس الوزراء لمناقشة نفس الموضوع.. وكان من بين تعليقاته التى سجلها محضر الاجتماع قوله: «تحركنا الأخير وقبولنا لمشروع روجرز له مزايا وعيوب، وهناك مصريون سيعارضون المشروع، وآخرون سيؤيدونه مرددين: ما قلنا من زمن أن الأمريكان هم اللى يحلوا القضية!»

الرد المصرى الرسمى

فى الواقع أن المؤتمر الطارئ المفتوح فى اليوم التالى للاتحاد الاشتراكى سجل معارضة عنيفة وتخوفات أعنف، من قبول «مبادرة روجرز»، لكن جمال عبد الناصر نجح فى إقناع المؤتمر بأن المبادرة مجرد تنفيذ لقرار مجلس الأمن، وأنه شخصياً ليس لديه سوى نصف فى المائة من الأمل بتنفيذها، وإنما هو يرى قبولها بالدرجة الأولى من أجل اعتبارات عسكرية خاصة بنا.

وكان محمود رياض وزير الخارجية قد استدعى دونالد بيرجس المشرف على قسم رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة لمقابلته يوم ٢٢ يوليو. وقبل أن يسلمه رد مصر كرر من جديد عليه موقف مصر الثابت بضرورة انطباق نفس مبدأ الانسحاب الكامل بالنسبة للجولان السورية.

وضرورة الالتزام بحقوق الفلسطينيين، ومن جانبه كرر بيرجس التأكيدات الأمريكية بشأن النقطتين- وذلك للمرة الثالثة خلال ستة أسابيع.

(وفي تلك الفترة كان المقصود بالحقوق الفلسطينية هو حق الفلسطينيين منذ سنة ١٩٤٨ في العودة إلى ديارهم أو الحصول على التعويض لمن لا يرغب في العودة).
ولأن مصر لم تكن تريد أن تترك شيئاً للاجتهادات والتفسيرات الغامضة، بعد كل تجارب الماضي، فقد تضمن الرد الذي سلمه محمود رياض رسمياً إلى بيرجس ارتباط الموافقة المصرية بنقطتين:

أولاً: الانسحاب الاسرائيلي الشامل من جميع الاراضى العربية المحتلة.

ثانياً: التمسك بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني كما حددتها قرارات الأمم المتحدة.

وكان نص الرد المصرى على النحو التالى:

القاهرة- ٢٢ يوليو ١٩٧٠.

وعزى السيد وزير الخارجية..

«لقد تسلمت رسالتك المؤرخة فى ١٩ يونيو ١٩٧٠ والتى تشير إلى فيها إلى الموقف الحرج فى الشرق الأوسط وقلت إنه من صالحنا المشترك أن تحتفظ الولايات المتحدة وتقوى روابط الصداقة مع كل شعوب ودول المنطقة، وعبرت عن استعدادكم للقيام بنصيبكم نحو هذا الهدف.. إنك أيضاً قمت بحث الآخرين المعنيين على التحرك معكم لانتهاز هذه الفرصة. وفى رسالتك عبرت أيضاً عن الرأى بأن الوسائل الأكثر فعالية لتحقيق تسوية ستكون بأن تبدأ الأطراف تحت رعاية السفير جونار يارنغ مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة فى وضع الخطوط التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧.

ولابد من ملاحظة أننا. وكذلك أصدقاؤنا وفى مقدمتهم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، طالبنا بضرورة السعى إلى التأكد من نجاح مهمة السفير يارنغ فى تطبيق قرار مجلس الأمن، إننا. جنبا إلى جنب مع أصدقاؤنا، كنا وما نزال نبذل كل جهد لتحقيق هذه الغاية.

إن الموقف شديد الخطورة فى الشرق الأوسط هو نتيجة العدوان الاسرائيلي واحتلالها للاراضى العربية، ولأن احتلال إسرائيل المستمر للاراضى العربية ومثابرتها على العدوان ضد الشعوب العربية يتجه بالموقف إلى المزيد من التفاقم.....

بعد أربعة أيام وفي ٢٦ يوليو ١٩٧٠ بعث وزير خارجية الأردن الرد الأردني الرسمي إلى وزير الخارجية الأمريكي وليم روجرز.. لقد قبلت الأردن بالمبادرة الأمريكية الجديدة بعد التنسيق الكامل مع مصر، وبعد أن أخطرتها مصر بردها، وأصبحت تلك المبادرة الأمريكية- المعروفة باسم «مبادرة روجرز»- هي المحصلة السياسية لحرب الاستنزاف المصرية الشهيرة.

ولم تكذ واشنطن تتلقى رد مصر بقبول مبادرة روجرز (التي هي تنفيذ لخطة روجرز) حتى بدأ الرئيس نيكسون بنفسه ينغمس تماما في تحريك الأحداث. وفي مساء نفس الليلة، ٢٣ يوليو ١٩٧٠. قام جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بإخطار السفير الإسرائيلي رابين بأن «مصر قبلت بمبادرة روجرز ضد كل التوقعات».

ويقول رابين: «فيما بعد عرفت أنهم (أى المصريين) قد صاغوا ردهم بطريقة ماهرة جدا، فهم يقبلون بالمبادرة ولكنهم يؤكدون في نفس الوقت تفسيرهم المعروف للقرار ٢٤٢. أما إسرائيل فقد جاءت أخيرا لحظة الحقائق المريعة.. حيث أصبح على الإسرائيليين أن يتجرعوا دواء.. أقله حلو ويتمثل في وقف إطلاق المصريين لحرب الاستنزاف.. وأكثره علقم ويتضمن أن هذا الوقف مؤقت، وأن على إسرائيل أن تنسحب بالكامل من سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية. بالإضافة إلى قرار حقوق الفلسطينيين.

استقالة بيغن وكتلة جحال

ويقول أبا ايابان وزير خارجية إسرائيل: إنه بعد دراسة الموقف من كل جوانبه: «شعرنا بأن مخاطر قبول المشروع الأمريكي لوقف إطلاق النار أقل من مخاطر رفضه، إن رفض وقف إطلاق النار سوف يعنى استمرار الحرب القاسية مع مصر، واحتمال انغماس السوفييت، وتراجع الإخلاص الأمريكي... ولكن» مناحيم بيغن ومؤيديه في مجلس الوزراء (كان بيغن منذ حرب يونيو ١٩٦٧ وزيرا في الحكومة ممثلا مع آخرين لكتلة جحال التي أصبحت فيما بعد هي الليكود) يجادلون بأن الولايات المتحدة ربما تكون راغبة في قبول ذلك الجزء الملائم لنا من المشروع. وهو وقف إطلاق النار، بغير أن نعطي العرب في مقابل ذلك إمكانية التفاوض السياسى، أما بقيتنا (في مجلس الوزراء) فقد وجدنا أن هذا المنطق من الصعب القبول به. فمن يريد وقف إطلاق النار عليه أن يقبل بشروطه. والشروط هي: القرار ٢٤٢

واستئناف يارنغ لمهمته ، وبعد مناقشة متوترة قاد بيغن حزبه خارج الائتلاف ، على الرغم من أن نصف مؤيديه كانوا راغبين في البقاء.

إن ما حدث في إسرائيل لم يكن بأقل من انهيار الحكومة الائتلافية القائمة ، حيث انسحب الوزراء الستة الذين يمثلون كتلة جحال- وهي كتلة كانت تضم حزب حيروت والحزب الليبرالي- وهم مناحيم بيغن وزير الدولة ، والجنرال عيزرا وايزمان وزير المواصلات ، وحاييم لانداد وزير التنمية (والثلاثة من حزب حيروت) ويوسف سابير وزير التجارة والصناعة ، وإيلي ميلخ وزير البريد ، وأوري دولتين وزير الدولة- والثلاثة من الحزب الليبرالي.

وكان سبب إصرار مناحيم بيغن على الانسحاب من الحكومة الائتلافية برئاسة غولدا مائير هو: أن مبادرة روجرز لا تعني فقط الانسحاب الاسرائيلي الكامل من سيناء ، ولكنها تعني أيضا الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الضفة الغربية لفهر الأردن- وزيادة على هذا : حق الفلسطينيين في العودة أو التعويض.

ميونيخ جديدة

وأعلن بيغن غاضبا ومحتجا : إن المبادرة الأمريكية معناها «ميونيخ جديدة» في الشرق الأوسط؛ (وكان بذلك يشير إلى اتفاقية ميونخ الشهيرة التي جرى توقيعها مع أدولف هتلر في سنة ١٩٣٨ ، وسلمت إليه فيها بريطانيا وفرنسا بكل طلباته). وكان الجزء الخاص بحقوق الفلسطينيين يمثل كابوسا لا يطاق بالنسبة لإسرائيل ، ومن هنا بعث الرئيس نيكسون برسالة إلى غولدا مائير يقول لها فيها : «... إننا لن نضغط على إسرائيل لكي تقبل حلا لمشكلة اللاجئين (الفلسطينيين) يغير بشكل أساسي من الطابع اليهودي لدولة إسرائيل ، أو يعرض أمنها للخطر».

ويعني هذا الوعد الغامض أن الولايات المتحدة لن تضغط على إسرائيل لقبول عودة مئات الألوف مثلا من الفلسطينيين العائدين إلى ديارهم فيما قبل سنة ١٩٤٨ حتى لا يغير هذا من الطابع اليهودي لإسرائيل.

على أية حال : أذاعت الحكومة الإسرائيلية الطلبات الأمريكية بعد خروج مناحيم بيغن ووزرائه الخمسة من الائتلاف (وهو ما أخطر به سيسكو مصر في ٢٦ يونيو) وهذا التطور جعل الحكومة أكثر هدوءا على حد تعبير أبا ايابان وزير الخارجية : إن الحكومة الإسرائيلية

أخطرت الولايات المتحدة رسميا بقبولها بالمبادرة.. على الرغم من أنها ستظل تساهم في التفاصيل حتى آخر لحظة ممكنة لتخرج باي مكسب يعوض جزاء مما خسرت».

أزمة بين إسرائيل وأمريكا

ويقول إسحاق رابين: «إن المسافة بين واشنطن والقدس أقل من ستة آلاف ميل، ومع تطور الاتصالات الحديثة يمكن الإبراق بالرسائل من عاصمة إلى أخرى خلال دقائق، ولكن، في الفترة ما بين ٣١ يوليو و١٠ أغسطس ١٩٧٠ كانت هاتان العاصمتان على مسافة سنوات ضوئية برغم كل الاتصالات الجارية بينهما، لقد كان كل شيء في حالة تشوش وارتباك، والاتهامات العنيفة كان يجري قذفها من جانبي المحيط، إن العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة كانت في حالة من الفوضى الكاملة، وعلى الرغم من أنني، الذي كنت في الوسط، أستطيع أن أفهمها، إلا أنني لست متأكدا على الإطلاق من أنني أستطيع أن أفسرها».

لقد كان هناك أولا السفير جونار يارنغ، ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة في الاتصالات المتعلقة بتنفيذ القرار ٢٤٢، والذي تنص المبادرة الأمريكية على استئناف لمهمته عقب تلقيه لورقة واحدة من إسرائيل ومصر والأردن، بصياغة محددة أخطر بها روجرز وزير الخارجية الأمريكي مسبقا كل الأطراف. أن مصر أبلغت ردها المكتوب في صياغة اعتبرها إسحاق رابين «ماهرة جدا» على الرغم من أنها لم تكن سوى تعبير عن موقف مصر الثابت. والأردن بعد التشاور مع مصر وتلقيه صورة من الرد المصري، بعث به في ٢٦ يوليو برده إلى كل من روجرز ويارنغ، ملتزما بنفس الصياغة المصرية. أما إسرائيل فإنها أخطرت الولايات المتحدة في ٣١ يوليو بموافقتها، والولايات المتحدة بدورها نقلت إلى السفير يارنغ شفويا موافقة إسرائيل، لكن السفير يارنغ يصر أولا على ألا يباشر مهمته إلا بعد أن يتلقى رد إسرائيل، كتابة، من هنا يعتبر الإسرائيليون (إسحاق رابين مثلا في مذكراته صفحة ١٤١) أن يارنغ «رجل غير مرن ويفتقر إلى الخيال»! لكن تعامل يارنغ السابق مع إسرائيل علمه هذا الدرس من قبل، والآن- والأمريكيون يحثونه على مباشرة مهمته على وجه السرعة- فإنه ما زال «يصر أولا على أن يتلقى رد إسرائيل.. كتابة».

وكان يارنغ معه كل الحق، ففي إسرائيل توالى اجتماعات غولدا مائير مع السفير الأمريكي في إسرائيل باربور، أملا في الحصول على موافقة على الصياغات المختلفة

التي تعرضها عليه الحكومة الإسرائيلية لورقة واحدة أصبح عليها أن تبلغها إلى روجرز.. ويارنغ، أن ترحب إسرائيل بالالتزام بوقف إطلاق النار المؤقت لمدة ثلاثة شهور- وهو الجزء الوحيد الواضح في الرد- ترحيب واضح بلا لف ولا دوران لأنه الجزء الوحيد الذي تتلف إسرائيل للحصول من مصر عليه، أما الصياغات المراوغة فتبدأ في البندين الآخرين: الالتزام بتنفيذ القرار ٢٤٢ بكل أجزائه، وترتيبات استئناف يارنغ لمهمته.

حوار ساخن على الهاتف بين مائير وسيسكو

وأبرقت جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية إلى سفيرها في واشنطن- إسحاق رابين- تطلب إليه أن يقنع جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بالاتصال بها تليفونيا. وحينما نقل رابين الطلب إلى سيسكو، رد عليه سيسكو بوضوح بأنه ليس من سلطته المبادرة بالاتصال بغولدا مائير. ولكن.. إذا بادرت هي بالاتصال به تليفونيا.. فأهلا وسهلا.

وشرح رابين الموقف لرئيسة وزرائه. فقالت: لا بأس.. سأطلبه أنا!

ولكن سيسكو لأنه أحس مسبقا بان غولدا مائير ربما تريد أن تراوغ، طلب من إسحاق رابين أن يحضر إلى مكتبه، ويستمع معه إلى مكالمات رئيسة وزرائه من سماعة إضافية! ولم يكن أمام السفير الاسرائيلي في واشنطن سوى أن يطيع تعليمات وكيل وزارة الخارجية الأمريكية. على رغم إدراكه بأنه «لم يكن هذا أمرا سهلا لشخص في مثل موقعي كسفير. حيث لا أستطيع أن استرق السمع على مكالمات من هذا النوع بغير معرفة رئيسة الوزراء، ومن ثم ففي نقطة من حديثها التليفوني، تدخلت لأخبر غولدا مائير بأن سيسكو طلب مني أن أستمع (إلى المكالمات)، لقد توقفت غولدا مائير عن الحديث فجأة في الطرف الآخر، وعرفت أنني لا أستطيع تحمل الموقف جيدا، على أية حال. قالت غولدا مائير بعدها إن الولايات المتحدة قد زورت توقيع إسرائيل، وصعق سيسكو.. فتساءل: ماذا تقصدين بقولك إننا زورنا توقيعك؟ قالت غولدا مائير: إنكم أخطرتم يارنغ بأننا قبلنا المبادرة.. قبل أن نقبلها! هذا ما اقصدته من كلمة «زورتم» توقيعنا. أنني توصلت إلى اتفاق مع باربور (السفير الأمريكي في إسرائيل).. والآن فإن الولايات المتحدة تنكر هذا الاتفاق، إنكم لا تستطيعون صياغة إجابتنا باسمنا. ونحن لدينا تحفظات على صياغة يارنغ.

«لقد كان هذا حوار الطرشان، وأستطيع فقط أن أصف تلك المكالمات بأنها مأساوية، إن سيسكو شعر بالاستغراب والدهشة من شكوى غولدا. فسألها: أنت تلقيت نص مبادرتنا

منذ أسابيع ، ورقة واحدة، غولدا ترد: نعم.. ورقة واحدة. سيسكو يقول: تلك هي المبادرة، هل توافقين عليها.. أو ترفضينها؟.

«لم تستطع غولدا أن تفهم سبب غضب سيسكو فقالت له: ماذا تعنى بسؤالك عما إذا كنا نوافق على المبادرة؟ هل يجب أن نوافق على صياغتك؟ إن لدينا صياغتنا الخاصة،! «ولم يفهم سيسكو ما هي صياغتهم الإسرائيلية. ولم تفهم غولدا (مائير) السبب في أن سيسكو أصبح صلباً».

اذهب إلى كيسنجر

والواقع أن إسرائيل كانت طرفاً في الصراع الداخلي على السلطة داخل الإدارة الأمريكية بين هنري كيسنجر ووليم روجرز. فإسرائيل تعتبر كيسنجر هذا رجلها وعينها وأذنيها داخل الإدارة الأمريكية.. بينما روجرز ليس كذلك والذي تريد غولدا مائير أن تفعله هو أن تقدم رداً من عندها هي- بالتشاور غير الرسمي مع كيسنجر مسبقاً- يمكن أن يفتح الباب للثغرات فيما بعد بالنسبة للجانب السياسي للمبادرة، وهو التنفيذ الكامل للقرار ٢٤٢، من هنا عاد إسحاق رابين إلى مقر السفارة الإسرائيلية لكي يتصل برئيسة وزرائه في أعقاب مكالمته مع سيسكو، وهنا بادرت مائير بقولها: اذهب إلى كيسنجر وتحدث معه.. واجعله يتحدث مع الرئيس (نيكسون).. إنني لا أستطيع العودة إلى مجلس الوزراء (الإسرائيلي) بصياغة لا تشبه الصياغة التي تبناها المجلس..

وسألها إسحاق رابين: ألم يوافق مجلس الوزراء على الصياغة التي تنص عليها مبادرة روجرز؟. قالت غولدا مائير: إن لنا موقفاً بالنسبة للقضية السياسية. ولا بد من توضيح ذلك، إننا نقبل بالمبادرة، ولكننا نريد صياغة موقفنا بكلماتنا نحن!

وفي مساء نفس اليوم ذهب إسحاق رابين إلى الشخص الوحيد داخل الإدارة الأمريكية الذي يثق فيه، ورئيسة وزرائه، والحكومة الإسرائيلية كلها. ذهب إلى هنري كيسنجر. وفي هذه المرة فوجئ رابين بكيسنجر آخر غير الذي يعرفه، إن كيسنجر الذي يعرفه هو الذي كان يحرضه من قبل على المزيد من الغارات الإسرائيلية التي تقتل المدنيين المصريين في العمق، وعلى العمل لإسقاط وإذلال جمال عبد الناصر، وعلى شن حملة دعائية كبرى ضد وليم روجرز وزير الخارجية، والآن فإن المبادرة الأمريكية أصبحت حتى تسمى «مبادرة روجرز»- وهذا بالطبع جزء يكرهه كيسنجر- ولكنه أيضاً يعرف أن المحرك الرئيسي لهذه

المبادرة هو الرئيس نيكسون شخصيا ومعه كل الإدارة الأمريكية ، وعند هذا الحد لا يجرؤ هنرى كيسنجر إلا على أن يكون موظفا مطيعا تماما .

هكذا بادر كيسنجر صديقه السفير الاسرائيلي إسحاق رابين : ماذا تريد؟ متى حصلت على تلك الورقة التي تسمى «مبادرة روجرز»؟

رد رابين: منذ ستة أسابيع..

قال كيسنجر: ستة أسابيع غير كافية لكى تدرس الحكومة الإسرائيلية وتستوعب مضمون ورقة روجرز، كم من الوقت يلزمكم فى إسرائيل؟.. إننى لا أفهمكم.. إذا كانت لديكم أى تعليقات، أو شكاوى، أو طلبات، تفضلوا.. تكلموا.. انطقوا!.. إن المصريين والأردنيين وافقوا على مبادرتنا (الآن أصبح اسمها: مبادرتنا!).. هل أنتم توافقون أو ترفضون؟ دعونا نعرف بوضوح.

وبصريح العبارة يريد كيسنجر أن يقول لرابين: أنا لا حيلة لى فيما يجرى.. رأسكم.. فى خلاصكم.

من هنا يعلق رابين فى هذه النقطة بقوله: لقد كنا فى واحدة من النقاط المنخفضة فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية.

لقد عاد إسحاق رابين إلى مقر السفارة الإسرائيلية فى واشنطن لكى يتصل برئيسة وزرائه فى إسرائيل من الخط التليفونى المباشر، إنه حكى لها عن مقابله مع كيسنجر، ثم قال لها مسترسلا: أملينى.. بالضبط.. ماذا تريد منى أن أقول لكيسنجر (لكى يبلغه إلى الرئيس نيكسون) كلمة كلمة. إننى سأخبره بما ستقولينه.. بالضبط.

«ولكنها لم تقم باملأنى شيئا، ولم تقل شيئا».

هكذا قال رابين...!



الفصل التاسع عشر

مفاجآت القفزة الأخيرة

- إن الدول العظمى لا تعنى أخلاقيات عظمى، إنها فقط...
تعنى مصالح عظمى، وهذا هو كل شيء
- مصر نقلت صواريخها على شاطئ القناة قبل ساعات
من وقف إطلاق النار
- هستيريا إسرائيلية ونيكسون لرابين:
لدى ما أعانيه من ضغوط سياسية.. وعليكم الإذعان.



أدركت غولدا مائير أنه طالما أن هنري كيسنجر، وهو عين إسرائيل وأذنها داخل الإدارة الأمريكية، لم يستطع أن يفتى بأى مخرج، وتصرف باعتباره عاجزا عن الحيلة. فإن الأمر فى الإدارة الأمريكية جاد بأكثر مما تتصور، الأمر فى هذه المرة يتعلق فى مبادرة نيكسون. وإن كان الإعلام يسميها «مبادرة روجرز» بل إن نيكسون نفسه لم يدفع بتلك المبادرة من الأصل إلا تحت إلحاح مصالح أمريكية محددة، رأى أن من مسؤوليته كرئيس أن يحميها ضد حالة غير مسبوقة من الغليان عمت العالم العربى بمجموعه، تضامنا مع هؤلاء المقاتلين المصريين، غير المعروف أسماؤهم، الذين عبروا بصمودهم فى جبهة القتال بقناة السويس، عن رفض كامل وشامل لعملية إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط التى استهدفتها حرب يونيو ١٩٦٧. وهذا الغليان العربى الشامل، يريد نيكسون الآن نزع فتيله الاساسى، وهو حرب الاستنزاف المصرية، ولأنه رئيس يتمتع بخبرة واسعة بالسياسات الدولية، فإنه يعرف أنه لا شىء يتم مجانا.. مطلقا، فهناك ثمن سياسى محدد على الولايات المتحدة أن تلتزم به مقدما.. إذا كانت تريد منع الاحتمال الأسوأ، وحينما التزمت الولايات المتحدة به، فإن هذا يعنى اوتوماتيكيا أن تنصاع إسرائيل.. وتطيع. إنها بالطبع تستطيع أن تتظاهر بالسخط، والتذمر، والشكوى داخل غرفة مغلقة وخط تليفونى مباشر. ولكن فى النهاية: لا شىء سوى بيت الطاعة.. حرفيا.

إن السفير الاسرائيلى فى واشنطن، إسحاق رابين تلقى مكاملة من غولدا مائير، ومن أيجال ألون نائب رئيسة الوزراء، ومن أبا ايابان وزير الخارجية، ومن جوزيف تكواه مندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة، ومن الجنرال بارليف رئيس هيئة أركان حرب الجيش و: آلاف من الكلمات.. الكثير منها كلمات حانقة وغازبة، وغولدا مائير فى غضبها وحنقها توبخنى من جديد، ولكن الورطة ظلت بلا حل!

والورطة كانت بسيطة ومعقدة: إن إسرائيل ظلت تتوسل سرا إلى الولايات المتحدة. منذ خمسة أشهر على الأقل، للحصول من المصريين على وقف لإطلاق النار، إن حرب الاستنزاف التى يقوم بها رجال اليوم السابع هى أول حرب حقيقية تهزم فيها إسرائيل ولهذا تريد وقفها بأسرع وقت، والمصريون رفضوا بشكل قاطع أى وقف لإطلاق النار. لقد تحمل المصريون لشهور قبلها ضرب أطفالهم، وعمالهم المدنيين المجردين من السلاح،

وتحملوا شحنات السلاح الأمريكي المتطور، وقبلوا عن اقتناع استشهد أبنائهم فيما بدا أنه صراع غير متكافئ، بالمرّة، ولكن صلابة المصريين في المقاومة لم تكن في أية لحظة محل شك، إنهم لا يقاتلون من أجل سيناء، فسيناء لديهم لو أرادوا، بعرض رسمي أمريكي، ومعها قطاع غزة وبلا أي قتال، منذ نوفمبر ١٩٦٨، وبلا أي قيود ولو حتى نزع سلاح متر واحد من سيناء وبعرض اسرائيلي معلن وواضح ومحدد.

لكن المصريين «رجال اليوم السابع» الذين قاتلوا في حرب الاستنزاف فعلوا ذلك من أجل شيئين محددين: انسحاب إسرائيل الكامل من كل الاراضى العربية المحتلة. وحقوق الشعب الفلسطيني، والذي عبر عن إرادة المصريين في تلك المرحلة كان هو نفس الشخص الذى أرادت السياسة الأمريكية إزاله علنا، وعمليا، مستخدمة إسرائيل كأداة في التنفيذ، وكان جمال عبد الناصر يعرف أنه ليس مطلوباً، حياً أو ميتاً. لشخصه، إنه مطلوب كموقف، وسياسة، واختيار، ومستقبل يستلزم «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط» وكلما سقط شهيد مصرى في ميدان القتال دفاعاً عن هذا الاختيار، كان لابد أن يشعر جمال عبد الناصر بأنه مدين شخصياً لتلك الدماء حتى لا تذهب هدراً. فتلك الدماء ذهبت إيماناً بقضية، ولابد له حين يتفاوض أن يدرك أنه يتفاوض باسم تلك الدماء. ومن هنا كان إصرار مصر في تلك المرحلة على أن تدقق.. وتشك.. ولا تعطى ثقتها.. ولا ترد من أول عرض.. وأن تدرس وتحسب قبل أية استجابة، فلم يكن رفض طلب رونالد بيرجس مقابلة جمال عبد الناصر، وبعده محمود رياض. يصدر عن استعلاء، أو عن تصور بأن مصر أصبحت فجأة هي إحدى القوتين العظميين في هذا العالم. ولكنه كان تعبيراً عن استيعاب لدرس سابق معجون بقدر كبير من المرارة، درس يقول: إن الدول العظمى لا تعنى أخلاقيات عظمى، إنها فقط.. تعنى مصالح عظمى، وهذا هو كل شىء.

الحلو والمر.. معا

وفى الطريق الآخر كان واضحاً أن أكثر من يدرك ذلك، ولأسباب مختلفة تماماً، هو ريتشارد نيكسون. إنه يريد بالدرجة الأولى حماية المصالح الأمريكية فى المنطقة. وإحداها إسرائيل. وحينما دفع إلى الأضواء بمبادرته الجديدة التى سميت مرة «خطة روجرز».. ومرة أخرى «مبادرة روجرز».. فإنه كان يقدم لإسرائيل الحلو.. والمر.. معا. إسرائيل متلهفة على أن يوقف المصريون حرب الاستنزاف. والولايات المتحدة تدعمها وتساعدها فى ذلك،

ومصر تريد ثمنًا سياسيًا محددًا ومعلنًا، والولايات المتحدة ليست لديها أدنى فرصة لتحقيق النصف الأول من الصفقة.. إلا إذا ضمنت وتعهدت بالنصف الآخر من الصفقة.

تلك إذن هي حدود المبادرة الأمريكية التي امتدت لسبعة شهور. باسم خطة روجرز، أولاً.. ثم مبادرة روجرز-ثانياً، إنها مبادرة تتم بهدف واحد هو المحافظة على المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط. وإسرائيل مجرد جانب واحد فيها.

ووسط صدام المصالح الدامي هذا.. من الطبيعي تمامًا، وإن كان سيصبح ملفًا بالمقارنة مع فترات لاحقة، أن أحد الطرفين لم يحاول مطلقًا التمسك في بعد شخصي لنا يجرى، فعلى المستوى الشخصي.. كان جمال عبد الناصر يقدر تمامًا خبرة ريتشارد نيكسون العميقة في الشؤون الدولية. وكان يدرك أيضًا أن نيكسون من طراز السياسيين الأمريكيين القليلين الذين تجاوز اهتماماتهم ساحل المحيط الاطلنطي. إن نيكسون ربما يكون محل جدل داخل الولايات المتحدة لأنه جمهوري، ويميني، ومحافظ، ومحارب تقليدي للشيوعية وكل ما يحتمل أن يكون حتى مجرد يسار بغير علاقة بالشيوعية، ولكنه على الأقل يبذل جهدًا لفهم مشاكل الشعوب الأخرى، والأهم من ذلك أن لديه دائمًا تصورًا محددًا لمصالح الولايات المتحدة التي تريد المحافظة عليها، حتى لو اختلف معه الآخرون في تشخيصها.

وربما من أجل ذلك حرص جمال عبد الناصر على أن يعامل ريتشارد نيكسون معاملة خاصة. حينما جاء الأخير إلى مصر في يونيو سنة ١٩٦٧.

ونيكسون الذي جاء إلى مصر وقتها كان مواطنًا أمريكيًا عاديًا. على الرغم من أنه عضو في الكونجرس الأمريكي ويحمل خطاب توصية رقيق اللهجة من الرئيس الأمريكي وقتها- جون كيندي- الذي هو بالصدفة كان منافس نيكسون في آخر انتخابات للرئاسة، وفاز عليه ضد كل التوقعات فانتقل نيكسون بالتالي من منصب نائب الرئيس في عهد إدارة دوايت ايزنهاور.. إلى مواطن أمريكي عادي في عهد جون كيندي.

بتلك الصفة إذن استقبل جمال عبد الناصر ريتشارد نيكسون في القاهرة. وتبادل معه الحديث في الشؤون الدولية. واستمع إلى انطباعاته بعد أن زار موقع العمل في بناء السد العالي في أسوان. حيث قال نيكسون علنًا: «إن قرار الولايات المتحدة بسحب عرضها للمساهمة في بناء السد العالي كان من أكبر أخطائهم».

يومها لابد أن جمال عبد الناصر تقبل هذا الرأي من نيكسون عن طيب خاطر.. متغاضيا عن حقيقة أن نيكسون نفسه كان نائبًا لرئيس الجمهورية حينما اتخذت الولايات المتحدة هذا القرار.

لكن المواطن العادى ريتشارد نيكسون تأكد فى رحلته إلى مصر هذه، من حقيقة رآها بعينيه، وهى أن السد العالى لم يكن مشروعاً وهمياً لتبرير مرور العملات بالدولار الأمريكى. والجنيه الاسترلينى، إلى عدد من النصابين والأفاقين السياسيين المحليين الذين اعتادت أجهزة المخابرات الأمريكية أن تبشر بهم رسلاً باسم «العالم الحر» فى الدول النامية- كما كان التقليد السائد حينئذ- ولكنه مشروع حقيقى.. وسد عال بالفعل.. تتم إقامته فى أسوان، بغير حتى أن يحمل اسم «عبد الناصر» الذى حارب من أجله معارك هددته شخصياً. ونظامه كله. بالسقوط.

تلك إذن حقيقة أدركها المواطن الأمريكى ريتشارد نيكسون. فى ظروف عادية تماماً. وبغير أن يتصور أحد فى حينها انه سيصبح بعد سنوات قليلة: ريتشارد نيكسون. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

والآن يقضى ريتشارد نيكسون سنته الثانية فى منصب الرئاسة الأمريكية. وهناك صدام فى المصالح يقوم على فكرة «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط» من ناحية.. والمقاومة الصلبة من ناحية أخرى. ولأن نتائج هذا الصراع سوف تشكل مستقبل العالم العربى والشرق الأوسط لسنوات عديدة تالية. فقد أصبحت السياسة المصرية فى تلك الفترة تقوم على العمل بمثابرة وجدية لتغيير ميزان القوى. بعد الخديعة الكبرى. مصيدة يونيو ١٩٦٧. لم يعد جمال عبد الناصر مستعداً للثقة إلا بقوة الجيش المصرى وقدرته على تصحيح ما جرى بقوة السلاح، وبعض المصادر الإسرائيلية هنا تفسر إصرار جمال عبد الناصر هذا بتسلط فكرة «الثأر» أو «الانتقام» عليه.. وهى فكرة لها جذور عند أبناء الصعيد بجنوب مصر. وعبد الناصر هو أصلاً من مواليد «بنى مزار» فى الصعيد.

القفزة الأخيرة لحائط الصواريخ

وعلى أية حال فإن الثابت هو أنه. بمبادرة أمريكية أو بغير أمريكية. فإن عبد الناصر لم يكن مستعداً لوضع ثقته فى أى عمل دبلوماسى أو سياسى كبديل لتحرير الأرض. فحتى لو كانت «مبادرة روجرز» فى صالح مصر والعرب بنسبة خمسة وتسعين بالمائة على حد تعبير جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية.. إلا أن عبد الناصر فى المؤتمر القومى الذى عقد بالقاهرة فى يوليو. صرح الأعضاء بأنه يؤمن بأن فرصة نجاح المبادرة لا تتجاوز النصف فى المائة. أما الضمان الحقيقى فى رأى عبد الناصر فهو استكمال القوات المسلحة المصرية لقدراتها العسكرية.

من هنا كان ضمان استكمال حائط الصواريخ فى جبهة قناة السويس هو أحد العوامل الأساسية لقبول عبد الناصر تلك الفترة المؤقتة لوقف إطلاق النار. التى تطلبتها مبادرة روجرز، ولأن المبادرة لم تستهدف بالطبع إعطاء مزايا عسكرية لمصر، فإن الأمريكيين اشترطوا تثبيت الموقف العسكرى طوال الأشهر الثلاثة فى مسافة خمسين كيلو متر غرب وشرق قناة السويس فيما سيمى «منطقة التسكين»، وبالطبع ستقوم طائرات الاستطلاع الأمريكية «يو-٢» بمراقبة تلك المنطقة من الجبهة حتى لا يعدل أحد الطرفين من أوضاعه العسكرية فيها بشكل جذرى خلال فترة الأشهر الثلاثة، وفى الذهن الأمريكى وقتها أن مصر لابد ستطلب من الاتحاد السوفياتى القيام بنفس المهمة لحسابها.

من هنا اتفق جمال عبد الناصر مع الفريق محمد فوزى وزير الحربية على وضع خطة عاجلة للقيام بـ «القفزة الأخيرة» لحائط الصواريخ المصرى الجديد فى اتجاه قناة السويس. بحيث تصبح تلك القفزة المفاجئة أمرا واقعا مع الدقيقة الأولى من بدء سريان فترة وقف إطلاق النار.

مفاجآت مذهلة

وبالفعل، فإن قوات الدفاع الجوى المصرى قامت، فى ظل غارات إسرائيلية لا تتوقف وبتضحيات تحملتها فى صلابه، بنقل النسق الأول من الصواريخ إلى الشاطئ الغربى لقناة السويس مباشرة قبل منتصف الليل يوم ٧ أغسطس، بحيث إنه عندما بدأ، سريان وقف إطلاق النار فى الواحدة من صباح ٨ أغسطس، كانت إسرائيل أمام مفاجأة مذهلة على الجانب المصرى.. لن تدرك أبعادها العسكرية الكاملة قبل عدة أيام.

وفى صباح ٨ أغسطس ١٩٧٠ أى فى الساعات الأولى لسريان وقف إطلاق النار، تم اجتماع سرى للغاية.. فى مقر قيادة الدفاع الجوى.. كان الاجتماع العاجل هو بذاته نموذج لما يجرى فى قيادات الطيران والبحرية والجيشين الميدانيين فى الجبهة و.. و..

ضباط وخرائط ولوحات، ثم دخل اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى متأملا وجوه مساعديه وكبار الضباط، بعضهم لم بنم بالمره خلال الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة. كلهم تختلط فى وجوههم ملامح الإعياء مع علامات الانشراح. هذا طبيعى. فالأيام الأخيرة كانت أيامهم، فى الواقع أنه منذ ٣٠ يونيو ١٩٧٠ وهؤلاء الرجال يفاجئون إسرائيل فى كل مرة يقفزون بحائطهم الصاروخى إلى الأمام أكثر وأكثر باتجاه قناة السويس.. ولم يعد هناك

حديث للعالم كله سوى تلك الصواريخ بعد أن خرج الساسة الإسرائيليون يتصايحون علنا في حالة هيستريا، حتى الولايات المتحدة قالت لإسحاق رابين في واشنطن: يلزمنا وقت لكى نساعدكم بأنواع جديدة من الأسلحة تواجهون بها حائط الصواريخ المصرية هذا.

الآن يجتمع اللواء محمد على فهمى بكبار مساعديه، بالطبع هناك تهنئة وترحم على أرواح شهداء كانوا جزءا غاليا من الثمن الذى دفعته مصر لإقامة حائطها الصاروخى الجديد، هو فى لحظتها أصبح أكبر حائط صاروخى فى العالم حسب وصف وكالات الأنباء، لكن محمد على فهمى لم يستطرد كثيرا فى التهنئة، لقد استدار إلى أحد معاونيه وطلب منه أن يتقدم إلى الخرائط العسكرية التى تتوسط قاعة الاجتماع ويشرح طبوغرافية سيناء من منظور الدفاع الجوى، ما هى العوائق داخل سيناء؟ ما هى المواقع؟ من أين سيجنى العدو بالطيران أو بالمدفعية؟ كيف نفاوره؟ نفاجئه؟.. تلك وغيرها أسئلة محددة تتطلب دراسات محددة وإجابات محددة مطلوب إنجازها خلال ثلاثة اشهر.

ثم اختتم اللواء محمد على فهمى الاجتماع قائلا لضباطه: إن التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب أن نعترف بها، لكن ينبغى أيضا ألا ننسى أننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حرب الاستنزاف، بل استطعنا تحقيق بعض الانتصارات عليه، وفى معركتنا المقبلة لن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق، بل سيكون علينا أن نهزم هذا التفوق ونحطم الأسطورة، الكلمات محددة، فيها ثقة لكن بلا غرور، فيها تأكيد لكن بلا أوهام، فيها تواضع لكن بعلم ومعرفة وقدرة على تحقيق النصر.

أما بالنسبة لعبد الناصر، فقد أدرك أخيرا، وبعد مشوار مضمّن استمر ثلاث سنوات، أنه يستطيع الآن الوفاء بوعده الذى قطعه على نفسه فى مناسبات عديدة ومن بينها جلسة مغلقة للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى - ومحضر الجلسة بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ١٩٦٨ - من إنه: «سيأتى إن شاء الله اليوم الذى تعبر فيه قواتنا المسلحة إلى شرق القناة لتطرد العدو من سيناء، ولن تكون المعركة هذه المرة معركة أيام ستة أو سبعة، لكنها ستكون معركة حاسمة فى المنطقة».

أما إسرائيل فقد كان الجميع مشغولين بالفرحة الطاغية لوقف إطلاق النار، إن أبا ايابان وزير الخارجية تحدث فى الكنيسة عن حدوث تآكل خطير فى سلاح الطيران الاسرائيلى. لكن الحقيقة الكاملة كانت أكثر فداحة مما يتوقعه الجميع - حتى المصريين، فقد ذكرت البلاغات الرسمية المصرية أنها أسقطت فيما بين ٣٠ يوليو و٨ أغسطس ١٦ طائرة. فيما

ستنشر مجلة «افيشن ويك» أن ما أسقطته مصر فعلا هو ١٧ طائرة، بالإضافة إلى إصابة ٣٤ طائرة أخرى، ولكن، حينما ستقوم الولايات المتحدة فعلا بتعويض إسرائيل، تبين أن ما أسقطته مصر خلال نفس الفترة ١٨ طائرة، ولكنها من طراز «فانتوم»... وبعد وقف إطلاق النار قام دونالد بيرجيس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة بمصارحة وزير الخارجية محمود رياض بأن البلاغات المصرية كانت متواضعة تماما بالنسبة للحقيقة. ويقول أبا اييان وزير الخارجية الاسرائيلي: «لقد تم استقبال وقف إطلاق النار في إسرائيل بشعور من الرضاء، وحينما أعلنته مس ماثير في التلفزيون كان رد فعل الراى العام كما لو أننا حصلنا على تسوية سلمية. إن نشرات الأخبار لن تبدأ بعد الآن بالصوت الحزين لمذيع الراديو وهو يخبرنا بأسماء الشباب الاسرائيلي الذين سقطوا في المعركة، إن ما حصده الحرب من الأرواح والمعدات الثمينة جعل الحرب مكلفة بالنسبة لنا».

حرب حقيقية

وتقول غولدا ماثير: «بالنسبة لنا، كانت حرب الاستنزاف حربا حقيقية تطلبت كل تصميم وشجاعة وقوة ومهارة جنودنا وطيارينا للمحافظة على خطوط وقف إطلاق النار. ونكى يحاولوا- بصرف النظر عن التكليف- إيقاف تحرك قواعد الصواريخ (المصرية) تماما، وهى القواعد التى كان المصريون والروس منهمكين تماما فى إقامتها بالقرب من خطوط وقف إطلاق النار. مع ذلك، كانت هناك حدود لقدراتنا على أن نتحمل هذا كله وحدنا. فكان لابد من حصولنا على المساعدة من طائرات وأسلحة. وكان يجب أن نحصل عليها سريعا. وكانت القوة الدولية الوحيدة التى نستطيع التوجه إليها طلبا لتلك المساعدات هى الولايات المتحدة». ويقول حايم هيرتزوغ الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية: «لم تكن الحرب بالنسبة لإسرائيل سهلة من حيث القتلى. ببروايز سوداء تظهر يوميا فى الصحف الإسرائيلية حول صور الجنود والضباط الذين سقطوا قتلى فى اليوم السابق. لقد كانت بالضرورة حرب أعصاب. وبالنسبة للراى العام الاسرائيلي الذى اعتاد على نتائج سريعة وسهلة فى الحروب مع العرب. فإن الموقف (الذى خلقتة حرب الاستنزاف المصرية) لم يكن فيه ما يساعد روحهم المعنوية..

أما إسحاق رابين السفير الاسرائيلي فى واشنطن. والذى كان يمطر حكومته فى مرحلة سابقة ببرقيات تحثها على تصعيد الغارات الجوية ضد مصر. وفى العمق. فإنه يعترف

الآن بأنه : «الناس في إسرائيل تنهدوا جميعا في نفس اللحظة إحساسا بالفرح . ولو لم تكن تلك الورطة المرعبة (المتعلقة بالجانب السياسى فى مبادرة روجرن) لكنت شاركتهم أفراحهم يوم ٨ أغسطس حينما وصلت إلى إسرائيل للتشاور».

كان استدعاء إسحاق رابين للتشاور يتعلق بمحاولة إسرائيل التملص بأى ثمن من الجانب السياسى فى مبادرة روجرز ، والآن يزيد على ذلك.. الأمر الواقع الجديد ، والمفاجئ : الذى خلقه المصريون باستكمال نقل قواعدهم الصاروخية إلى أقرب نقطة من قناة السويس . فيما تريد إسرائيل الآن أن تثيره مع الولايات المتحدة على أنه انتهاك مصرى لشروط وقف إطلاق النار.

إسرائيل تعترض على التصوير الجوى

ومن المثير للتأمل هنا أن إسرائيل هى التى كانت تخطط من البداية لكى تنتهك شروط وقف إطلاق النار- كما ثبت فيما بعد- وأن دلائل هذا التفكير كانت واضحة من البداية . لقد أكد الأمريكيون من قبل أنهم سيلتقطون صوراً جوية بواسطة طائرات «يو-٢» قبل وقف إطلاق النار، حتى يكون هناك أساس للمقارنة فيما بعد إذا اشتكى أحد الطرفين من حدوث انتهاكات.

ولكن بطريقة لا يمكن تفسيرها تلقى الملحق العسكرى الاسرائيلى فى السفارة بواشنطن تعليمات من شخصية كبيرة فى مؤسسة الدفاع الإسرائيلية بأن يخطر الأمريكيين بأن إسرائيل تعترض على التقاط صور جوية قبل بدء سريان وقف إطلاق النار! إن تلك البرقية العجيبة تضمنت تلميحا غير مفهوم بأنه إذا حاولت الطائرات الأمريكية التقاط صور لمنطقة القناة، فسوف تعترضها إسرائيل- وذلك على الرغم من أن كل شخص يعرف أن قواتنا الجوية لا تملك أية وسيلة لاعتراض طائرات «يو-٢» ذات الارتفاع الشاهق، وقبل أن يمر وقت طويل اثبت غياب مثل تلك الصور. إنه عقبة كبرى أمامنا فى إقناع الأمريكيين بانتهاكات المصريين لوقف إطلاق النار.

إن إسرائيل فى الواقع وكما هو متوقع دائما، انتهكت وقف إطلاق النار على وجه السرعة بعمل تحصينات جديدة فى خط بارليف لبعض ما دمره المصريون أثناء حرب الاستنزاف . وحصلت مصر فيما بعد على صور من الأقمار الصناعية السوفيتية تثبت تلك الانتهاكات . ولكن.. لا بأس أن تبادر إسرائيل بالهجوم الدبلوماسى كوسيلة للدفاع . ولأنها تدرك أن المرحلة

الحتمية التالية هي عبور الجيش المصرى قناة السويس لتحرير سيناء. فى حماية الشبكة الصاروخية الجديدة التى تعطى الجيش المصرى الغطاء الكافى حتى مضائق سيناء على الأقل. وهكذا تلقى إسحاق رابين السفير الاسرائيلى فى واشنطن، والعائد لتوه من مشاورات فى إسرائيل، مكالة تليفونية من موسى ديان وزير الدفاع، يبلغه بأن «المصريين حركوا صواريخهم فى منطقة التسكين» داخل نطاق ثلاثين كيلو متر من قناة السويس. وذهب رابين ينقل الشكوى إلى الأمريكيين، لكنهم «ساروا فى تحركاتهم على مهل وهم يلتقطون الصور، ثم يقومون بتحميزها، ثم يؤرخون استخلاص النتائج».

وفى البداية رفضت الولايات المتحدة قبول الادعاءات الإسرائيلية. وأعلن ميلغين ليرد وزير الدفاع الأمريكى أنه ليس لدى المخابرات الأمريكية أية معلومات حول مخالفة مصر لوقف إطلاق النار. وفى اليوم التالى قام دونالد بيرجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة بتسليم مصر مذكرة من وزير الخارجية الأمريكية روجرز. تقتصر على إبلاغ مصر بالشكاوى الإسرائيلية، التى تقول إن مصر أقامت ١٤ موقعا صاروخيا جديدا داخل منطقة التسكين المتفق عليها، بالمخالفة لترتيبات وقف إطلاق النار.

ولكن وزير الخارجية الأمريكى وليم روجرز يبلغ مصر أيضا بإصرار الولايات المتحدة على أن يبدأ السفير يارنغ ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة مباحثاته على الفور، تنفيذا للمبادرة الأمريكية.

مصر ترفض مزاعم إسرائيل

مع ذلك فإن حالة الرعب التى انتابت الحكومة الإسرائيلية نتيجة مفاجأة الصواريخ المصرية. والضغوط المتلاحقة التى حاولتها داخل الإدارة الأمريكية، جعلت الولايات المتحدة فى النهاية تتبنى وجهة النظر الإسرائيلية وتبلغ مصر بمذكرة سرية قدمها بيرجس فى القاهرة يوم ٣ سبتمبر بأن المخالفات المصرية انتهك لوقف إطلاق النار، وأن الحكومة الأمريكية ترجو معرفة «وجهة نظر القيادة العسكرية (المصرية) عن الأسباب التى تدعوها إلى اتخاذ مثل تلك الأجراء».

وبالطبع رفضت مصر على الفور كل تلك المزاعم. وتسلم دونالد بيرجس فى اليوم التالى مباشرة- ٤ سبتمبر- مذكرة مصرية ما يزال تصنيفها «سرى للغاية» فى الملفات المصرية. وتنشر فى ملاحق هذا الكتاب.

وطبقا للمذكرة الرسمية المصرية، فإن القيادة العسكرية المصرية ترى أن تحريك مواقع الصواريخ المصرية في منطقة القناة هو «إجراء عسكري تستدعيه سلامة مواقع الصواريخ وسلامة القوات المسلحة، وأضافت القيادة أن تحريك الصواريخ في داخل المنطقة يمكن أن يؤدي إلى مهاجمة إسرائيل لمواقع الصواريخ في أية لحظة وأن تلحق الخسائر بها، وذلك لتأكيدنا من وجودها في هذه المواقع إذا لم تتحرك منها».

«ولذلك فإنه عندما تطالبنا أمريكا بإهمال هذه النقطة الحيوية من أجل حماية مواقعنا ضد أي هجوم مفاجئ من إسرائيل، فإن ذلك يحتم علينا أن نضع سؤالاً للولايات المتحدة عما إذا كانت تستطيع أن تقدم لنا ضماناً بأن إسرائيل لن تقوم بأي هجوم على هذه المواقع. وأنه إذا نقضت إسرائيل هذا الضمان فما هو الجزاء الذي ستقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحالة ضد إسرائيل؟».

وبالتدريج سوف تجد الولايات المتحدة نفسها معزولة تماماً عن المجتمع الدولي في تبنيها للحجج الإسرائيلية ضد شبكة الصواريخ المصرية ومطالبتها مصر بتصحيح الانتهاكات. وسوف ينتهي الأمر في شهر نوفمبر ١٩٧٠ بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد الحجج الإسرائيلية، بل والحاجة إلى الانسحاب الاسرائيلي الكامل والمبكر من الأراضي العربية المحتلة، وعلى حد تعبير أبا ايابان وزير الخارجية الاسرائيلي تعليقا على ذلك القرار: «لقد تحركت ضدنا أغلبية كاسحة في الأمم المتحدة موالية للعرب»!

مقابلة فاترة بين رابين ونيكسون

على أية حال لم نكن قد وصلنا بعد إلى تلك النقطة في أغسطس ١٩٧٠ حينما ذهب السفير الاسرائيلي إسحاق رابين إلى مستشاره الأول داخل الإدارة الأمريكية هنري كيسنجر، يقترح عليه دعوة غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل إلى واشنطن، لعلها تقنع الرئيس نيكسون بعدم التمسك بالجانب السياسي في مبادرة روجرز. وقال له كيسنجر: لا.. ليس الوقت ملائماً بعد لتوجيه مثل تلك الدعوة، ولكنك ستقابل الرئيس نيكسون.

وحينما ذهب رابين ليقابل الرئيس نيكسون. في ١٧ أغسطس، كانت المقابلة في هذه المرة تتم في غرفة الخرائط بالبيت الأبيض. وكان نيكسون مصحوباً بالكسندر هيغ، نائب كيسنجر، وليس كيسنجر. وفي المقابلة حاول رابين إقناع الرئيس نيكسون بأن تؤجل إسرائيل المشاركة في مباحثات يارنغ - تنفيذاً لمبادرة روجرز - إلى أن تصح مصر

انتهاكاتها لوقف إطلاق النار وتسحب الصواريخ التي حركتها قرب القناة، لأن العسكريين الإسرائيليين يضغطون على غولدا مائير بشكاويهم المتلاحقة من خطورة تلك الصواريخ. لكن الرئيس نيكسون يرد عليه قائلا: إن لدى أنا الآخر ما أعانيه من الضغوط السياسية.. والرأي العام الأمريكي هو الآن في مزاج يحبذ السلام، وفوق كل شيء فإنني مضطر لتشجيع بدء المباحثات (مع يارنغ) للتوصل إلى تسوية سياسية. ويقول رابين: لقد وجدت نفسي أتحدث في اتجاه، بينما الرئيس (نيكسون) يتحدث في اتجاه آخر مختلف، حيث قال لي: «يجب ألا تسمح إسرائيل لنفسها بتحمل اللوم عن رفضها التفاوض (مع يارنغ)....». وفي اليوم التالي سافر رابين إلى إسرائيل فورا لإبلاغهم بهذا الموقف. حيث: «وجد مجلس الوزراء في حالة اضطراب وغليان».. بسبب الرعب من حائط الصواريخ المصرية في قناة السويس. ثم عاد رابين إلى واشنطن بالحاح من رئيسة وزرائه للحصول على دعوة لزيارة واشنطن والتباحث مع الرئيس نيكسون. ونيكسون يوافق في النهاية، ولكنه يحدد لها موعدا بعد شهر كامل.



الفصل العشرون

خطة العبور جرانيت

- لن نسحب صاروخا واحدا.. وعلى المتضرر أن يخبط رأسه فى الحائط..
- قيادات فلسطينية اتهمت عبد الناصر بالخيانة وما زالت تلهث للحصول على جزء مما تضمنته مبادرة روجرز
- كيسنجر يدعو إلى طرد السفير السوفياتى
- خطة طوارئ سرية لضرب المصالح الأمريكية بالشرق الأوسط
- مندوب مصر يسأل عبد الناصر: سيادة الرئيس.. ما هو الحد الأدنى الذى يرضيك؟ وعبد الناصر يرد: القدس وحقوق الشعب الفلسطينى



ذهب السفير الاسرائيلي في واشنطن إسحاق رابين إلى كيسنجر، فهو دائما عين وأذن إسرائيل داخل الإدارة الأمريكية، وقال له إذا لم تستطع الولايات المتحدة أن ترغم مصر على سحب صواريخها، كما هو واضح، فعلى الأقل تريد غولدا مائير صفقات كبيرة من الأسلحة الأمريكية تعويضا عن ذلك.

وسأله كيسنجر: ماذا عن الجانب السياسى (فى مبادرة روجرز- الذى يقضى بالانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء والضفة الغربية وحقوق الفلسطينيين)؟.

قال رابين: بقدر ما يعنينا الأمر، فإن خطة روجرز غير موجودة، إن يارنغ يستطيع أن يجمع الأطراف تحت إشرافه، ولكننا نريد أن تطلق الولايات المتحدة يدنا لكى نتفاوض (مع مصر والأردن تحت أشرف يارنغ) بغير شروط مسبقة.

وقال له كيسنجر محذرا: إذا جئتم إلى الرئيس نيكسون بمثل هذا الحديث، فسوف تستمعون إلى كلمات طيبة من الرئيس، ولكن لا شئ محدد أو ملموسا تحصلون عليه. يجب أن تأتوا إلى الرئيس (أثناء زيارة مائير) بشئ أكثر تحديدا.

وبناء على نصائح كيسنجر قام السفير رابين بإخطار حكومته فى أواخر أغسطس بان الرئيس نيكسون لن يعتبر انتهاكات مصر لوقف إطلاق النار مبررا لرفض إسرائيل المشاركة فى مباحثات يارنغ، ولكن هناك حل- وهنا تأتى فكرة كيسنجر- خلاصة: :إننا نستطيع تأجيل تعيين ممثلنا فى المباحثات أثناء قيامنا بحث الولايات المتحدة على اتخاذ إجراء دبلوماسى لإزالة الصواريخ المصرية الجديدة.

إن الفرحة الطاغية فى إسرائيل بوقف إطلاق النار فى الجبهة المصرية خلال تلك الفترة، أصبحت على نقيض كامل مع حالة الاكتئاب الطاغية التى بدأت تعيش فيها القيادات الإسرائيلية. فعلى المستوى العسكرى كانت القيادات الإسرائيلية تدرك جيدا معنى نجاح مصر أخيرا فى نقل حائطها الصاروخى إلى القناة، وتحس بالرعب من احتمالات المستقبل. وأقلها العبور المصرى الشامل إلى سيناء، وعلى المستوى السياسى كانت مبادرة روجرز تعنى انسحاب إسرائيل من كل شبر فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية وأيضا: حق الفلسطينيين فى العودة.. أو التعويض.

وفى داخل الإدارة الأمريكية كان هذا الشعور الاسرائيلى بالاكتئاب منعكسا بأوضح ما يمكن على شخص واحد ؛ هنرى كيسنجر، اليهودى الصهيونى الأمريكى المتعصب الذى يشغل منصب مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى، ويقول الصحفى الأمريكى سيمور هيرش: «لقد زاد اكتئاب كيسنجر أكثر وأكثر بعد ذلك فى مواجهة جرت بينه وبين وليم روجرز (وزير الخارجية) يوم ٢٥ أغسطس فى سان كليمنت، إن روجرز اتهمه صراحة بأنه يسعى إلى إثارة أزمة من خلال الإصرار الزائد على تصحيح انتهاكات وقف إطلاق النار (المصرية)».

إن نجاح روجرز فى إنجاز وقف إطلاق النار، وتحسين المكانة السياسية للإدارة (الأمريكية) فى الشرق الأوسط قد شجعه وزاد من جرأته بشكل واضح، وجاءت استجابة نيكسون للجدل داخل حكومته بطريقة المعتادة من التسويف والتأجيل.

لقد أعلن يارنغ فى ٢٤ أغسطس عن مشاركة ممثلين لمصر والأردن وإسرائيل فى المباحثات الجديدة تحت إشرافه. وعلى الرغم من أن إسرائيل كانت تجرر قدمها فى إذعانها بمبادرة روجرز، إلا أنها استثمرت فى سعيها لفتح أى منفذ يتيح لها القرار من التزام لم يعد أمامها فكاك من تنفيذه، والإدارة الأمريكية اضطرت إلى إبلاغ مصر فى النهاية بموافقتها على الشكاوى الإسرائيلية. وصرحت بإعطاء إسرائيل ١٨ طائرة فانتوم جديدة على أساس أنها تعويض لها عما أسقطته مصر من طائرات الفانتوم قبل ٨ أغسطس. وكذلك بمعدات اليكترونية للتشويش على الصواريخ المصرية.

وأعلنت إسرائيل فى ٦ سبتمبر أنها لن تستطيع المشاركة فى مباحثات يارنغ بسبب الانتهاكات المصرية.. ومع ذلك ففي ١٨ سبتمبر، حينما جاءت غولدا مائير لكى تتباحث مع الرئيس نيكسون، وطبقا لرواية السفير رابين، فإن نيكسون «قال لها كلمات طيبة عن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل، ووعداها بأنه لن يسمح بتحول ميزان القوى ضدها، على الرغم من أن الميزان تحول فعلا».

ومع ذلك فقد كانت الهستيريا الإسرائيلية من الصواريخ المصرية تتزايد. مع أن وقف إطلاق النار مستقر منذ تاريخه إلا أن إسرائيل تمطر أمريكا بالشكاوى.. مدعية بأن ما أدخلته مصر إلى منطقة «التسكين» - أى ٣٠ كيلو مترا من قناة السويس - ثلاث كتائب صواريخ.. ولهذا لايمكن أن تتفاوض وتلك الصواريخ فى رؤوسها، شكوى أخرى: «مصر أدخلت عشر كتائب صواريخ.. ثم ثلاثة ورابعة.. مصر أدخلت ١٤ كتيبة صواريخ فى ليلة

واحدة قبل وقف إطلاق النار.. إذن.. ماذا ستفعله بنا مصر فى باقى الليالى.. عليكم (أى أمريكا) أن تلحقونا بحل فورا.. وإلا.. على مصر أن تسحب الصواريخ.. فهل تصدق أمريكا أن مصر تفعل ذلك فى ليلة واحدة قبل وقف إطلاق النار؟.. وأمريكا تبذل مصر بالشكاوى الإسرائيلية.. ووزير الخارجية محمود رياض يبلغ المندوب الأمريكى: نحن لم نخرق وقف إطلاق النار، وسواء تعلق الأمر بكتيبة صواريخ واحدة أو بعشرة أو بأكثر أو أقل.. فلن نسحب صاروخا واحدا.. وعلى المتضرر أن يخطب رأسه فى الحادث..

ولم يفهم القائم برعاية قسم المصالح الأمريكية فى القاهرة- دونالد بيرجس- أى حائط ينصح محمود رياض إسرائيل بان تخطب رأسها فيه: حائط المبكى.. أو حائط الصواريخ المصرية؟. ومع هذا فإن الدبلوماسية الأمريكية سوف تسير الشكاوى الإسرائيلية علنا وتتبنها فى المناقشات التالية التى ستدار بالجمعية العامة للأمم المتحدة، ومع ذلك فلقد «بدا أن الانتهاك المصرى هو قضية ميتة Dead Issue بقدر ما يعنى الأمر الولايات المتحدة.

شيك على بياض

مع ذلك فإن كابوس الصواريخ المصرية، والمضمون السياسى لمبادرة روجرز، جعل إسرائيل تستمر فى إلحاحها على الإدارة الأمريكية.. لعل وعسى.. إن كيسنجر يصور الأمر إلى الرئيس نيكسون بطريقة مأكرة وخبيثة، حيث: «أن الروس قاموا بإذلال الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، وقد تم السماح لهم بذلك دون أن يدفعوا الثمن».

ولم يكن الأمر يتعلق بالروس، لأن الاتحاد السوفيتى لم يكن فى أى وقت طرفا فى ترتيبات وقف إطلاق النار التى وضعتها الولايات المتحدة واتفقت عليها مع كل من مصر وإسرائيل، كما أن الذين أقاموا حائط الصواريخ فى منطقة القناة كلها هم المصريون إنهم رجال اليوم السابع، وليسوا السوفيات: ومع ذلك فإن كيسنجر يريد أن يطرح الأمر بهدف محاولة استفزاز الرئيس نيكسون لسرعة التصرف. بحجة أنه على هذا النحو سيعاقب السوفيات وليس أى طرف آخر.

وفى سبيل الترويج لهذا المنطق لم يتورع كيسنجر من استخدام كل الأساليب الملتوية فى محاولاته المستمرة لمساعدة إسرائيل بنسف مبادرة روجرز، وفى بداية شهر سبتمبر (١٩٧٠) نشر جوزيف السوب عمودا صحفيا سرعان ما سيصبح حديث كل السلك الدبلوماسى الأجنبى فى واشنطن.

إن جوزيف السوب كان معروفاً في العاصمة الأمريكية على أنه حميم الصلة بكيسنجر مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومي وموضع ثقته بأكثر من أي صحفي آخر، كما أنه معروف بأنه «كثيراً ما يستخدمه البيت الأبيض». والآن يكتب السوب عموداً يعبر في الواقع عن رأي كيسنجر، ويتضمن هجوماً حاداً ضد وزير الخارجية روجرز، وضد السفير السوفياتي في واشنطن دوبرينين، حيث قام كيسنجر بإطلاع السوب على ذلك التقرير شديد السرية الذي أعده روجرز عن اجتماعه مع السفير السوفياتي دوبرينين في الثاني من يونيو ١٩٧٠، في ذلك الاجتماع قام روجرز بإطلاع السفير السوفياتي على تصريحات لموشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي يقول فيها: إن الصواريخ ذات الأطقم السوفيتية لو اقتربت من قناة السويس بأقل من ثلاثين كيلو متراً فإن هذا يعني انقلاباً في توازن القوى مع مصر، ويومها قال السفير السوفياتي لروجرز: «إن الوجود السوفيتي في مصر هو وجود في العمق لحماية المدنيين من الغارات الجوية الإسرائيلية، ولا علاقة له بجبهة القناة». أو ٣٠ كيلو متراً من القناة».

ووقتها اعتبر كيسنجر أن روجرز قد أعطى بهذا الشكل شيكا على بياض للسوفيات يسمح لهم بأي تحرك عسكري في مصر، طالما هو يبتعد عن قناة السويس بأكثر من ٣٠ كيلو متراً، وهو الأمر الذي جعل كيسنجر وقتها يقدم استقالته من منصبه احتجاجاً وغضباً. إلى أن اضطر إلى سحبها حينما لم يتجاوب معه الرئيس نيكسون.

دعوة لطرد السفير السوفياتي

والآن في مطلع سبتمبر ١٩٧٠ يتحدث جوزيف السوب في عموده عن «أكاذيب سوداء» قالها دوبرينين لروجرز في ذلك اليوم.. وقال السوب إن انتهاكات وقف إطلاق النار في الشرق الأوسط بواسطة السوفيات «ودميتهم (المصريين) هي انتهاكات قذرة».. وأضاف قائلاً: «إن تملل بعض الرسميين الأمريكيين من الاعتراف بأنهم تعرضوا للخديعة بلا خجل، هو أمر أدى دوره بوضوح في التملص الأمريكي الدنيء والخسيس من حقيقة حدوث انتهاكات مصرية لوقف إطلاق النار».

ولذلك فإنه بالنسبة للسفير السوفياتي دوبرينين. فإن جوزيف السوب يقترح في عموده بطريقة غير مباشرة: «أن تقوم الولايات المتحدة بإعلانه شخصاً غير مرغوب فيه. بسبب كذبه المقنع»!

ويومها «لم تكن هناك أية شكوى لدى احد في وزارة الخارجية (الأمريكية) أو في السفارة السوفيتية (بواشنطن) بشأن مصدر معلومات السوب ، أو الشخص الذي يعبر هذا العامود من الأساس عن وجهة نظره» وهو- هنرى كيسنجر- مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى.

كان حائط الصواريخ الذى أقامته مصر فى قناة السويس هو إذن مصدر رعب على هذا النحو بين القيادات الإسرائيلية ، وكان كيسنجر أداتهم داخل الإدارة الأمريكية وخارجها فى العمل بأى ثمن على جرجرة الولايات المتحدة إلى المواجهة مع الاتحاد السوفيتى ، على الرغم من حقيقة أن السوفيات لا دخل لهم فى الموضوع ، وحينما اتضح للجميع أن مصر لن تتراجع مطلقا ، ولن تسحب صاروخا واحدا من صواريخها فى جبهة قناة السويس ، ابتلع كيسنجر ، وإسرائيل ، غيظهما.. قبل أن تنشق الأرض عن مكان آخر يتفجر فيه هذا الجبل من الغيظ.

التمهيد لأحداث أيلول

ففى الرابع من سبتمبر ١٩٧٠ تلقى الدبلوماسى الأمريكى دين براون أمرا مفاجئا بالسفر إلى البيت الأبيض الغربى فى ولاية كاليفورنيا لمقابلة الرئيس نيكسون. إن براون كان دبلوماسيا محترفا ، وقد انتهى لتوة من الخدمة فى السنغال وجامبيا فى غرب أفريقيا كسفير للولايات المتحدة. وعلى الرغم من أنه لم يكن خبيرا بشئون الشرق الأوسط. إلا أنه تم إبلاغه مؤخرا بأنه سيعين سفيرا للولايات المتحدة فى لبنان.

والآن يذهب دين براون لمقابلة الرئيس نيكسون فى الرابع من سبتمبر، حيث وجد إلى جانبه هنرى كيسنجر، والذى جلس يسجل محضر المقابلة.

وكان هناك معنى محدد ركز عليه الرئيس نيكسون فى تلك المقابلة ، حيث هو : «يؤمن الآن بأن الحرب أصبحت حتمية فى الشرق الأوسط، وهى حرب يمكن أن تعجل بالحرب العالمية الثالثة ، فالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى يتخذان موقف المقاتلين ضد بعضهما البعض».

وقال الرئيس نيكسون للسفير إن السوفيات قد بدأوا يثيرون المتاعب فى الشرق الأوسط. هم والدول المتعاملة معهم (يقصد مصر وسوريا). وهو الآن يختاره سفيرا له فى الأردن، وليس فى لبنان كما تم اختياره من قبل.. «لأن منظمة التحرير الفلسطينية التى يساعدها

السوفيات أصبحت تمثل تهديدا مباشرا للنظام الاردنى... على حد قوله . ولذلك فستكون مهمة براون هى تدعيم النظام الاردنى بكل وسيله ممكنة.. من هنا فإن على دين براون أن يذهب إلى الأردن فوراً كسفير للولايات المتحدة، ومن هناك عليه إبلاغ الرئيس نيكسون فوراً بأية معلومات هامة تطرأ فى الفترة القادمة.. وأن يكون هذا التبليغ من خلال هنرى كيسنجر، وليس عن طريق الخارجية !

ولم يكن للاتحاد السوفيتى علاقة بالشقاق المتزايد بين منظمة التحرير الفلسطينية والملك حسين فى الأردن، ولكن المنظمة من جانبها كانت قد صعدت هجومها ضد الملك حسين منذ أسابيع قليلة كجزء من هجومها ضد جمال عبد الناصر، بسبب قبول مصر والأردن لمبادرة روجرز، التى اعتبرتها المنظمة من جانبها خيانة للقضية الفلسطينية. ومؤامرة من جمال عبد الناصر والولايات المتحدة هدفها «تصفية» القضية الفلسطينية !

خطف الطائرات

فى السادس من سبتمبر ١٩٧٠، أى بعد يومين اثنين من حديث دين براون مع نيكسون وكيسنجر فى تلك المقابلة غير المعلنة، قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف طائرة ركاب سويسرية، وطائرتي ركاب أمريكيتين، (ثم طائرة بريطانية رابعة بعدها بثلاثة أيام).. وأصبحت تحتجز خمسمائة من الركاب المدنيين فى مطار قريب من العاصمة الأردنية عمان، فضلا عن تفجير الطائرات ذاتها، وإحداهما تم تفجيرها فى مطار القاهرة بمجرد هبوطها على أرض المطار.

إن تلك الأحداث سوف تؤدى سريعا إلى حرب أهلية دامية فى الأردن، وإلى أزمة كبرى تلعب إسرائيل فيها دورا هاما- بناء على مشورة كيسنجر- وستكون لها تأثيرات طويلة المدى. على الرغم من المؤتمر الطارئ لل قمة العربية الذى دعا إليه عبد الناصر، لإيجاد حل وتم فعلا فى القاهرة، بهدف منع الأردن من المضى فى سحق أفراد منظمة التحرير الفلسطينية وقياداتها- ومن بينها نفس القيادات- التى تتهم عبد الناصر منذ أسابيع بالخيانة العظمى. لقد كانت نذر تلك السحب السوداء تتجمع فى سماء الأردن منذ شهر يونيو على الأقل. حينما هددت إحدى مجموعات منظمة التحرير الفلسطينية باغتيال الملك حسين. وكانت هناك مناوشات متجددة بين وقت وآخر بين الجيش الاردنى وقوات منظمة التحرير الفلسطينية فى الأردن، وقد حذر عبد الناصر الطرفين مبكرا من مغبة عدم احتواء تلك

الخلافات بسرعة ، وأولا بأول ، مبلغا كلا من الملك حسين وياسر عرفات بأن لديه معلومات عن خطة أميركية وإسرائيلية لتصفية المقاومة الفلسطينية.

اتهام عبد الناصر بالخيانة

مع ذلك ، فبمجرد أن أعلنت مصر والأردن قبولهما لمبادرة روجرز في ٢٢ و ٢٦ يوليو ، قام عدد من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية بمهاجمة جمال عبد الناصر علنا ، بحجة أنه «خائن» يبيع القضية الفلسطينية للأمريكيين!.

ولم تدرك تلك القيادات في وقتها أبدا معنى تلك الحرب السياسية الكبرى التي تشنها إسرائيل ضد مبادرة روجرز ، كما أن جمال عبد الناصر لم يكن في حل من إذاعة أسرار عسكرية مصرية أمام الميكروفونات ، متحدثا عن أهمية ومعنى حائط الصواريخ الجديد الذي تحملت مصر كل التضحيات لكي تستكملة تماما في الساعة الواحدة من صباح ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، وسوف تظل القضية الفلسطينية ، والشعب الفلسطيني . بل والعالم العربي كله ، يدفع كثيرا وطويلا ثمن ما جرى في الأردن خلال تلك الأيام الدامية من سبتمبر ١٩٧٠ . كما أن علامات الاستفهام ستظل تلاحق جميع أطراف تلك الحرب الأهلية التي نشبت وتصاعدت فجأة في الأردن - سواء فيها الذين قاموا بالفعل أم برد الفعل ، وسوف تظل نفس القيادات الفلسطينية التي هاجمت مبادرة روجرز تلهث لعشرات السنين بعدها وهي تحاول الحصول على جزء واحد مما كانت تلك المبادرة تكفله - وهو استعادة الضفة الغربية - دون جدوى !

إن فاتورة الحساب بدأ تسديدها فيما بعد . ولكن في تلك الأيام من شهر أغسطس ١٩٧٠ لم يكن هناك سوى نذر متزايدة بالخطر داخل الأردن ، ورعب من الصواريخ المصرية ومبادرة روجرز داخل إسرائيل . وتصميم فولاذي داخل مصر للمضي في تحرير سيناء بالقوة المسلحة طبقا للخطط العسكرية الموضوعة والتي أصبحت جاهزة للتنفيذ . حيث أقام جمال عبد الناصر حساباته للمستقبل على أساس أن فرصة مبادرة روجرز في التنفيذ لا تتعدى نصفًا في المائة ووضع كل ثقته في القوات المصرية المسلحة ورجال اليوم السابع .

عبد الناصر يبلغ الزيات

أما عبد الناصر نفسه ، فقد سافر إلى الإسكندرية للراحة أياما قليلة بناء على نصائح الأطباء . بعد متابعته المرهقة والمضنية لاستكمال بناء حائط الصواريخ ومتابعة التدريبات

العسكرية، ومع ذلك فإن المضي مع المبادرة الأمريكية حتى النهاية أصبح يستلزم قيام مصر بتعيين ممثلها في تلك المباحثات، وقد تم إخطار السفير يارنغ بأن الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر في الأمم المتحدة حينئذ، سيكون هو ممثل مصر في تلك المباحثات. كان الدكتور الزيات وقتها يمضى إجازة قصيرة بالقاهرة، وقبل عودته إلى مقر عمله في نيويورك تم استدعاؤه لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر في الإسكندرية، وبمجرد أن دخل الدكتور الزيات وبدأ عبد الناصر على الفور يشرح له تصوره لأبعاد المهمة التي سيقوم بها في نيويورك.

ويقول الدكتور محمد حسن الزيات: إننى لم أكن في أى وقت من المقربين إلى الرئيس جمال عبد الناصر، ولا ضمن دائرة مستشاريه وكبار مساعديه، ومع ذلك فإننى أدركت يومها مبلغ الصدق والجدية والتصميم الفولاذى الذى يتحدث به عبد الناصر عن احتمالات المستقبل، إن الرئيس كان ودودا ومجاملا إلى أبعد حد، بحيث إنه حينما رأى أن سجائرى نفدت، ذهب إلى الداخل وأتى لى بعلبة سجائىر سرعان ما بدأت انفث دخانها سيجارة بعد سيجارة. ولم أنتبه إلا فيما بعد، لحقيقة أن الرئيس نفسه ممنوع من التدخين حسب أوامر الأطباء منذ مدة.

لقد شرح الرئيس عبد الناصر للدكتور الزيات تصوره لأبعاد مبادرة روجرز الكاملة من الناحية السياسية، فهى تعنى انسحاب إسرائيل الكامل من كل شبر فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس العربية، وهى تعنى أيضا حق الفلسطينيين فى العودة أو التعويض طبقا لقرارات الأمم المتحدة.

ثم قال جمال عبد الناصر للدكتور محمد حسن الزيات: - اننى واثق تماما، ومقدما، من أنك ستقوم بمهمة التباحث مع يارنغ على أحسن وجه. وأنا واثق أيضا من أنك الرجل المناسب لهذه المهمة الدقيقة، ولكن.. دعنى أصارحك من الآن.. لا تفاجأ بعد هذا كله بأنك لن تصل إلى شىء.. فالذى سيرغم إسرائيل على الإذعان فى النهاية هو قواتنا العسكرية وحدها، ولا شىء آخر.

القدس وحقوق الشعب الفلسطينى

وسأله الدكتور الزيات: سيادة الرئيس.. إننى سأكون فى نيويورك.. ولن أستطيع استشارة القاهرة مسبقا فى كل صغيرة وكبيرة مما يحتمل أن يدور فى المباحثات حينما تبدأ.. فأنا لا

أستطيع العمل بالريموت كونترول.. ولذلك اسمح لى أن أطرح عليك سؤالاً صريحاً، أرجو أن أعرف منك إجابته الآن، ليس لأننى سأذهب فى أول جلسة مباحثات مع يارنغ وأقول: هذا هو موقف مصر.. ولكن فقط لكى أعرف كمفاوض هناك.. ما الذى يرضيك هنا.. وسكت الدكتور الزيات برهة قبل أن يصوغ سؤاله على النحو التالى: سيادة الرئيس.. ما هو الحد الأدنى الذى لن يرضيك ما هو أقل منه؟.

وقال له جمال عبد الناصر: القدس، وحقوق الشعب الفلسطينى، هذا هو حدنا الأدنى. وطبقاً لانطباع الدكتور الزيات، فإن تلك الكلمات خرجت من فم عبد الناصر وهى تحمل أقصى درجة من الهدوء.. والإرادة الفولاذية.

وهنا سأل الدكتور الزيات: فى هذه الحالة.. هل ستوافق على الاعتراف بإسرائيل فى شكل وثيقة تودعها بالأمم المتحدة؟ قال عبد الناصر: نعم.

وفيما بعد، قال لى الدكتور محمد حسن الزيات: طوال عودتى فى الطريق بعدها كنت أتأمل هذا الحوار، وأدركت أن سؤالى عن الاعتراف بإسرائيل كان تحصيل حاصل.. وإجابة الرئيس جمال عبد الناصر عن سؤالى كانت تمثل بعد نظر، ورؤية عميقة، من جانبه، فإذا وصلنا إلى استرداد الضفة الغربية، والقدس، فضلاً عن سيناء وقطاع غزة بالطبع، وكذلك الجولان.. وإذا وصلنا إلى إذعان إسرائيل لحق الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم فيما قبل سنة ١٩٤٨ (وهو أقصى ما كان يحلم به الفلسطينيون حينئذ).. فإن ورقة اعتراف بإسرائيل، نودعها فى سجلات الأمم المتحدة، سوف تكون تحصيل حاصل. وأضاف الدكتور الزيات مبتسماً: فى الواقع أنه بتلك الإجابة من الرئيس جمال عبد الناصر تبخرت من ذهنى عشرات الأسئلة التى كنت قد رتبته فى عقلى، فبإجابته تلك اختصر الرئيس كل الأسئلة وحدد محطة الوصول. لكنى أيضاً خرجت بنتيجة أخرى وهى أن الرئيس عبد الناصر لا يضع تفكيره مطلقاً فى هذه المبادرة، فتفكيره كله فى القوات المسلحة وفى تحرير الأرض بالقوة وليس بفصاحة الدبلوماسيين من أمثالى.

خطة العبور جرانيت.

لم يكن اجتماع جمال عبد الناصر بالدكتور محمد حسن الزيات سوى جزء من سلسلة اجتماعات مهمة عقدها عبد الناصر فى تلك الفترة لمراجعة الخطوة القادمة بعد قبول

«مبادرة روجرز». وكان واضحا تماما أن أهم ما يشغل بال عبد الناصر هو الخطط العسكرية المقررة، وهكذا عقد سلسلة اجتماعات مع الفريق محمد فوزى وزير الحربية لمناقشة الخطة «جرانيت» التى تقضى فى مرحلتها الأولى بعبور القوات المسلحة المصرية قناة السويس والتقدم شرقا فى سيناء للاستيلاء على المضائق- على مسافة ٤٠ - ٥٠ كيلو متر من قناة السويس، حيث تمثل تلك المضائق نقطة التحكم الاستراتيجية فى سيناء كلها.

طبقا لما هو مقرر فى الخطة، فإن هذا الهجوم العسكرى المصرى الشامل سيتم تنفيذه فى مارس- إبريل ١٩٧١ تحت حماية حائط الصواريخ الجديد فى جزئه الأكبر، ثم ما اسماء عبد الناصر «تعادل جوى محلى» فى المنطقة من القناة إلى المضائق. وعلى الرغم من القيود الدولية التى ارتبطت بها صفقة طائرات الميراج الفرنسية إلى ليبيا، إلا إنه كان من المفهوم استخدامها كوسيلة إضافية للردع- وكان عدد طائرات الميراج التى ستتسلمها ليبيا حتى ربيع ١٩٧٠ يتجاوز ٤٤ طائرة، وذلك بالإضافة إلى الطائرات القاذفة السوفيتية الجديدة، التى تمت كل تجهيزاتها فى مصر وارتبطت السوفيات بإرسالها إلى مصر خلال ستة ساعات من طلبها.

وعلى الرغم من أن المقدرة العسكرية المصرية كانت هى المحور الأساسى فى تفكير عبد الناصر، إلا إنه كان يخطط أيضا لحشد مجموعة أخرى من عوامل الضغط تكون مصاحبة لها، وفى هذا الإطار مثلا، جاءت تلك الاتفاقية السرية التى عقدها عبد الناصر مع سوريا فى سنة ١٩٦٩ لتنسيق العمل العسكرى بين الجبهتين المصرية والسورية حينما تحين اللحظة المناسبة.

خطة لضرب المصالح الأمريكية

كذلك، جاءت فى هذا الإطار تعليمات جمال عبد الناصر لجهاز المخابرات العامة فى مصر، بعد أن قرر أن يتولى مسئوليته محمد حافظ إسماعيل، وأصبحت تعليمات عبد الناصر للرئيس الجديد للمخابرات العامة هى إنه: «لم يكن من المستبعد أن تفشل المبادرة الأمريكية.. والمتوقع عندئذ أن تقوم قواتنا بعمليات حربية فى ربيع ١٩٧١ وكان علينا أن نعد أنفسنا لهذا الاحتمال، ولهذا فقد احتل التعرض للمصالح الغربية فى منطقتنا بالتنسيق مع عملياتنا السياسية والعسكرية مكانا هاما فى تقديرنا. إلا أننا لم نكن غافلين عن طبيعة هذا السلاح ذى الحدين، فبينما كان من المتوقع أن تؤدى الضغوط الاقتصادية

على القوى الغربية إلى إرغامها على اتباع سياسة عادلة تجاه قضيتنا.. فقد كان من الضروري أن نأخذ في اعتبارنا قدر الأضرار المادية التي يمكن أن تلحق بالشعوب العربية نتيجة استخدام سلاح الضغط الاقتصادي ضد القوى الغربية».

ويسترسل محمد حافظ إسماعيل في مذكراته التي حملت عنوان «أمن مصر القومي في عصر التحديات» في شرح تفكير عبد الناصر في تلك النقطة، فيقول إنه: «توقعا لأي قرار في هذا الصدد، فقد بدأنا في إعداد خريطة كاملة ودقيقة للمصالح الغربية في المنطقة توضح الأهداف التي يمكن التعرض لها بالعمل الإيجابي» حينما تحين اللحظة المناسبة الوشيكة.



الفصل الحادى والعشرون

حرب الاستنزاف

— أرغمت واشنطن على تغيير موقفها السياسى —

□ إن تصميمنا على تحرير أرضنا هو الحق الشرعى الأول

لأى أمة تعرف لكرامتها قيمة

□ مصر تساير المبادرة الأمريكية

□ سنة ١٩٦٩ عاصفة فى تاريخ العلاقات الإسرائيلية

الأمريكية



حينما وجه عبد الناصر نداءه إلى الرئيس نيكسون في أول مايو ١٩٧٠ استجابة للرغبة الأمريكية السابقة بأن يختبر جدية الولايات المتحدة في هذه المرة، كان حريصا على أن يقول في نفس الخطاب: «إننى أقول للرئيس نيكسون: إن هناك لحظة فاصلة قادمة في العلاقات العربية الأمريكية إما أن تكرر القطيعة إلى الأبد، وإما أن تكون لها تأثيرات خطيرة أوسع من ذلك وابعده، إن تصميمنا على تحرير أرضنا هو الحق الشرعى الأول لآى أمة تعرف لكرامتها قيمة، اننى أتوجه بهذا كله إلى الرئيس نيكسون لأن اللحظة دقيقة، ولأن المواقب بالغة الخطورة».

وقد جاءت المبادرة الأمريكية الجديدة استجابة لتطورات جرت، وتحسبا لتطورات يمكن أن تجرى وشيكا، وقد أراد عبد الناصر إتاحة الفرصة كاملة أمام تلك المبادرة، لكن ثقته الوحيدة كانت تتركز فى الحل العسكرى، وقد تأكد شعوره هذا أكثر وأكثر بمجرد أن بدأ الأمريكيون فى مسaire الصراخ الإسرائيلى من حائط الصواريخ المصرى والزعمر بأن مصر خرقت ترتيبات وقف إطلاق النار، فحتى لو كان هذا قد حدث جدلا، فإن الولايات المتحدة لم تخطر مصر بالمضمون العملى لتلك الترتيبات إلا بعد أن توقف إطلاق النار فعلا بستة وثلاثين ساعة- وهو الأمر الذى يعكس فى حد ذاته مدى التلهف الأمريكى الإسرائيلى على التوصل أولا لوقف إطلاق النار بأى ثمن.. ولكنه يعكس أيضا احتمالا آخر بعدم جدية الالتزام الأمريكى بالتقدم نحو التسوية الشاملة بحذافيرها، وفى كلتا الحالتين فإن مسئولية عبد الناصر أولا هى حماية قواته المسلحة وتوفير أقصى إمكانيات النجاح أمامها وهى تستعد لخطط المستقبل الوشيك. ومن الملفت هنا أن خبيرا أمريكيا يعمل فى مجلس الأمن القومى الأمريكى، وهو هارولد سوندرز، كتب تقريرا سجل فيه بنظرة ثابتة أنه: «يبدو أن شبكة الصواريخ الدفاعية على القناة تهم المصريين بأكثر مما تهم محادثات السلام».

وفى اللحظة الراهنة سوف تساير مصر هذا الفهم الأمريكى عن «محادثات السلام».. ومن هنا جاءت الصورة التى شرحها عبد الناصر للدكتور محمد حسن الزيات بعد تكليفه بتمثيل مصر فى محادثات يارنغ.

لكن تلك المحادثات لم تبدأ فورا فى نيويورك كما هو مقرر طبقا لمبادرة روجرز، ولكنها ستبدأ فقط بعدها بأربعة أشهر جرت خلالها أحداث جسام فى الشرق الأوسط، لقد حاولت

إسرائيل التملص من مبادرة روجرز ولكن الرئيس نيكسون لم يسمح لها بذلك، وفي اللحظة التي لم يعد فيها أمام إسرائيل من مفر سوى الإذعان وتعيين ممثلها في مباحثات يارنغ حتى يبدأ الاتفاق على الانسحاب الإسرائيلي من سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية طبقاً لمبادرة روجرز- جاء الفرج لإسرائيل.. فجأة.

مفاجآت لصالح إسرائيل

إن الطائرات المدنية الأربع التي تم اختطافها ابتداءً من ٦ سبتمبر واحتجاز ركايبها الخمسمائة والتهديدات المضادة بين منظمة التحرير الفلسطينية والملك حسين سرعان ما تحولت إلى حرب أهلية دامية في الأردن، وخلقت تلك الحرب لإسرائيل دوراً كانت في انتظاره وعبأت الولايات المتحدة أسطولها السادس في البحر الأبيض المتوسط، وجاء الملوك والرؤساء العرب إلى القاهرة في اجتماع طارئ دعا إليه عبد الناصر، والقيادات الفلسطينية التي كانت تهاجم عبد الناصر علناً باعتبار أنه «خائن» و«باع القضية الفلسطينية» تم إنقاذ معظمها من الموت بأعجوبة بفضل عبد الناصر!

٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، بعد أحداث مفاجأة- ومريبة- في الأردن بين الملك حسين وياسر عرفات ودماء تسيل. وقمة عربية طارئة في القاهرة لوقف المذابح ونجاح القمة. ومغادرة جميع الرؤساء والملوك عاندين إلى بلادهم. ومغادرة أمير الكويت القاهرة عائداً إلى بلاده باعتباره آخر الضيوف المغادرين الذين ودعمهم جمال عبد الناصر في المطار بنفسه كآخرين أصبح الخبر المدوى عالمياً هو: رحيل جمال عبد الناصر، أسبوعاً واثناً من الإجراءات وتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية. لقد أصبح أنور السادات هو خليفة جمال عبد الناصر في السلطة.

في أكتوبر ١٩٧٠ كان وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكي موجوداً في نيويورك لحضور الدورة السنوية العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة، وبمناسبة وجود محمود رياض وزير خارجية مصر أيضاً فقد دعاه روجرز إلى الاجتماع به في جناحه الخاص بالفندق «فندق والدورف استوريا»؛ بعد دقائق من بدء الاجتماع دق جرس التليفون ورفع روجرز السماعة ليجد أن المتحدث إليه هو الرئيس (الأمريكي) ريتشارد نيكسون.

روجرز يرد: نعم سيادة الرئيس. بالضبط أنا الآن مجتمع مع مستر رياض.

قال نيكسون: أرجو أن تبلغه عزائي لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر. إنني اعتز بمعرفتي بهذا الرجل العظيم والذي تبادلت معه الكثير من الرسائل والأحاديث، أرجو

تكرر عزائي للوزير المصري وللشعب المصري، ولكن.. اسمع.. دعني أتحدث إلى الوزير رياض شخصيا.

ناول روجرز السماعه لمحمود رياض فبادره نيكسون بتكرار العزاء مؤكدا مرة أخرى مدى الاحترام الذي كان يحتفظ به للرئيس جمال عبد الناصر ومضيفا: «لولا أنني استلمت الرئاسة والعلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين بلدينا لكنت جئت إلى القاهرة بنفسى للمشاركة في الجنازة، لقد تابعتها على شاشات التلفزيون ولم أفاجأ بأنها أضخم جنازة شاهدها على الإطلاق، مرة أخرى أكرر لك وللشعب المصري عزائي.

انتهت المكالمه وبدأ حديث العمل، مستر روجرز يبلغ محمود رياض من جديد بالشكاوى الإسرائيلية من حائط الصواريخ المصري، في هذه المرة يضيف روجرز: لدينا بعض الصور التقطناها نحن جوا بوسائلنا الخاصة ترجح دخول بعض الصواريخ إلى مواقعها بعد سريان وقف إطلاق النار، وأنا على استعداد لتقديم تلك الصور إليكم.

قاطعهم محمود رياض قائلا: لست على استعداد لتبادل الصور والالتهامات، يمكنني أن أكرر لك أننا لم نخرق ترتيبات وقف إطلاق النار ولم نحرك الصواريخ، على العكس، لدينا نحن أيضا معلوماتنا الخاصة بأن إسرائيل أقامت تحصينات جديدة في سيناء بعد وقف سريان إطلاق النار.

أشار روجرز من طرف خفي إلى أنه من الممكن تهدئة إسرائيل بسحب صاروخ أو اثنين وبذلك يعود يارنغ - ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة - إلى مهمته.

قال محمود رياض: مستر روجرز.. قلناها لكم في أغسطس وقلناها لكم في سبتمبر والآن أقولها لكم من جديد.. نحن لن نسحب صاروخا واحدا، أما عن الأمم المتحدة فكلانا أكثر معرفة بالحقائق، كل الأمم المتحدة معنا. وكلها تقر بأن إسرائيل قوة احتلال عليها الانسحاب الكامل من كل شبر ارض عربية.. بغير لف ولا دوران.

وانتهت مشكلة الصواريخ المصرية بتضامن المجتمع الدولي مع مصر في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٥ نوفمبر ١٩٧٠، وقام وليم روجرز بحث السفير يارنغ على ألا يكتفى بدور الوسيط وإنما عليه المبادرة بوضع برنامج محدد لتنفيذ القرار ٢٤٢ - على الأقل بالنسبة لمصر كبداية، وأخطر يارنغ مصر مقدما بمشروعه. وكما هو متوقع جاء مشروع يارنغ مقرر انسحاب إسرائيل الكامل من سيناء وقطاع غزة.

إن مشروع يارنغ هذا، والذي كان محركه من وراء الكواليس هو وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكي، أعلن رسمياً في الثامن من فبراير سنة ١٩٧١. لكن أنور السادات كان قد أعلن من قبلها بأربعة أيام فقط مبادرته الخاصة به، والتي أصبحت تمثل انقلاباً صامتاً في السياسة المصرية، فهي لا تطمح إلى أكثر من انسحاب إسرائيل لبضعة كيلو مترات شرق قناة السويس، مقابل تعهد مصر بإعادة فتح القناة للملاحة الدولية.

وفي نفس الشهر - فبراير ١٩٧١ - استقال يارنغ من مهمته كممثل للسكرتير العام للأمم المتحدة لتنفيذ القرار ٢٤٢، بعد أن أخطرته إسرائيل بأنها لن تنسحب إلى الحدود المصرية مع فلسطين تحت الانتداب - وهو ما لم تجرؤ إسرائيل على أن تقوله من قبل، حتى وهي في ذروة نشوتها الكبرى في أعقاب يونيو ١٩٦٧.

ويومها «كان الرجل - يارنغ - مهذباً. فلم يردد ما سمعه الآخرون.. لماذا توافق إسرائيل على اقتراحه بالانسحاب الكامل. إذا كان رئيس جمهورية مصر يقترح في نفس الشهر أن تقوم إسرائيل بالانسحاب جزئياً؟!» - على حد تعبير محمود رياض في مذكراته. وبعد قليل سيقول السادات: إنه كان يستهدف بمبادرته الخاصة الجزئية في ٤ فبراير ١٩٧١ إعلان «انتهاء مبادرة روجرز» لأنه «لا بد من إنهاء مبادرة روجرز».

كيسنجر يكسب الجولة

ولقد حدث هذا فعلاً، فقد حسم الصراع بين وليم روجرز وهنري كيسنجر داخل الإدارة الأمريكية، بعد أن زال خطر الحرب بين مصر وإسرائيل. لصالح هنري كيسنجر تدريجياً. وروجرز نفسه لم يعد يستطيع الاستمرار في الدعوة إلى تنفيذ المبادرة التي اقترنت باسمه.. في الوقت الذي أصبح فيه الطرف الأول المستفيد منها، وهو مصر. يعمل على «إنهاء مبادرة روجرز»!

لكن إسرائيل كانت تعرف ما لم يشأ السادات أن يعرفه، لقد ظلت تساوّم مع السادات، وتزيّن له طريق الحلول المنفردة. وتشجع استجابته لها. وتقسم علناً بأغلظ الأيمان على أنها لن تنسحب بشكل كامل أبداً من سيناء، فما بالنا بالضفة الغربية والجولان وحقوق الفلسطينيين؟ كان هذا يجري علناً، ولكن السر كانت إسرائيل تدرك جيداً إبعاد الحقيقة، فلمدة ثلاثين شهراً بعدها. ظلت إسرائيل في جميع مباحثاتها غير المعلنة مع الولايات المتحدة

تصر على طلب سياسى : أن تعطىها الولايات المتحدة ورقة رسمية تسجل فيها تراجعها النهائى عن مبادرة روجرز!

وسواء كان السادات قد قام «بإسقاطه» وإنهاء» مبادرة روجرز عن معرفة بأبعادها، فإن مبادرة روجرز كانت تقرر: «انسحاب إسرائيل إلى حدود ١٩٤٨ على كل الجبهات (المصرية والأردنية والسورية). وهذا الانسحاب يشمل المستوطنات المدنية، بقدر ما يشمل الجيش الإسرائيلى»- تلك هى اعترافات موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى نفسه بعدها بتسع سنوات فى الصفحة ١٨٥ من مذكراته.

وسواء كانت القيادات الفلسطينية التى رفعت فى سنة ١٩٧٠ شعارات طنانة عن «الخيانة» وعن «بيع القضية الفلسطينية» تعرف أو لا تعرف، فإن مبادرة روجرز كانت تقرر: «انسحاب إسرائيل من كل جزء من المناطق المدارة على وجه التحديد»- أى الضفة الغربية وقطاع غزة.

وبمقتضى مبادرة روجرز فإن الولايات المتحدة «تتعهد بأن تكون الحدود بين إسرائيل والأردن متطابقة مع خط الهدنة لسنة ١٩٤٩» وأن تتحرر القدس العربية من الاحتلال الإسرائيلى حيث إن «الأردن سيسيطر على النصف الشرقى من المدينة»- تلك أيضا اعترافات إسحاق رابين بعدها بسنوات فى الصفحة ١٢٦ من مذكراته.

وكان انسحاب مناحيم بيغن وكتلته الوزارية من حكومة غولدا مائير لأنه أدرك أن استثماره فى الحكومة «يعنى الموافقة على مبدأ الانسحاب من كل الاراضى العربية المحتلة»- حسب إقرار عيزرا ويزمان الذى استقال معه لنفس السبب.. فى مذكراته هو الآخر.

من هنا اعتبر مناحيم بيغن فى وقتها أن موافقة إسرائيل على مبادرة روجرز معناها اتفاقية «ميونيخ جديدة فى الشرق الأوسط».

ومن هنا أيضا، وبعد سنوات من تعامل إسرائيل مع السادات ودخولهما معا مسالك مختلفة، أصبح أبا ايابان يقرر أن مبادرة روجرز هى «بلا شك واحدة من الأخطاء الكبرى للدبلوماسية الدولية فى فترة الحرب».

وفى حينها اعتبرت غولدا مائير أن مبادرة روجرز هى «كارثة لإسرائيل».. لأنها لا تتضمن فقط انسحاب إسرائيل من كل شبر احتلته فى سيناء وغزة والضفة الغربية، ولكن أيضا لأن هذا سيتم فى مقابل ورقة تودعها مصر والأردن (ثم سوريا فيما بعد) فى سجلات الأمم المتحدة بإنهاء حالة الحرب، وهو ما يسميه إسحاق رابين «حالة رسمية

من السلام، لا تتضمن على الإطلاق أى اعترافات مع إسرائيل على أى مستوى، ولا حتى مفاوضات مباشرة.

السنوات الثلاث الفاصلة

تلك هى مبادرة روجرز فى أبعادها الكاملة على ضوء الوثائق، وبعد أن كانت غولدا مائير تقرر فى ديسمبر ١٩٦٩ أن «أى حكومة إسرائيلية تتبنى تنفيذ مثل هذه الخطة - خطة روجرز- سترتكب بذلك خيانة لبلدها..» فإنها اضطرت فى يوليو وأغسطس ١٩٧٠ إلى الإذعان رسمياً، وإخطار الولايات المتحدة بإذعانها هذا (وهو ما أدى إلى خروج مناحيم بيغن وكتلته من الحكومة) لأن ثمن الرفض أصبح هو استمرار حرب الاستنزاف المصرية. إن مبادرة روجرز لم تكن مجرد الورقة التى وجهها وليم روجرز إلى مصر والأردن وإسرائيل فى ١٩ يونيو ١٩٧٠، فتلك الورقة كانت مجرد الجزء التنفيذى لخطة روجرز التى تم إخطار مصر بها فى نوفمبر ١٩٦٩، وتم إخطار الأردن بها فى ديسمبر ١٩٦٩ إلا بالقليل جداً من خطوطها العريضة.

وحينما تعهدت الولايات المتحدة رسمياً فى مبادرة روجرز بانسحاب إسرائيل من كل شبر من الأراضى العربية، وكذلك بحقوق الفلسطينيين، فإنها لم تكن تفعل ذلك مطلقاً لأنها أصبحت فجأة أقل انحيازاً لإسرائيل، أو أكثر ميلاً لعبد الناصر، لقد فعلت ذلك لأن الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون يريد أولاً المحافظة على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط- وإسرائيل إحدى تلك المصالح- على ضوء التغير الذى عملته مصر فى توازن القوى.

فمصر المهزومة فى يونيو ١٩٦٧، وبلا قوات مسلحة وتصميم أمريكى على «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط»، استطاعت بإرادة فولاذية وتصميم لا يقهر وبتضحيات وآلام لا حدود لها، أن تحدث تغييراً جوهرياً فى توازن القوى الإقليمى خلال السنوات الثلاثة الفاصلة من يونيو ١٩٦٧ إلى يونيو ١٩٧٠.

حرب الاستنزاف

وكان العامل الأول، والمحورى، فى هذا التغير هو حرب الاستنزاف المصرية، التى كانت عنصر التفاعل الأساسى فى كل ما تلا ذلك من تغييرات.

فخلال مايو ويونيو ١٩٦٩ كان هدف إسرائيل هو «أن تسحق رغبة مصر في المضي في حرب الاستنزاف، فطالما استمرت تلك الحرب فإن الولايات المتحدة ترى أن مركزها في الشرق الأوسط يتدهور بشكل ثابت، وإسحاق رابين في موقعه كسفير لإسرائيل في الولايات المتحدة يقول: «لقد كنت أرى إلى أين تقود حرب الاستنزاف (المصرية) أميركا، وشعرت بالرعب».

وبعد أن كانت إسرائيل تحلم في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ بمفاوضات مباشرة مع العرب، وبعلاقات دبلوماسية واقتصادية مع مصر والأردن وسوريا، وبعد أن أعلن موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي أن كل ما سيفعله هو الانتظار إلى جوار التليفون في انتظار المكالمات الحتمية من الملك حسين، أو ربما جمال عبد الناصر، فإن كل هذا تبخر بسبب حرب الاستنزاف وتضحيات رجال اليوم السابع، وأصبحت الولايات المتحدة مضطرة إلى أن تصارح إسرائيل رسمياً بأنه: «إذا أصبحت الصداقة مع إسرائيل هي كل ما يتبقى للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، فإن هذا سيصبح نكسة وكارثة للسياسة الأمريكية.. وبأن الولايات المتحدة لا تود أفضل من حصول إسرائيل على حدود مفتوحة وعلاقات دبلوماسية مع الدول العربية ولكن: «إننا لا نستطيع أن نرغم المصريين على أن يحبوكم.. يجب علينا أن نكون واقعيين». ومنذ ديسمبر ١٩٦٩، وفقط بسبب حرب الاستنزاف المصرية، بدأ المسئولون الأمريكيون يقولون لإسرائيل بصراحة: «إن هذا السلام (الذي تريدونه وتحلمون به) لم يعد حقيقة ممكنة الآن».

انسحاب شامل

ولم تكن حرب الاستنزاف المصرية، منذ بدايتها، تستهدف مجرد إرغام إسرائيل على الانسحاب من سيناء، فسيناء، وكذلك قطاع غزة، كانت معروضة على مصر وبتعهد أمريكي منذ ٢ نوفمبر ١٩٦٨، وإسرائيل لم تكن لتجرؤ على اقتراح جعل سيناء، أو جزءاً من سيناء، منزوعة السلاح. طبقاً لما عرضه رئيس وزراء إسرائيل علناً في فبراير ١٩٦٩، فنتيجة لإصرار مصر على «أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة» حاولت إسرائيل تقديم كل تلك الإغراءات لمصر مبكراً وعلناً ورسمياً. ولكن حرب الاستنزاف المصرية استمرت لأن مصر رفضت الثمن السياسي لتلك العروض، وهو عزل مصر عن العالم العربي. وقد جاءت لحظات في حرب الاستنزاف بدا فيها أن لإسرائيل اليد العليا. وفي المرة الأولى (نوفمبر

١٩٦٨) اضطرت مصر إلى إيقاف الحرب أربعة شهور، أما المرة الثانية فقد استمرت مصر في الحرب برغم نجاح إسرائيل في يناير ١٩٧٠ في تدمير جانب كبير من الدفاع الجوي المصرى غرب القناة، ووصولها بغاراتها ضد المدنيين في العمق إلى مشارف القاهرة. كان السبب الأساسى إذن في مبادرة وخطة روجرز يرجع إلى حرب الاستنزاف المصرية ودماء الشهداء المصريين في تلك الحرب- من الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة أركان حرب الجيش الذى سقط شهيدا على حافة قناة السويس.. إلى أطفال مدرسة بحر البقر- هى التى اضطرت الولايات المتحدة إلى التقدم أخيرا بذلك التعهد الرسمى الذى مثلته مبادرة وخطة روجرز. إن حرب الاستنزاف لم تكن امتحانا عصيبا فقط للمقاومة المصرية.. لكنها كانت أيضا تعبيراً عن الإرادة السياسية الفولاذية التى حركتها، وتحمل الشعب كله تضحيات جسماً اقتناعاً بصحة القضية التى تتم الحرب بسببها.

تهديد المصالح الأمريكية

ومن هنا يجنى العامل الثانى الذى صنع خطة ومبادرة روجرز.. فصلاية الإرادة المصرية، أدى إلى تفاعلات أوسع نطاقاً فى العالم العربى، وحينما سارع وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى إلى التقاط منبر محدد لكى يعلن منه على وجه السرعة خطته الأولى فى التاسع من ديسمبر ١٩٦٩. كان هذا يحدث بتكليف مباشر له من الرئيس ريتشارد نيكسون. وليس تجاوزاً له كما يحاول هنرى كيسنجر الإيحاء كذبا فى مذكراته.

لقد كان السبب ببساطة، وعلى حد تعبير أبا أيان وزير الخارجية الإسرائيلى وقتها. إنه: «فى واشنطن كانت هناك خشية من أن مؤتمراً مقرراً للزعماء العرب فى الرباط فى شهر ديسمبر سوف يتبنى قرارات معادية للمصالح الغربية. ولمنع الإضرار بالمصالح الأمريكية قررت وزارة الخارجية، فى ظل وليم روجرز، أن تقدم لفته استباقية إلى العالم العربى، و (هكذا) نشر روجرز فى ٩ ديسمبر بياناً سياسياً يؤيد انسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل سنة ١٩٦٧ بالنسبة لمصر والأردن فى إطار تسوية سلمية».

وكما هى العادة، فغن المصادر الإسرائيلية- وإبان هنا نموذج لها- لا تقدم الحقيقة كاملة.. أبداً، والحقيقة هى أنه بسبب حرب الاستنزاف المصرية. وإدراك العالم العربى لصلاية مصر فى المقاومة. أصبح العداء للمصالح الأمريكية فى العالم العربى يتزايد بشكل ثابت. وفى مايو ١٩٦٩ وقع انقلاب عسكرى فى السودان. مقرر من اللحظة الأولى ارتباطه

بمصر، وفي أول سبتمبر من نفس السنة سقط واحد من أكثر النظم السياسية في العالم العربى ارتباطا بالولايات المتحدة وبالمصالح الغربية، وهو نظام السانوسى فى ليبيا، ومرة أخرى خرج الانقلاب الجديد ليعلن من اللحظة الأولى ارتباطه بمصر، وأصبحت تلك مؤشرات لمن يقرأون الأحداث فى واشنطن باتجاهات المستقبل، التى لابد من احتوائها قبل أن تمتد النيران إلى العالم العربى كله.

تطورات الموقف الدولى

أما العامل الثالث المحرك فى مبادرة وخطة روجرز، فقد كان يتعلق بتطورات الموقف الدولى، إن الاتحاد السوفياتى ساند مصر فى إعادة بناء قواتها المسلحة، وفى ناحية من النواحي، فإن هذا اللقاء فى المصالح كان حتميا، فمصر هى المفتاح الأساسى إلى الشرق الأوسط، وقد وعى السوفيات هذا الدرس مبكرا من قبلها بسنوات. ومن ناحية أخرى، فإنه مع الدعم الأمريكى الكامل لإسرائيل، لم يعد أمام مصر مصدر آخر للتسلح، بالكميات والنوعيات والسرعات المطلوبة، سوى القوة العظمى التالية، وهى الاتحاد السوفياتى، طالما أن مصر جادة حقا فى الثأر عسكريا لهزيمة يونيو ١٩٦٧. وفى لقاء المصالح هذا- وتلك لغة أساسية فى أى تعامل سياسى- كان جمال عبد الناصر يلاحظ أن: «هناك خلافا داخليا فى القيادة السوفيتية حول الشرق الأوسط، كما أن الأمريكين لعبوا بهم وخدعهم. ولذلك ترى القادة السوفيات أحيانا متشددين، وأحيانا أخرى متساهلين». ولقد كان عبد الناصر مستعدا لتحمل كل جهد ممكن، ليس فقط لكى يتعامل مع البيروقراطية السياسية السوفيتية، ولكن أيضا مع البيروقراطية العسكرية، فى الواقع أن جمال عبد الناصر، فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧، جاء بكل الكتب الأساسية التى يتم تدريسها فى المعاهد العسكرية العليا بالاتحاد السوفيتى، لكى يسهر على قراءتها كل ليلة، حتى يستوعب طريق التفكير العسكرى السوفياتى، وبالتالى يستطيع أن يناقش السوفيات من أرضية صلبة. وكان عبد الناصر يأخذ من السوفيات أقصى ما يمكنه من أسلحة، نوعا وكمية، ومع ذلك كانت تظل هناك بعض نوعيات الأسلحة والاحتياجات العسكرية غير متوفرة لدى السوفيات. فكانت مدر تحصل عليها سرا من الغرب، من خلال الأردن وليبيا ودول أخرى، وعلى سبيل المثال احتاجت القوات المسلحة المصرية إلى نوع من المدافع الرشاشة القصيرة نصف بوصة للدفاع ضد الطائرات على ارتفاعات شديدة الانخفاض. وكذلك

عربات نصف جنزير، ولم يكن هذان النوعان متوافرين في الاتحاد السوفياتي أو الدول الاشتراكية، فاشترتها مصر سرا من بريطانيا وألمانيا الغربية منذ أواخر سنة ١٩٦٧. وحينما ظهر من التدريبات المتكررة على العبور إلى سيناء ضمن الخطة «جرانيت» الموضوعة للهجوم الشامل الذي أصبح مقررا أن يتم في ربيع ١٩٧١، أن فتح ثغرات في الساتر الترابي المرتفع في الجانب الشرقي للقناة لابد أن يتم في أقصر وقت ممكن. ابتكر المهندسون المصريون فكرة استخدام مضخات لدفع المياه بقوة كافية لفتح الساتر الترابي، إن الفكرة جرى استيحاؤها من تجارب العمل في السد العالي بأسوان، واستقر الرأي في سنة ١٩٦٩ على أنه الحل الناجح لشق الثغرات في الساتر الترابي شرق القناة لحظة العبور، وعلى الفور بدأت مصر في استيراد النوعية المطلوبة من المضخات سرا من عدة دول في أوروبا الغربية، على أساس أنها مطلوبة لأعمال مدنية.

سلاح الردع

وقد ظل عبد الناصر يضغط على السوفيات لإمداد مصر بعدد من الطائرات القاذفة طويلة المدى - هي عشر طائرات أسماها السادات فيما بعد «سلاح الردع» - ظل السوفيات مترددين في البداية، وأخيرا وافقوا، بشرط أن تظل الطائرات ذاتها في الاتحاد السوفياتي وتصل إلى مصر في خلال ست ساعات من طلبها.

ومع ذلك لم يكتف عبد الناصر بهذا الحل. فحينما قامت ثورة في ليبيا في أول سبتمبر ١٩٦٩ حث قيادة الثورة الجديدة على عمل صفقة مع فرنسا لشراء طائرات ميراج - وهي طائرات طويلة المدى بنفس كفاءة طائرات الفانتوم الأمريكية. ووافقت فرنسا فعلا في سنة ١٩٧٠ على توريد خمسين طائرة ميراج إلى ليبيا، بعد أن اشترطت بالطبع عدم نقلها إلى طرف ثالث، مع ذلك كان الطيارون المصريون هم الذين ذهبوا إلى فرنسا للتدريب على الميراج، على أنهم ليبزيون ويحملون جوازات سفر ليبية.

ومبكرا (في ١٤ / ٢ / ١٩٧٠) طبقا لمحضر اجتماع عقده العقيد معمر القذافي مع جمال عبد الناصر في القاهرة. أشار عبد الناصر إلى العقد الفرنسي بتوريد الخمسين طائرة ميراج إلى ليبيا قائلا: «لابد أن تحاولوا تعديل العقد ليكون توريد الطائرات عام ١٩٧١ بدلا من عام ١٩٧٢. لأنه لا يمكننا تأجيل المعركة حتى ذلك العام، لابد أن تبدأ المعركة ونعبر القناة (هذا) العام ١٩٧٠: أو على الأكثر خلال ١٩٧٠ / ١٩٧١».

ويومها رد العقيد معمر القذافي: «بمجرد عودتي سأجرى اتصالات عاجلة مع فرنسا من أجل تعديل عقد الميراج ليتم توريدها في المواعيد المطلوبة».

وكان الموقف الفرنسي سياسيا على وجه الخصوص يجعل الولايات المتحدة شبه معزولة داخل اجتماعات مفدوبى الدول الأربع الكبرى فى نيويورك طوال سنتى ١٩٦٩ و١٩٧٠، لأن فرنسا كانت تفسر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ منذ اللحظة الأولى على أنه ينص على انسحاب إسرائيل من كل «الأراضى المحتلة».. وليس «أراضى محتلة» كما حاولت إدارة ليندون جونسون قبل ذلك تفسيره.

مأساة السياسة الأمريكية

وسوف يأتى وقت فى المستقبل، طبقا للوثائق التى يسجلها هذا الكتاب، حينما ستقوم فرنسا بإخطار مصر رسميا بأن رئيس مصر قد خذلها بشكل مذل، ولصالح إسرائيل التى وقفت فرنسا ضد غزوتها فى يونيو ١٩٦٧ بمثل هذا الوضوح والحزم.. إن فرنسا تستطيع أن تتحمل نتائج هذا الخذلان، ولكن.. هل تستطيع مصر؟!

ولقد كانت الولايات المتحدة تمارس سياستها فى الشرق الأوسط من خلال جهازين رئيسيين هما: وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى الأمريكى.. بينما يقوم الرئيس الأمريكى نفسه بترجيح أحدهما على الآخر.. أو باستخدامهما معا، ولذلك، فبينما كانت وزارة الخارجية تمثل الوجه المعلن للسياسة الأمريكية.. إلا أن مجلس الأمن القومى هو الذى كانت تنبثق منه السياسة الأخرى السرية، وغير المعلنة، والتى تعتمد بالضرورة على القنوات الخلفية وأجهزة المخابرات.

ومن مجلس الأمن القومى هذا انبثقت حرب يونيو ١٩٦٧، والتى كانت تستهدف «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط كما توضح المذكرة السرية التى قدمها والت روستو إلى الرئيس ليندون جونسون فى السابع من يونيو ١٩٦٧، وطوال رئاسة جونسون كانت اليد العليا فى البيت الأبيض الأمريكى هى للسياسات السرية فى الشرق الأوسط، ولكن، مع مجئ الرئيس نيكسون إلى السلطة فى سنة ١٩٦٩، مر بعض الوقت قبل أن يتأكد من فشل السياسة السرية.. فلا مصر انهارت، ولا جمال عبد الناصر سقط، ولا العالم العربى تسابق إلى عتبات البيت الأبيض، فى نفس الوقت فبدلا من تراجع النفوذ السوفياتى فى المنطقة، فإنه تزايد تماما، على عكس ما كانت تستهدفه تقارير مجلس الأمن القومى الأمريكى.

وفى مصر مثلاً، ارتفع عدد الخبراء والمستشارين السوفيات من ١٢٠٠ فى يوليو ١٩٦٧، إلى نحو سبعة آلاف فى يوليو ١٩٧٠، بما فى ذلك الوحدات المقاتلة التى تقوم مؤقتاً بحماية العمق المصرى من الغارات الجوية الإسرائيلية المتوحشة ضد المدنيين حتى تتفرغ مصر لبناء قواتها المسلحة- والتى كانت أول خطوة من نوعها يقوم بها الاتحاد السوفياتى منذ الحرب العالمية الثانية.

وكانت مأساة السياسة الأمريكية فى تلك الفترة، على حد تعبير جمال عبد الناصر، هى أنها «تنفق» فى منتهى السذاجة، ثلاثين ألف مليون دولار فى فيتنام من أجل وقف امتداد النفوذ الشيوعى فى جنوب شرق آسيا، بينما تترك السوفيات يكسبون مكانة كبيرة فى الشرق الأوسط، وبثمن بخس، «من خلال تدعيم إسرائيل لتصبح القوة العسكرية المسيطرة فى المنطقة».

وبالتدريج، بدأت وزارة الخارجية الأمريكية، فى رئاسة ريتشارد نيكسون، تسترد دورها الطبيعى فى صياغة السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط، وبدعم واضح من الرئيس نيكسون، الذى منع كيسنجر مستشار الأمن القومى فى هذه المرحلة من أى تدخل مباشر فى سياسات الشرق الأوسط على وجه الخصوص، وأصبح الرأى السائد داخل الإدارة الأمريكية هو أن حرب الاستنزاف المصرية تؤدى بشكل ثابت إلى تدهور المصالح الأمريكية فى المنطقة، والنظم القليلة الباقية على علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة مهددة بالعزلة، إن لم يكن بالانهيار فعلاً كما حدث فى السودان، ثم فى ليبيا- بعد أن سجلت الأخيرة أول طلباتها، وهو إلغاء القاعدة الأمريكية فى هوبلس.

حسابات مصالح

من هنا بدأت المبادرة الأمريكية- التى أطلق عليها اسم «خطة روجرز» ومبادرة روجرز- كجنين واضح المعالم منذ سنة ١٩٦٩، وفيما بعد تبين أن سنة ١٩٦٩ بالذات كانت «سنة عاصفة فى تاريخ العلاقات الإسرائيلية الأمريكية»- على الرغم من أن كلا الطرفين تكتم ذلك فى حينها، ولبعض الوقت ظلت ولادة الجنين الجديد متعثرة، حيث كانت الولايات المتحدة ما زالت تأمل- من خلال الورقة التى قدمتها إلى الاتحاد السوفيتى فى ٢٨ أكتوبر ثم الورقة المعدلة إلى مصر فى ٨ نوفمبر ١٩٦٩- فى دق إسفين بين مصر والاتحاد السوفيتى.

وحينما فشلت تلك المحاولة فى حينها، جرى تقديم خطة ومبادرة روجرز بالطريق الطبيعى إلى مصر، وبشرط إبلاغها إلى الأردن فى نفس الوقت كما طلبت مصر، والالتزام بتطبيق نفس المبدأ بالنسبة للجولان بمجرد أن توافق سوريا على القرار ٢٤٢. وتلك أذن هى الحسابات التى شكلت المبادرة الأمريكية (١٩٦٩ / ١٩٧٠) المعروفة إعلاميا باسم خطة «روجرز» و«مبادرة روجرز». وحسابات المصالح، وانعكاس تغيير حقيقى فى توازن القوى الاقليمى نجحت مصر فى إحداثه بإرادة سياسية فولاذية، إن حرب الاستنزاف كانت هى العامل المحورى فى التغيير، والذى أدى إلى كل التفاعلات الأخرى فى المنطقة وخارجها.

وحينما بدأ الرئيس الجديد فى مصر، أنور السادات، مبكرا فى اتصالاته السرية مع الإدارة الأمريكية، ومن خلال مندوب وكالة المخابرات المركزية، فإن تلك الاتصالات كانت تصب فى مكتب شخص محدد، هو هنرى كيسنجر، مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى. إنه نفس الشخص الذى قدم استقالته من قبل احتجاجا على نجاح المقاتلين المصريين فى التقدم بشبكتهم الصاروخية نحو القناة، إن كيسنجر لن ينسى مطلقا أن الإدارة الأمريكية وقفت كلها ضده فى محاولاته الملتوية ضد مبادرة روجرز، ومحاولاته جر الولايات المتحدة إلى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى بحجة أنه قام بإذلال الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، ولكن بهدف معاقبة المصريين الذين فشلت إسرائيل. بقنابل زنتها عشرين ألف طن يوميا، وتعادل تأثير قنبلة ذرية. فى منعهم من التقدم بحائطهم الصاروخى نحو القناة. وليس هناك من دليل على أن السادات كان يعرف- أو حريص على أن يعرف- بذلك الصراع السياسى داخل الإدارة الأمريكية. وقطبيه هما هنرى كيسنجر ومجلس الأمن القومى من ناحية.. ووليم روجرز ووزارة الخارجية من ناحية أخرى.

لكن السادات كان يعرف على وجه التأكيد شيئا أساسيا وجوهريا كان كل المصريين يعرفونه وفخورين به. التضحيات التى تحملتها مصر كلها لكى تصل بحائطها الصاروخى إلى قناة السويس. لقد سارت حرب الاستنزاف فى خطوط متعرجة طويلة، بضربات موجعة تحملتها مصر من إسرائيل. وضربات موجعة أخرى ألحقتها بإسرائيل، وفى النهاية فرضت حرب الاستنزاف أهدافها على الجميع. لقد نهضت القوات المسلحة المصرية من جديد، وفى ثلاث سنوات فقط بينما لم يكن العدو يتوقع مثل هذا النهوض قبل عشر سنوات وبالتزام سياسى محدد. ورسمى. من الولايات المتحدة التى بدأت تفكيرها من اليوم

السابع من يونيو ١٩٦٧ من فكرة إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط. والذي أوصل هذا الالتزام الأمريكى إلى ملفات الحكومة المصرية هو طابور من الشهداء المصريين وتضحيات من جميع الشعب المصرى طوال ثلاث سنوات. الذين سقطوا فى ميدان القتال، أو داخل مدارسهم ومصانعهم، وكذلك لثلاثمائة ألف آخرين أصبحوا معبئين فى القوات المسلحة المصرية استعدادا لمعركة مقررة سلفا، وتحدد هدفها مقدما، وقال عنها جمال عبد الناصر مبكرا أنها: «ستكون حاسمة وفاصلة فى المنطقة».

همسات

فى سنة ١٩٧١ كان هناك همسات وأحاديث.. هناك جدل يعود إلى السطح من جديد محوره هذا السؤال: هل سنحارب بما لدينا من أسلحة.. أو ننتظر الحصول على المزيد منها؟، فى الواقع أنه سؤال تقليدى كلاسيكى له دائما إجابتان.. هناك جنرالات يصرون على المزيد من الأسلحة حتى ولو كانت ربما لا تأتى أبدا.. وهناك جنرالات آخرون يرفضون من الأصل الدخول فى هذه الدائرة المفرغة.. فحتى لو حصلنا على أسلحة إضافية.. سيحصل العدو أيضا على أسلحة إضافية مضادة.. وبامتداد التاريخ كله لم يحدث أبدا أن بدأ جنرال حربا وهو راض عن أسلحته أو لا يتمنى المزيد منها.

وفى ربيع ١٩٧٢ وفى مطار القاهرة الدولى كان اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وأحد رجال اليوم السابع قد انتهى لتوه من توديع أحد الرسميين الأجانب.. فجأة وجد أمامه اللواء احمد إسماعيل رئيس المخابرات العامة.. بعد سلامات وتحيات ومجاملات.. فالجمسى عمل مع أحمد إسماعيل من قبل فى مواقع عسكرية عديدة وهناك مودة متبادلة.

وانتحي احمد إسماعيل بالجمسى جانبا وسأله هامسا: «قل لى يا جمسى.. متى ستحاربون؟»

فكر الجمسى لحظة قبل أن يرد: سنحارب حينما تصبح أنت وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة.

الجمسى حويط.. صحيح الصداقة عميقة والود متبادل ولكن أحمد إسماعيل ليس عابر سبيل، إنه رئيس المخابرات العامة. وبهذه الصفة لابد أن تكون الصورة واضحة عنده تماما كما هى عند الجمسى، ثم ختم الجمسى الحديث مداعبا: لازم يعنى نتكلم فى السياسة؟.

وفى أكتوبر ١٩٧٢ وفى اجتماع غير معلن جمع أنور السادات كبار قيادات القوات المسلحة المصرية وهم جميعا عايشوا المعاناة والتضحيات التى تم بها إعادة بناء القوات المسلحة وحجم التضحيات التى تمت خلال بناء حائط الصواريخ المصرى، فالحرب أصلا قرار سياسى، والآن القرار هو: نحارب بالإمكانات المتاحة.

بعدها بيومين أصبح احمد إسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة، الآن بدأت عقارب الساعة تتحرك بعد طول توقف، الآن يعود «رجال اليوم السابع» إلى الاندماج فيما أعدوا من أجله وتدريبوا عليه وحفظوه عن ظهر قلب وآمنوا منذ الدقيقة الأولى بأنه الخيار الوحيد.

صورة تذكارية

بعض رجال اليوم السابع : عبد المنعم رياض.. أحمد حمدى.. إبراهيم رفاعى.. شطا.. تيمور.. محمد.. صليب.. عبد العاطى.. ميخائيل.. الشوان.. مصطفى.. حسين.. سيد احمد.. رفعت.. سعيد.. عبد ربه.. ويصا.. عبد العال.. محمود.. صدقى.. سليمان.. إبراهيم.. محمود عوض..و.....و.....و..... أحياء عند ربهم يرزقون.



بقيت كلمة

فى سبتمبر ٢٠٠٨ استيقظ الأستاذ من نومه لينظر حوله فيجدنى نائما أسفل فراشه بالقرب منه.. مد يده ليمسح بها على رأسى فاستيقظت فرحا بعودة الوعى إليه.. فقد كان مصابا بأزمة حادة نتيجة أزمة نفسية أملت به نتيجة ابتسار رأيه فى أحد الحوارات التليفزيونية.. كانت أنفاسه مازالت متقطعة.. وجسمه منهكا ووجهه شاحبا.. وأخذ ينظر حوله.. هنا تنبعت إلى ما يريد.. إنه لا يريد كوبا من الماء أو طعاما يتناوله أو حتى غطاء يلتحف به.. على الفور مددت يدى لأناولاه الصحف. هنا نهض جالسا على الفراش ولم ينتبه إلى خرطوم الدواء المعلق فى يده. واندمج فى القراءة..

بعد أن صرح له الأطباء بالعودة إلى المنزل. فى السيارة فاجأنى.. تعرف يا طه أنا عايز إيه... اخرج كتاب اليوم السابع إلى الناس..!

قد لا يعتقد أحد أن هناك من هم يعيشون حياتهم ويستمدون قيمتهم وأنفاسهم أيضا من العطاء.. والعطاء لا يأتى إلا عن علم.. والعلم لا يأتى إلا بالبحث والتدقيق والتمحيص.. ثم يتحول الباحث بعد ذلك إلى لسان أو قلم وتحول الأستاذ إلى كلاهما.. وكان القلم هو دفتر أحوال حالة الأستاذ النفسية.. عاش معه وعاش به وسرعان ما تحول الأستاذ نفسه إلى قلم.. أحدث نجاحا لمؤسسته وقت كانت تتهاهى بأنها الأولى فى الشرق الأوسط.. وأحدث نجاحا فى كل الصحف والمجلات العربية عندما اضطر قلمه إلى الغربة القصرية عن جريدته فازداد قلمه تألقا.. وتحول إلى مدرسة صحفية تشع الثقافة وتبسط اللوغارتمات.. وظل مصرية عربيا حتى النخاع مؤمنا ببلده، محبا لها على رغم إنه رأى الوجه المظلم لا لشيء إلا لأنه نجح مبكرا. كان كما قال عنه صديقه الراحل أحمد بهاء الدين.. لو فتحت رأس محمود عوض ستجد بداخلها ألف فكرة وفكرة للعطاء وكلها أفكار ضد الرصاص.. ولن تجد بينها فكرة واحدة تخصه هو شخصيا.

والآن حتى لا أنساق وراء حديث ليس هذا وقته.. ولكن لأننى سمعتها منه وشجعنى عليها أحياء وأصدقاء وزملاء عملت معهم. فها أنا ذا أضع كتاب الأستاذ بين أيديهم.. حلمه الذى كان على وشك الدفع به إلى أحيائه رجال اليوم السابع وقرائه الذين كان يستمد منهم قوته وتلاميذه الذين أدين للكثير منهم بالشكر والتقدير.. وأحيائه الذين جعلونى لا

أشعر بأن جواهرجى الكلمة وعندليب الصحافة وصاحب الأسلوب السهل الممتنع وأستاذ الصياغة والذى ظل يعطى إلى آخر لحظة ما بين صلاة العصر وأذان المغرب من يوم الجمعة صائما واضعا القلم والمصحف والمسبحة ونظارة القراءة على مكتبه على رغم تكاثر الآلام عليه ويودعنا الأستاذ دون استئذان..

شكرا لكل المصريين.. فما شاهدت أحدا أعرفه أو لا أعرفه إلا وترحم عليه.
لقد عاش حياته قلما حرا محبا لمصر وما عليها وما حققته.. فأحبه الجميع.
يبقى أن أشير إلى أن دورى كان مجرد إخراج مادة الكتاب إلى الدار التى اختارها لتكون ناشرة لكتبه.. فإن كان هناك شىء أو ملاحظة أو تقصير فهو منى.

طه عوض

الأخ الصغير

كتب للمؤلف

دراسات سياسية

- ممنوع من التداول- (دار الشروق)- الطبعة السابعة
- أفكار إسرائيلية- (كتاب الاذاعة)- الطبعة الثانية
- الحرب الرابعة- سرى جدا- (المكتب المصرى) الطبعة الثالثة
- متمردون لوجه الله- (دار الشروق)- الطبعة الثالثة
- وعليكم السلام- (دار المستقبل العربى)- الطبعة الثالثة

دراسات أدبية

- أفكار ضد الرصاص- (دار الشروق/ دار المعارف) الطبعة التاسعة سلسلة اقرأ دار المعارف
- شخصيات- (دار المعارف)- الطبعة الثانية
- سياحة غرامية- (دار الشروق)- الطبعة الرابعة
- مصرى بمليون دولار- (مكتبة الانجلو)- الطبعة الثانية
- أوراق إلى حبيبتي- (دار الشروق)- الطبعة الاولى
- من وجع القلب- (دار المعارف)- الطبعة الأولى
- بالعربى الجريح- دار المعارف

دراسات فنية

- أم كلثوم التى لا يعرفها أحد- (كتاب اليوم)- الطبعة الرابعة
- محمد عبد الوهاب الذى لا يعرفه أحد- (دار المعارف)- الطبعة الثالثة

فى الرواية والقصة

- أرجوك لا تفهمنى بسرعة- (روز اليوسف)- الطبعة الثالثة
- شئ يشبه الحب- (كتاب اليوم) الطبعة الاولى

تحت الطبع

- مختارات
- مع محمود عوض

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

ملحق الصور والوثائق



عبد الناصر تبين أبعاد المؤامرة في ٥٦ فطلب من العرب عدم التدخل



المشير أحمد إسماعيل قائد الجبهة بعد النكسة مع الرئيس عبد الناصر



الفريق عبد المنعم رياض مع الرئيس جمال عبد الناصر
فى إحدى زيارته للجبهة



الدمرة إيلات



جمال عبد الناصر قائد ثورة يوليو في إحدى خطبه



جمال عبد الناصر مع خروشوف



ناصر مع قادة عدم الانحياز، نهرو وتيتو.. بعد أن صار رمزا للتحرر
الوطني في مواجهة قوى الاستعمار



..في المستشفى العسكري.. يعصر الليمون على الشوربة



السادات مع د. كيسنجر وجسور من الثقة



محمود رياض وزير الخارجية



عبد الناصر! لقد عرفوا كيف يصطادوني



وليم روجرز



المشير أحمد إسماعيل والجمسى مع الرئيس السادات فى غرفة العمليات



ناصر مع القادة الروس في زيارته الأخيرة لموسكو



السادات قائد العبور مع رجال القوات المسلحة.. ولحظة لا تنسى

Dear Ambassador

I have the honor to transmit to you the text of a message from the Secretary of State received at 7:25 a.m. this morning.

"Dear Mr. Ambassador:

I have asked Secretary Rogers to transmit to you through Ambassador Dineen the message that we have been told is a joint Egyptian-Syrian message. I have also asked Secretary Rogers to advise you to your government the contents of which the joint Egyptian-Syrian message is made.

I am sending this letter message to you in the spirit of the joint communication which the top of us had to New York. I feel that there is a good deal of misunderstanding between us about this matter, particularly regarding the difficulties that both our governments encounter in the search for peace in the Middle East. It is not my duty to present opportunities, I am sending this message to be sure to the Secretary of State of the people of the United States. I hope, and that it will be possible to the day should our better relations to reach between our two governments.

I am sure that your government will be able to do this without any loss of time and opportunity. I am sure that you will be able to do this without any loss of time and opportunity.

I am sure that you will be able to do this without any loss of time and opportunity. I am sure that you will be able to do this without any loss of time and opportunity.

Sincerely,

Richard William F. Rogers

Please accept the assurance of my highest regard.

Very truly yours,

Richard William F. Rogers

Secretary of State

The Secretary
of State
Washington, D.C.
United States of America

رسالة روجرز الى محمود رياض

منذ يونيو ١٩٦٧ ظل الصراع بين
السياسين الأمريكية والمصريين حول
نقطة جوهرية أساسية : أن الولايات
المتحدة تعرض على مصر انسحاب
إسرائيل كلياً من سيناء وهدفاً ،
منصلاً من مصر الأراضي العربية
المحتلة الأخرى .. بينما مصر ترفض
هذا الحل المفرد وتصر على أن نأخذ
القضية العربية والجولان قبل ساء
في أي تسوية سلمية .

وفي التاسع من نوفمبر ١٩٦٨ وقع
أول كبير مسؤولي في السياسة
الأمريكية بسبب حرب الاستنزاف الدامية
التي أعلنها مصر وضمت فيها رغم
كل التضييقات ، في هذا اليوم تلفت
مصر رسالة من وزير الخارجية
الأمريكي وليام روجرز ، كان أهمها
هو أن الوزير الأمريكي يسجل رسمياً
لأول مرة استجابة حكومته لأصرار مصر
على الربط بين سيناء والأراضي العربية
المحتلة الأخرى .

إن هذه الرسالة ، التي نشرها
لأول مرة ، أصبحت فيما بعد هي
الخطوة الأولى لطرح ما سمي بعد
ذلك « خطة روجرز » .. ولم ترد على
هذه الرسالة بالقبول أو الرفض فوراً .
إلى أن تلقت الأردن رسمياً الجزء
الخاص بالقضية العربية بعد شهر ،
وهو ما اعتبره إسرائيل أكبر حقيقة
أمريكية لها منذ قيامها في الشرق الأوسط .
وهذه الرسالة تلقاها دونك
بيرجيس الوزير المصري ورئيس قسم
رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة العت
كثرت الملاحظات الدبلوماسية بين مصر
والبحر مطروحة رسمياً منذ حرب يوم
١٩٦٧ « .. ومردوداً قام بنقلها فوراً
إلى السفير صلاح جهر وكيل وزاره

إكاديمية أحرار تقدم لصالح كـ
شعوب الشرق الأوسط . أنني أمل
أيضاً بقية سيكون من الممكن في الآراء
المختلفة أجنبية علاقات أفضل بين
حكومتنا . «

« وبما على ذلك عاني الخ على أن
ننظر حكومتكم لتسرع ورقة العمل
الأمريكية السوفياتية المبررة
الاهتمام والنشاط . إنما مثل جهد
مواظبا في محاولة لملء الاهتمامات
الرئيسية لكلا الحائزين . «

« أنني أعرف أنك مهتم بالقضية التي
سيمكن بها مرفاه الجوانب الأخرى من
القضية العربية الإسرائيلية المتداخلة
.. واستطيع أن أؤكد لك بأنه لا
يوجد لدينا أفضلية لمحاولة فصل الجانب
المختلط بـ ج.م.ع عن الأجزاء الأخرى
.. نحن نرى التسوية كما ترونها ،
تسوية متكاملة وشاملة . أن المطلوب
هو استجابة إيجابية من حكومتكم
للورقة الأمريكية السوفياتية المشتركة
.. على أساس الفهم بأن القوى
الأخرى تستطيع حينئذ المضى من غير
إبطاء للتفكير على الجوانب الأخرى من
القضية . وكما نعرف ، فلا يمكن أن
يندم أي مطلب إلا حينما يكون هناك
اتفاق على كل عناصر المشروع المتكامل . «
« أنني أنقل إلى نفي استعجابك . «
المخلص :

« توقيع « وليام روجرز

الخارجية المصرية ، وهي تطلب
موجهة إلى محمود رياض وزير الخارجية
.. والتي الكليل لهذه الرسالة -
التي ينشر هنا لأول مرة - بعض على
النهر التالي :

« القاهرة - ج.م.ع
٩ نوفمبر ١٩٦٨
مكتب الصحافة ،

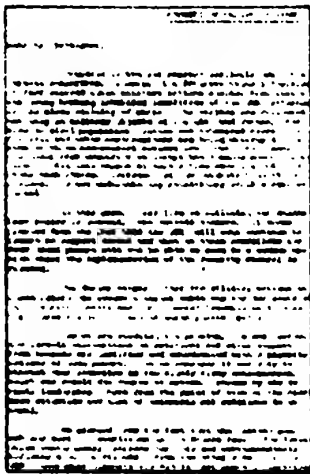
في الشرق أن أفضل إليك مصر
رسالة من وزير الخارجية نقلها لي
السيدة والتلف من صباح اليوم
عزيزي السيد الوزير :

« لقد ظلت من الوزير بيرجيس
أن ينقل إليك من خلال السفير
جهر النص التالي لما أبل في أنه
سيكون ورقة عمل مشتركة بين الولايات
المتحدة والائتلاف السوفياتي . لقد
طلبت أيضاً من الوزير بيرجيس أن يشرح
لحكومتكم بالكليل المختلط الذي يقصده
على أساسه ورقة العمل الأمريكية
السوفياتية المشتركة . «

« أنني أبعث إليك بهذه الرسالة
المختصرة بروح المصالحة الصريحة التي
هرت بيني وبينك في نيويورك . لقد
شعرت خلال تلك المحادثة بأنه يوجد
قدر كبير من التفهم بيننا « خصوصاً
بالنسبة للمصاعب التي يواجهها كل
من حكومتنا في السعي إلى السلام في
الشرق الأوسط . وإذا أمكننا جميعاً
الفرص القائمة ، فأنني على ثقة من

وثيقة تنشر لأول مرة

من رئيس وزراء الاتحاد
السوفياتي إلى رئيس الولايات
المتحدة : أول تهديد سوفياتي
في معلن إلى القاهرة الجديدة



نقل نطقا أكبر ، وأن قرارات مجلس
الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة
تتخذ حينها أمام الرأي العام
الدولي .. »
لم ننقل الرسالة السوفياتية بعد
لأنه إلى أنظر فقراتها حينها بوجه
رئيس الوزراء السوفياتي نظيرا في
مقرون من « استعمار إسرائيل في
مخبراتها » لأن هذا يعني أن الاتحاد
السوفياتي سوف يكون مضطرا إلى
العمل على أن يكون لدى الدول العربية
الوسائل التي تمكنها من الرد على
المخبري الإسرائيلي » .

فتح بجواز القاهرة ويقترب منها .
أن الهيئات لا يتم تخفيفا لفظ على
الاتحاد العسكرية في ج.ع.م والارمن ،
ولكن أيضا على السكان الفلسطينيين ،
والهن ، والقتل الكهولة ، كما يتم
لدمر القنصلية الصناعية ومضخات
المحرق . أن أحداث هذه الامتثال
المفجرة والضحة - أرغام الدول العربية
المجاورة على قبول طلبات إسرائيل .
وكل هذا يحدث في وقت لا تفرق فيه
ج.ع.م « الجمهورية العربية المتحدة »
والدول العربية الأخرى بتوجيه أي
قرارات انقلابية ضد إسرائيل ، فنيذا
لقرارات مجلس الأمن » .
« في هذه الحالة ، نلنا بطل
ما نرسم سبلها الشرق الأوسط ،
من القيادات الإسرائيلية كما يبدو
ننقل من حقيقة أن الولايات المتحدة
الأمم المتحدة سوف تسلم داليا في المستقبل
في مساعدة ودعم إسرائيل ، وأنه في
هذه الأحوال لن تصبح القوى الأربع
الطامس فكرة على القومل إلى رأي
مشرك حول تنفيذ قرارات مجلس
الامن » .
« أن الخطر قائم من أن الامتثال
العسكرية في المستقبل القريب يمكن أن

في ٢١ يناير سنة ١٩٧٠ ، وبعد
سلسلة مصادمة من المظاهرات الجوية
الإسرائيلية في المثل المصري ، وقد
السكان المدنيين بالقرب من القاهرة ،
بعت اليكسي كوسيجين رئيسي وزراء
الاتحاد السوفياتي برسالة عاجلة ،
وفي محطة ، إلى الرئيس الأمريكي
ريتشارد نيكسون .
ويجوز أن هذا الرئيس نيكسون
في دراسة مضمون الرسالة السوفياتية
الأممية مع مستشاريه .. فللمستشار
الذين القومي هنري كيسنجر أن هذه
الرسالة تنقل « أول تهديد سوفياتي »
يوجه إلى الإدارة الأمريكية الجديدة
برئاسة نيكسون .. وهو الأمر الذي
يطلق « ردا حازما » .
لأن تلك الرسالة ، المنشور هنا
صورة صحتها الأولى ، تفسر على
المنهج التالي :
عزيزي السيد الرئيس ،
« طبقا لخطوات المواجهة الآن من
القيادة الإسرائيلية ، وبمجاهلة لقرارات
مجلس الأمن ، بدأت في الحقيقة ،
مرة أخرى ، أعمالا عسكرية ضد
دول عربية ، بما في ذلك قصد براكتر
سكافة في الجمهورية العربية المتحدة

فرنسا تختلف مع أمريكا وتدين الفارتا الإسرائيلية ضد مصر في رسالة تنشر لأول مرة من الرئيس الفرنسي بومبيدو

تتصلح مع الفارتا التي فيها
مجلس الأمن كمرحلة أولى لسي
٦ و٧ و٩ يونيو ١٩٦٧ . والامر
٧ يحتاج الى القول بان هذه
الفارتا تظل قضية وعمل اسلما
لا غنى عنه بالقضية التي تسوبه
حقيقية .

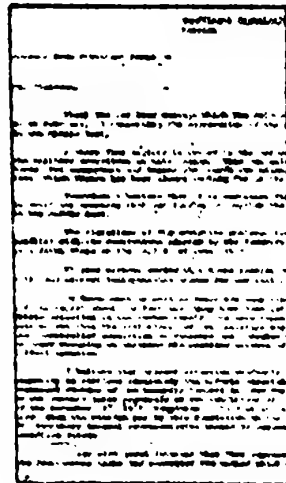
« لقد هربت حكومتى ، كما
هربت حكومتكم ، بوقت عديدة عن
اسلها من حقيقة ان تلك الفارتا
كانت باعتماد قبل في الحقيقة
لأنها . لقد اشرفنا بشكل متكرر
الى ان انتم كملت القضية قد تؤدي
الى تصعيد الوضع لا يمكن الحكم
فيه ، وكذلك الى تهديد السلام .
ولي كل منسبة انكما على الصلحة
المسلة لكل السلسلي » .

« انني اؤمن بان الموقف الحالي
بدل على ضرورة الاستمرار بتصميم
في الجهود التي يقوم بها الأعضاء
الدائمون في مجلس الأمن بنيويورك
من اجل وضع شروطا بحدود
حول شروط تنفيذ قرار ٢٢ نوفمبر
١٩٦٧ . ولي الحقيقة فان مسن
الضروري استئناف المحبة التي
انطفاها القرار بمثل المسكون
العام للامم المتحدة في المستقبل
الوطني » .

هل سلمي كانت فرنسا تسمى
التي نالها في نشاطها » .

« ومن لم يفتني اعطى ان من
الضروري قبل كل شيء لجناب أي
اجراءات يمكن ان تزيد من التوتر
في الشرق الأوسط » .

« ان انتم كملت القضية ايا كملت



اكثر من الرسالة السرية التي
بعث بها اليك كوسيجين رئيس
وزراء الاتحاد السوفياتي في
يناير ١٩٧٠ الى الرئيس الاميركي
رونالد نيكسون برسلتين محافظتين
بعث بها الى الرئيس الفرنسي
جورج بومبيدو ، ورئيس الوزراء
البريطاني هارولد ويلسون . وبينما
جاء الرد البريطاني على الرسالة
السوفياتية في الحقيقة بنسبها مع
الموقف الاميركي من تعديل مصر
مسؤولية حرب الاستنزاف العائرة
في الشرق الأوسط ، فان رد الرئيس
الفرنسي جاء بطلافا مع الموقف
الاميركي البريطاني .

وهذه الرسالة الجوابية من
الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو
الى رئيس الوزراء السوفياتي نيدا
كما يلي :

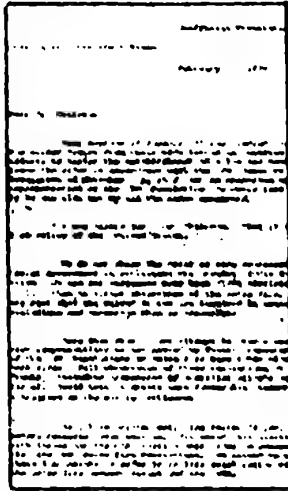
« السيد الرئيس
اشكر على رسالتك التي
اقتلت برسالتها الي في ٢ فبراير
وتتعلق بنقطة الموقف في الشرق
الأوسط .

« انني اشكرك القتل بالنسبة
لموسيق المصليات العسكرية في هذه
الحقيقة : ان هذا يؤدي فقط الى
اشغال القام واعانة السبي الى

وثيقة تفسر

لاول مرة

من رئيس الولايات المتحدة
الى رئيس وزراء الاتحاد
السوفييتي : سنستير في تقديم
الاسلحة الى اسرائيل .
وبصر هي المسؤولة .



الاستمرار في هذه المواقف من
أجل أن نلتحق عودة سريعة لوقف
اطلاق النار بين اسرائيل
والجمهورية العربية المتحدة .

لم نكني رسالة نيكسون بهذا
ذلك الى أن نتهم مصر بقها هي
التي سمحت اشغال دائرة القصف
العسكري طوال سنة ١٩٦٦ ،
وان الولايات المتحدة ترفض
النوازل العسكرية التي هي
الشرق الاوسط ، وان نلزم في
تقديم الاسلحة الى الدول للصين
- يبعد اسرائيل - اذا ظهرت
الحاجة الى ذلك .

السوفييتية في نفس الوقت العالي
بالشرق الاوسط . ونحن نستخدم
باعتبار نفوذنا لدى كلا الجانبين
حاليين لهما بالواقعية الصالحة
لوقف اطلاق النار . وبناء على
ذلك فان أي هجوم بين الولايات
المتحدة المتحدة في انتهاكات وقف
اطلاق النار وتشجع عليها ، هو
بلا اساس .

أكثر من ذلك ، فان محاولتك
تحصيل المسؤولية لجانب واحد هو
أمر لا يفيته العقل ، حيث ان
الانتهاكات المتكررة لقرارات الأمم
المتحدة بوقف اطلاق النار قد قام
بها كلا الجانبين . ان المراجعة
النامية على كل الجبهات ، بما في
ذلك منع هجمات حرب المصلحات
عند اسرائيل ، يمكن أن يساعد
على خلق مناخ أكثر سلامة لتقبل
تقدم في طريق التسوية .

وكما انشئت فان الولايات المتحدة
قبل تلقي رسالتك ، ناقشت هذه
المسألة مع كل من اسرائيل
والجمهورية العربية المتحدة ،
وطالبت كلا الجانبين بالتنفيذ
الصارم لقرارات الأمم المتحدة
بوقف اطلاق النار . اننا ننوي

الاول مرة ، هذا هو نص
الرسالة التي الملتزمة التي يحد بها
الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون
في ١٩٧٠ الى الرئيس
كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد
السوفييتي ردا على رسالة الأخير
اليه قبل أربعة أيام ، لهما اعتبر
وقتها نظيرا بالحرب الصليبية المظلمة
وتكبدته القوتان المظلمتان نياما .

عزيز السيد الرئيس
ان رسالتك في ٢١ يناير جرت
دراستها بضميمة . والولايات
المتحدة من جانبها تفي الاستمرار
في جهودها للمساعدة في اعادة
سلام عالم بين الاطراف بما يتفق
مع قرار مجلس الأمن بالامم المتحدة
المتخذ في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧ .
وكذلك في التشجيع على تطبيع
قرار الأمم المتحدة بوقف اطلاق
النار ، ليس فقط من جانب واحد ،
ولكن من جانب كل الاطراف
المتضمنة .

لكني استطيع ان اؤكد لك
ما سجدوا الرئيس ان هذه سياسة
راسخة للولايات المتحدة .
اننا لا نفلح مع وجهة النظر
التي عبرت منها الحكومة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة لابد منها	٥
الفصل الأول: الفخ الإسرائيلي الأمريكي	٩
الفصل الثاني: الوثائق تكشف المخطط	٢٩
الفصل الثالث: الإشارات الأمريكية والرفض العربي	٣٩
الفصل الرابع: الرفض الشعبي والرسمى للاستسلام	٤٩
الفصل الخامس: الضربة المصرية الأولى «ايلات»	٦٣
الفصل السادس: وثائق المفاوضات غير المعلنة بين مصر وأمريكا	٧١
الفصل السابع: القرار ٢٤٢ والصياغات المراوغة	٨٥
الفصل الثامن: المراوغة الإسرائيلية تجعد القرار ٢٤٢	١٠١
الفصل التاسع: وقف حرب الاستنزاف (الولادة الجديدة)	١١٣
الفصل العاشر: العروض الإسرائيلية والرفض المصري	١٢٣
الفصل الحادى عشر: التوحش الإسرائيلي	١٣٩
الفصل الثانى عشر: القرارات المصرية	١٥١
الفصل الثالث عشر: قنبلة ذرية على مصر	١٦١
الفصل الرابع عشر: الجانب السرى للتوسلات الإسرائيلية	١٧٧
الفصل الخامس عشر: الوعود الأمريكية لمصر	١٨٧
الفصل السادس عشر: المقترحات الأمريكية	١٩٧
الفصل السابع عشر: أسبوع تساقط الطائرات	٢٠٧
الفصل الثامن عشر: مصر تقبل رسميا مبادرة روجرز	٢١٧
الفصل التاسع عشر: مفاجآت القفزة الأخيرة	٢٢٧
الفصل العشرون: خطة العبور جرانيت	٢٣٩
الفصل الحادى والعشرون: حرب الاستنزاف أرغمت أمريكا	٢٥١
بقيت كلمة	٢٦٧
ملحق الصور والوثائق	٢٧١

طبع بمطابع دار المعارف

**** معرفتي ****
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

بكل التواضع، وأيضا بكل الاعتزاز، أقول: إن النسبة الكبرى من الوثائق التي ستنشر بالكتاب هي وثائق يتم نشرها لأول مرة، بل إنني أزعّم أن الحقائق الجديدة التي سيكشف عنها هذا الكتاب _ إذا صدقت النوايا _ تؤدي إلى إعادة النظر في كثير من المفاهيم السائدة طوال السنوات الأخيرة..

إنني أرجو أن يحمل هذا الكتاب بعض العزاء لشهداء الجيل الذي أنتمى إليه.. فهذا الجيل دفع ثمن تلك الحرب عن اقتناع، وبنفوس راضية وقلوب مطمئنة إلى صحة القضية التي حاربوا من أجلها. وكثيرون منهم ضحوا بمستقبلهم، وكثيرون ضحوا بحياتهم في سبيلها، وبإصرار على حياة أفضل لعالمهم العربي كله.

فعلوا هذا إيمانا بقضية محددة، قضية.. أن تكون لك كرامة، وأن تعيش مرفوع الرأس، وبالنسبة لهم لم تكن تلك القضية جملة تقال بشكل عابر في حديث.. أو مزايدة في خطاب عام، لقد كانت قضية حياة.. أو موت، وقد اختاروا الموت.

محمود عوض



دار المعارف

٠٣٤٥٢٠/٠١





Exclusive
For
www.ibtesama.com

حصريات مجلة الابتسامه